

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحِيدِينَ

مجلة دورية علمية محكمة، تعنى بنشر بحوث الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلق بهما

موضوعات العدد:

- عناية القرآن بالجوارح الظاهرة للإنسان - (دراسة موضوعية)
د. فهد عبد المنعم صقير السلمي.
- الاعتراف بالذنب بين القبول والرد (دراسة موضوعية في القرآن الكريم)
د. عبد الباقي بن عبد الرحمن سيبي
- تفسير سورة المسد (رواية ودراسة)
د. أفنان مصطفى أحمد الديباني
- التلازم الجوابي للاستفهام العقدي في القرآن الكريم وأثره في تقرير التوحيد
(دراسة تطبيقية لآيات من سورة الطور)
د. إنعام محمد عقيل
- منهج ابن هشام (ت: ٢١٨هـ) في تفسير غريب القرآن وشواهد في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق (ت: ١٥٠هـ)
د. نايف بن سعيد بن جمعان الزهراني
- مسيرة تغير المفهوم الغربي لسيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين العصور الوسطى والتاريخ الحديث (دراسة تحليلية للأسباب وتأثيرها)
د. إبراهيم بن خليل مظهر



المملكة العربية السعودية
وقف تعظيم الوحيين - المدينة المنورة
خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة
في بلد الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

مجلة دورية علمية محكمة

تُعنى بنشر بحوث الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلق بهما

العدد العاشر - السنة الخامسة - رجب ١٤٤٣هـ - فبراير ٢٠٢٢م

حقوق الطبع محفوظة لمجلة تعظيم الوحيين

ترخيص وزارة الثقافة والإعلام - الرياض، المملكة العربية السعودية

برقم: (٨٠٤٤)، وتاريخ: ١٤/٤/١٤٣٦هـ

رقم الإيداع: ١٤٣٨ / ٩٩٣٩

تاريخ: ١٤٣٨ / ١ / ٢٨

ردم: X ٧٧٤ - ١٦٥٨

عناوين المراسلات والاستفسارات

جميع المراسلات تكون باسم رئيس تحرير المجلة:

البريد الإلكتروني للمجلة: mjallah.wqf@gmail.com

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ، وقف تعظيم الوحيين،

حي الهدا- المدينة المنورة: ص. ب: ٥١٩٩٣، الرمز البريدي: ٤١٥٥٣،

المملكة العربية السعودية.

هاتف المجلة: ٠٠٩٦٦١٤٨٤٩٣٠٠٩

جوال المجلة وواتساب: +٩٦٦ ٥٣٥٥٢٢١٣٠

تويتر: @Journaltw

موقع المجلة: WWW.JOURNALTW.COM

بفضل الله وتوفيقه تم اعتماد مجلة تعظيم الوحيين في معامل التأثير والاستشهادات

المرجعية للمجلات العلمية العربية "Arcif" لعام ٢٠٢١م



المواد العلمية المنشورة في المجلة تُعبّر عن وجهة نظر أصحابها وآرائهم



التعريف:

مؤسسة وقيّة تقوم على خدمة القرآن الكريم والسّنة النبويّة المطهّرة، وبيان هدايتهما، وتحقيق غاياتهما، وتفعيل مقاصدهما.

الشيأة:

في عام ١٤٢٨ هـ، كانت البداية باسم: "مشروع تعظيم القرآن الكريم".
وفي عام ١٤٣٤ هـ، أصبح المشروع مركزاً ضمن مراكز المدينة المنورة لتنمية المجتمع تحت اسم: "مركز تعظيم القرآن الكريم".
وفي عام ١٤٣٦ هـ، تم تطوير المركز واستقلاله، ليكون مؤسسة وقيّة باسم: "وقف تعظيم الوحيين".

الرؤية:

الارتقاء في تعظيم القرآن الكريم والسّنة النبويّة ودراساتها محلياً وعالمياً.

الرسالة:

تعظيم القرآن الكريم والسّنة النبويّة في المجتمع والأمة، بتفعيل مقاصدهما وغاياتهما وبيان هدايتهما.

الأهداف:

- ١- إبراز مظاهر عظمة القرآن الكريم والسّنة النبويّة الشريفة، وبيان حقوقها.
- ٢- الدفاع عن كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتفنيد الشبهات عنها.
- ٣- الارتقاء بالدراسات البحثية والدورات التدريبية المتخصصة في الدراسات القرآنية والحديثية وما يتعلق بهما.

مجلة تعظيم الوحيين

التعريف:

مجلة دورية علمية محكمة، تُعنى بنشر بحوث الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلّق بهما ورقياً وإلكترونياً، لأساتذة الجامعات، وأهل الاختصاص، والباحثين المهتمين بعلوم الوحيين.

الرؤية:

أن تكون المجلة منارة علمية بحثية في خدمة الوحيين الشريفين وتعظيمهما.

الرسالة:

تحكيم البحوث العلمية الجادة والأصيلة ونشرها في مجالات الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلّق بهما.

الأهداف:

- ١- نشر البحوث العلمية المتخصصة في الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلّق بهما.
- ٢- إثراء المجالات العلمية في مجالات الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلّق بهما.
- ٣- شحذ همم الباحثين للكتابة، وتلبية احتياجاتهم لنشر بحوثهم.
- ٤- العناية بمعايير الجودة في البحوث العلمية.
- ٥- التمهيد لمشاريع علمية موسوعية مبتكرة في الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلّق بهما.
- ٦- دعم أنشطة الوقف المتنوعة بالبحوث العلمية الجادة ذات الصلة بعمل الوقف وأهدافه.



أعضاء هيئة التحرير

أ.د/ عبد العزيز بن صالح العبيد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ عبد الله بن محمد حسن دمقو
أستاذ الحديث الشريف بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

أ.د/ حسين بن محمد العواحي
أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ عبد الله بن عيد الجربوعي
أستاذ الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ باسّم بن حمدي حامد السيد
أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ أمين بن عائش المريني
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المشرف العام

أ.د/ عماد بن زهير حافظ
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

نائب المشرف العام

أ.د. أحمد بن عبد الله سليمان
أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



رئيس التحرير

أ.د/ حكمت بن بشير ياسين
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مدير التحرير

د/ ياسر بن إسماعيل راخي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة طيبة
بالمدينة المنورة سابقاً

الهيئة الاستشارية

أ.د/ أحمد بن علي السديس

أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ عبد الرحمن بن معاضة الشهري

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض
(السعودية)

أ.د/ المشي عبد الفتاح محمود

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(الأردن)

أ.د/ سألر بن محمد سألر إبراهيم

خبير الجودة والتخطيط والاعتماد الأكاديمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(مصر)

د/ وليد بن بليش العمري

أستاذ اللغات والترجمة المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
(السعودية)

د/ عيسى بن محمد القايدي

أستاذ الاتصال والإعلام المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ محمد سيدي بن محمد الأمين

أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ محمد بن يعقوب تركستاني

أستاذ اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ زين العابدين بلافريج

أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء
(المغرب)

أ.د/ سعيد بن فالح المغامسي

أستاذ الإدارة التربوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ غزالي بن غزالي المطيري

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ نبيل بن محمد الجوهرري

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(مصر)

أ.د/ محمد بن عبد العزيز العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

قواعد المجلة وسياساتها في النشر

- ١- تقبل المجلة في حقل الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلق بهما؛ ما يأتي:
 - البحوث العلمية الأصيلة.
 - دراسة المخطوطات وتحقيق الجدير منها.
- ٢- تخضع البحوث المقدمة للمجلة للتحكيم العلمي وبشكل سرّي من أهل الاختصاص.
- ٣- يُحكّم البحث تحكيمياً أولاً من قِبَل أعضاء هيئة التحرير، ويسمى الفحص الأولي، فإن أجاز يُخبر الباحث لدفع رسوم التحكيم النهائي من محكمين - على الأقل - يكون قرارهما مُلزماً، وفي حال تعارض حكمهما يُحكّم البحث من محكم ثالث ويكون قراره مرجحاً.
- ٤- يدفع الباحث رسوم التحكيم ومقدارها: (٨٠٠) ريال سعودي أو ما يعادله.
- ٥- يُبلّغ الباحث بقبول بحثه أو عدم قبوله برسالة رسمية من رئيس تحرير المجلة.
- ٦- في حال عدم قبول البحث، فمن حق الباحث طلب استمارات التحكيم ليطلع على أسباب الرفض.
- ٧- إذا تم تحكيم البحث وقبوله للنشر لا يحق للباحث استرداده أو طلب إلغاءه.
- ٨- حقوق الطبع والنشر محفوظة للمجلة.
- ٩- تُرتّب البحوث في المجلة وفق اعتبارات موضوعية وفنية لا علاقة لها بقيمة البحث.
- ١٠- يُزوّد الباحث بنسخة الكترونية من عدد المجلة المنشور فيه بحثه، والمستلّات الخاصة ببحثه.
- ١١- المواد المنشورة في المجلة تُعبّر عن وجهة نظر أصحابها وآرائهم.
- ١٢- يُقدّم الباحث إقراراً خطياً بصيغة خطاب مصوّر (PDF) بأن بحثه لم يُسبق نشره، أو مقدماً للنشر في جهة أخرى، أو مستلاً من عمل علمي للباحث سواء رسالة علمية: (الماجستير أو الدكتوراه)، أو غيرهما. ويُرسَل على بريد المجلة الإلكتروني ومن خلال موقع المجلة.
- ١٣- يُقدّم الباحث نبذة مختصرة عن سيرته العلمية، وعناوين الاتصال، والبريد الإلكتروني، ويُرسَل على بريد المجلة الإلكتروني، ببرنامج الورد (word).

شروط النشر ومواصفاته

- ١- أن يكون البحث في تخصص الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلق بهما.
- ٢- أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والابتكار، وعدم التكرار مع غيره عنواناً ومضموناً.
- ٣- أن يتسم البحث بصحة اللّغة وسلامة المنهج.
- ٤- يُراعى في كتابة البحث المنهج العلمي في توثيق المعلومات، وعلامات التنصيص والترقيم.
- ٥- ألا يقل عدد صفحات البحث عن: (٢٠) صفحة؛ ولا يزيد عن: (٤٠) صفحة؛ مقاس: (A4)،
شاملة للملخص البحث، ومراجعته. وهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.
- ٦- كتابة ملخص باللغة العربية وفق عناصر معينة (تنظر ملخصات البحوث السابقة في موقع المجلة).
- ٧- ترجمة ملخص البحث إلى اللغة الإنجليزية وفق عناصر الملخص باللغة العربية (ولا تقبل ترجمة جوجل).

٨- ترجمة قائمة المصادر والمراجع للبحث إلى اللغة الإنجليزية وفق المثال التالي:

Abdel Haleem, Muhammad. Understanding the Qur'an: Themes and Style
(London: I. B. Tauris,[1999-2001])

- ٩- أن تتضمن مقدّمة البحث: (موضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، وأسباب اختياره، ومنهجه العلمي، والدراسات السابقة عن الموضوع، والجديد الذي سيقدمه البحث).
- ١٠- أن تتضمن خاتمة البحث: (أهم نتائج الدراسة، والتوصيات العلميّة في عناصر واضحة).
- ١١- يلتزم الباحث بالمواصفات الفنيّة الآتية:

● نوع الخط: (Lotus Linotype) لمتن البحث^(١)، وعناوينه، وحواشيه، ومراجعته، وفهارسه...،
وتباعد الأسطر: مفرداً.

● مقاس خط متن البحث: (١٦) غير مُسود (NO BOLD).

● مقاس خط العناوين الرئيسة: (٢٠) مُسوداً (BOLD).

● مقاس خط العناوين الفرعية: (١٨) مُسوداً (BOLD).

(١) يمكن تحميل الخط من موقع المجلة: journaltw.com

تكتب الآيات القرآنيّة بين قوسين مزهرين ﴿...﴾؛ ببرنامج مصحف المدينة النبويّة للنشر الحاسوبي، النسخة القديمة^(١) بمقاس خط: (١٤) غير مُسودّ (NO BOLD)، وتوثق الآيات في السطر نفسه بحجم: (١٢) غير مُسودّ (NO BOLD)، هكذا: [البقرة: ٣٠].

تكتب الأحاديث النبويّة والآثار بين قوسين؛ هكذا: «...»، بمقاس خط متن البحث نفسه ومُسوّدّة (BOLD).

تكتب الأقوال المنقولة بين علامتي تنصيص: "..." وبنفس مقاس خط المتن.

مقاس خط الحواشي السفليّة: (١٢) غير مُسودّ (NO BOLD)، وتوضع أرقام الحواشي بين قوسين؛ هكذا: (١)، ولكل صفحة من البحث حاشيتها المستقلّة.

التوثيقات في حواشي البحث مختصرة هكذا: (اسم الكتاب مسودّاً (BOLD)، اسم المؤلف أو اسم الشهرة غير مُسودّ (NO BOLD)، ويوضع الجزء والصفحة، مثل: الوجوه والنظائر، للعسكري، (ص ٢١٢) أو (١/٤١٥).

التوثيقات في قائمة المصادر والمراجع تكون كاملة، هكذا: (اسم الكتاب مسودّاً (BOLD)، اسم المؤلف غير مُسودّ (NO BOLD)، اسم المحقق إن وجد غير مُسودّ (NO BOLD)، دار النشر غير مُسودّ (NO BOLD) كهذا المثال:

المنتهى، لأبي الفضل محمد جعفر الخزاعي الجرجاني (ت: ٤٠٨هـ)، تحقيق: محمد شفاعت رباني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م.
وترتب المصادر ترتيباً هجائياً بحسب عناوين الكتب.

الالتزام بمنهجية علمية موحدة في بقية التوثيقات وغيرها.

يقدم الباحث نسختين من بحثه وفق المواصفات الفنية الآتية الذكر:

- نسخة إلكترونية بصيغة وورد (word).

- ونسخة أخرى مصوّرة بصيغة (pdf)، وترسل على بريد المجلة الإلكتروني:

mjallah.wqf@gmail.com



المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٥	مقدمة التحرير
١٩	عناية القرآن بالجوارح الظاهرة للإنسان - (دراسة موضوعية) د. فهد عبد المنعم صقير السلمي.
٦٩	الاعترافُ بالذنبِ بينَ القبولِ والرَّدِ (دراسةٌ موضوعيةٌ في القرآن الكريم) د. عبد الباقي بن عبد الرحمن سيبي
١٢٣	تفسيرُ سورةِ المسدِ (روايةٌ ودراية) د. أفنان مصطفى أحمد الديباني
١٩١	التَّلازُمُ الجَوَابِيُّ للاستفهامِ العَقْدِيِّ في القرآنِ الكريمِ وأثره في تقريرِ التوحيدِ (دراسةٌ تطبيقيةٌ لآياتٍ من سورةِ الطورِ) د. إنعام محمد عقيل
٢٣٥	منهجُ ابنِ هشامٍ (ت: ٢١٨هـ) في تفسيرِ غريبِ القرآنِ وشواهدهِ في تهذيبهِ لسيرةِ ابنِ إسحاقٍ (ت: ١٥٠هـ) د. نايف بن سعيد بن جمعان الزهراني
٢٩٧	مسيرةُ تغيرِ المفهومِ الغربيِّ لسيرةِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينَ العُصورِ الوسطى والتاريخِ الحديثِ (دراسةٌ تحليليةٌ للأسبابِ وتأثيرها) د. إبراهيم بن خليل مظهر



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ



اَفْتَا حَيْثُ الْعِلْمُ

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

مقدمة التحريم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فنشكر الوهاب عزَّوجلَّ على ما أكرمنا به من نعم مباركة؛ في مقدمتها خدمة الوحيين العظمين وأهلها، والاستقرار والعمل بطموح وأمان في بلاد الحرمين الشريفين؛ والتي يعيش شعبها شعب مملكة العزِّ والإنسانية هذه الأيام الذكرى السنوية الكريمة ليوم التأسيس ١٧٢٧م، نسأل الجواد أن يبارك جهود قيادتنا الحكيمة وولاية أمرنا.

ومن النعم علينا ما نقدّمه في مؤسسة وقف تعظيم الوحيين بالمدينة المنورة من إصدارات متتابعة لمجلة تعظيم الوحيين المحكّمة، وهذا العدد العاشر للسنة الخامسة منها والتي يقوم عليها نخبة من العلماء بهيئتها: الاستشارية والتحرير.

وأتشرف أن أقدم لهذا العدد الدوري المشتمل على بحوث متّصفة بالجِدَّة والرّصانة العلميّة، والمنهجية والتحليل الهادف؛ وقد تناولت هذه البحوث: تفسير سورة المسد (رواية ودراية)، والاعتراف بالذنب بين القبول والرد (دراسة موضوعية في القرآن الكريم)، وعناية القرآن بالجوارح الظاهرة للإنسان (دراسة موضوعية)، والتلازم الجوابي للاستفهام العقدي في القرآن الكريم وأثره في تقرير التوحيد (دراسة تطبيقية لآيات من سورة الطور)، ومنهج الإمام ابن هشام (ت ٢١٨هـ) في تفسير غريب القرآن وشواهد في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق (ت ١٥٠هـ)، ومسيرة تغير المفهوم الغربي لسيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين العصور الوسطى والتاريخ الحديث (دراسة تحليلية للأسباب وتأثيرها).

ونحن في مجلة الجميع نبارك للإخوة والأخوات الباحثين والباحثات ما قدموه خلال بحوثهم من دراسات ونتائج بحثية قيمة؛ نسأل الكريم أن ينفع بها، وأن يجعلها في موازين حسناتهم.

ويشرفني تقديم الشكر والتقدير للجامعات والمراكز العلمية المحلية والدولية لإشادتهم بالمجلة، وما تحتويه إصداراتها من بحوث علمية مفيدة، وإنما تحقق ذلك بفضل المعين وتوفيقه ثم بفضل جهود الإخوة الكرام أصحاب الفضل والفضيلة في رئاسة وإدارة وأعضاء هيئة تحرير المجلة والفريق التنفيذي بوقف تعظيم الوحيين جزاهم المولى بكل خير. ويُسعد إدارة المجلة تقديم دعوة دائمة ومتجددة لكل الباحثين والباحثات والطلاب والطالبات في الدراسات العليا بمختلف التخصصات ذات العلاقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية محلياً وعالمياً لنشر أبحاثهم المباركة في مجلتهم العلمية: (مجلة تعظيم الوحيين المحكّمة)، والمشاركة في خدمة وقفهم وقف تعظيم الوحيين بمدينة الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وختاماً تتقدّم رئاسة وأعضاء مجلس نظارة وقف تعظيم الوحيين وأمانته ومنسوبيه بجميل الحمد وعظيم الشكر للرزاق سبحانه على نعمه العظيمة.

كما تشرف بتقديم خالص الشكر والتقدير لمقام والدنا خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين، وصاحب السمو الملكي أمير منطقة المدينة المنورة ونائبه الكريم حفظهم الله عَزَّجَلَّ ورعاهم، وكافة قيادات ورجال ونساء مملكتنا الغالية على كل ما يبذلونه في سبيل جعل مملكتنا الكريمة - بعد توفيق العلي القدير - نموذجية ومرجعية عالمية في ريادة التعليم الحديث والبحث العلمي المبتكر والخدمة العملية والتطوعية لكل ما يتعلق بجوانب واتجاهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأهلها، وكافة العلوم الإنسانية والتطبيقية. والله القوي نسأل أن يديم علينا جميعاً نِعْمه ويتمّها إيماناً وأمناً وصحة وعافية، وصلى الله وسلم على حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

نائب الأمين العام لوقف تعظيم الوحيين ونائب المشرف العام على المجلة

أ.د. أحمد عبد الله درويش سليمان





البحر
المتوسط

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ



عناية القرآن بالجوارح الظاهرة للإنسان

(دراسة موضوعية)

د. فهد بن عبد المنعم صقير السُّلمي

الأستاذ المشارك بقسم علوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
جامعة جدة – المملكة العربية السعودية.

faalsalami@uj.edu.sa

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

ملخص البحث

موضوع البحث:

جوارح الإنسان الظاهرة.

هدف البحث:

بيان عناية القرآن الكريم بجوارح الإنسان الظاهرة من خلال الوقوف على أبرز الآيات التي عنت بهذه الجوارح.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما مفهوم جوارح الإنسان في القرآن الكريم؟
- هل اعتنى القرآن الكريم بجوارح الإنسان الظاهرة؟
- هل استوفى القرآن الكريم جميع جوارح الإنسان الظاهرة؟

نتائج البحث:

- استيفاء القرآن الكريم لجميع جوارح الإنسان الظاهرة.
- جاءت آيات كثيرة في القرآن تنسب جميع كسب جوارح الإنسان إلى يده.

الكلمات الدالة (المفتاحية):

عناية - جارحة - حفظ - الإنسان - الظاهرة.



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه،
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

فإن الله تعالى قد منّ على الإنسان بكثيرٍ من النعم التي لا يستطيع إحصاءها ويعجز
لسانه عن شكرها، فسخر له الكون بأكمله وأعطاه الوسائل التي تُعينه على تحقيق غاياته،
وتسهّل له سبل معيشته، وبيّن له طريق الخير ليسلكه، وطريق الشر ليتعد عنه، قال تعالى:
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، ومن تلك النعم الكثيرة نعمة الجوارح
التي تعين الإنسان على تحقيق الغاية التي خلق من أجلها وهي عبادة الله وحده، فقد أمره
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِحِفْظِهَا وَحَسَنِ اسْتِعْمَالِهَا، وتجنّبها مواطن العطب؛ ليسلم من تبعاتها، ولما كانت
الجوارح سبب نجاة الإنسان - إن أحسن استعمالها - وسبب هلاكه - إن أساء استعمالها -
فقد أعطاه القرآن الكريم أهميةً بالغة، وجاء ذكرها في الكثير من الآيات، ووجّه إلى حسن
استعمالها، وحذّر من ضرر استعمالها على الإنسان في الدنيا والآخرة، ولما كانت كذلك أحببتُ أن
أفرد هذا الموضوع ببحثٍ مستقل، وأن أقف على بعض الآيات القرآنية التي عُيّنت بالجوارح،
وعلى بيان مقاصد القرآن منها، فاستعنتُ بالله وجعلت عنوان بحثي: عناية القرآن بالجوارح
الظاهرة للإنسان "دراسة موضوعية".

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية البحث وأسباب اختياره في التالي:

١. تعلق موضوع البحث بالقرآن الكريم.
٢. عظم خطر الجوارح، إذ هي موردة للآثام.

٣. تهاون كثير من الناس في حفظ جوارحة عما حرّم الله.

٤. إثراء المكتبات الإسلامية بالأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما مفهوم جوارح الإنسان في القرآن الكريم؟
- هل اعتنى القرآن الكريم بجوارح الإنسان الظاهرة؟
- هل استوفى القرآن الكريم جميع جوارح الإنسان الظاهرة؟

ويحاول البحث الإجابة عنها من خلال تتبع جميع الآيات التي ذكرت فيها جوارح الإنسان الظاهرة.

الدراسات السابقة:

مما وقفت عليه من أبحاث علمية ذات علاقة بالموضوع ما يلي:

١. (ألفاظ العقل والجوارح في القرآن الكريم "دراسة إحصائية دلالية")، رسالة ماجستير في اللغة العربية بجامعة النجاح الوطنية بفلسطين، للباحثة: سهام محمد أحمد الأسمر.
٢. كتاب: (لغة الجوارح ودلالاتها في القرآن الكريم)، للمؤلف: علي الجواري.
٣. (الحواس الإنسانية في القرآن الكريم)، للدكتور: محمد طالب مدلول.

وقد اهتمت الدراسة رقم: (١) بالمقارنة بين رؤية الفلاسفة وأهل اللغة في الحديث عن الجوارح وخلت من المقارنة مما جاء في القرآن الكريم، وكان اهتمام الدراسة رقم: (٢) باللغة أكثر دون بيان المعاني القرآنية والمقاصد من الآيات التي ذكرت فيها جوارح الإنسان،

أما الدراسة رقم: (٣) فقد أدخلت علم النفس والطب في التحليل عند التعرض للحواس المذكورة في القرآن الكريم، وأما دراستي:

فقد تناولت الموضوع من ناحية توعوية حسب المقاصد القرآنية، واقتصرت على هداية الآيات القرآنية وفق ما جاء في العلوم الإسلامية التي تعرضت لبيان الهدي القرآني، وهو خلاف ما هدفت إليه الدراسات السابقة.

● خطة البحث:

يتكوّن البحث من مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، على النحو التالي:

١ . المقدمة وفيها:

- أهميّة البحث وأسباب اختياره.

- الدراسات السابقة.

- خطة البحث.

- حدود البحث.

- مشكلة البحث.

- منهج البحث.

٢ . التمهيد: وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: المراد بجوارح الإنسان الظاهرة.

- المطلب الثاني: سبب تسميتها بالجوارح.

٣. البحث الأول: عناية القرآن بجراحة الأذن.
٤. البحث الثاني: عناية القرآن بجراحة العين.
٥. البحث الثالث: عناية القرآن بجراحة الفم.
٦. البحث الرابع: عناية القرآن بجراحة اللسان.
٧. البحث الخامس: عناية القرآن بجراحة اليد.
٨. البحث السادس: عناية القرآن بجراحة الرجل.
٩. البحث السابع: عناية القرآن بجراحة الفرج.
١٠. الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.
١١. قائمة المراجع والمصادر.

● حدود البحث:

يتناول البحث أهم الآيات التي ذُكرت فيها جوارح الإنسان وبيان معانيها، ومقاصد القرآن تجاهها.

● منهج البحث:

١. اتبعتُ في دراسة هذا البحث المنهج التحليلي الوصفي من خلال جمع ودراسة أهم الآيات القرآنية التي ذُكرت فيها جوارح الإنسان، وبيان مقاصد القرآن منها من خلال الرجوع إلى كتب التفسير وبيان معانيها، وتمثل أهم مفردات وخطوات المنهج المتبع في التالي:
٢. ربّبت الجوارح كما ظهر لي من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿النور: ٢٤﴾.

٣. دونت في الحاشية اسم الكتاب الذي يرد للمرة الأولى كاملاً، وإذا تكرر اكتفيتُ باسم الشهرة للكتاب، ورتبتُ أسماء الأعلام في الحاشية الواحدة حسب الأقدم وفاءً.
 ٤. اعتمدتُ على الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية مع ذكر اسم السورة ورقم الآية بعدها مباشرة.
 ٥. ضبطتُ ما يحتاجُ إلى ضبطٍ بالشكل.
 ٦. عرّفتُ بالكلمات الغريبة التي تحتاج إلى تعريف.
 ٧. خرّجتُ الأحاديث تحريجاً علمياً موجزاً، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بهما، وإن لم أجده فيهما فمن الكتب الستة، فإن لم أجده فيها فمن غيرها من كتب السنة، مراعيًا عدم الإطالة، مع بيان درجة الحديث من خلال ذكر كلام بعض المتقدمين وكلام بعض المتأخرين، كل ذلك بإيجاز يفى بالغرض ولا يخل بالمقصود.
- سائلاً الله تعالى أن يكون التوفيق حليفي وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.



تهنئتك

امتن الله تعالى على الإنسان بنعم كثيرة، ومن أعظم النعم وأجلها نعمة الجوارح فهي تعينه على تحقيق الغاية التي خلقه الله من أجلها - وهي عبادته وحده - إن أحسن استخدامها، وقد تنقلب هذه النعمة إلى نقمة إن أساء استخدامها، ولكل جارحة من هذه الجوارح أهمية وأثر، كما سيأتي بيانه إن شاء الله في المبحث الخاص بكل جارحة.

وقبل تفصيل الحديث عن كل جارحة أحببت أن أعرف بهذه الجوارح وأتطرق لسبب تسميتها من من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: المراد بجوارح الإنسان الظاهرة.

الجُرْح: الفعل: جَرَحَهُ يَجْرُحُهُ جَرْحًا: أَثَّرَ فِيهِ بِالسَّلَاحِ؛ وَجَرَّحَهُ: أَكْثَرَ ذَلِكَ فِيهِ؛ وَالِاسْمُ: الْجُرْحُ، بِالضَّمِّ، وَالْجُمُعُ أَجْرَاحٌ وَجُرُوحٌ وَجِرَاحٌ، وَلَمْ يَقُولُوا جِرَاحٌ إِلَّا فِي الشَّعْرِ، وَالْجِرَاحُ بِالْكَسْرِ: جَمْعُ جِرَاحَةٍ بِالْكَسْرِ أَيْضًا، وَرَجُلٌ جَرِيحٌ، وَامْرَأَةٌ جَرِيحٌ، وَرَجَالٌ وَنِسْوَةٌ جَرَّحَى.

والجوارح جمع، ومفرده جارحة، وهي: العضو العامل من أعضاء الجسد كاليد، والرجل، وعوامل جسده، وما يصيد من الطير والسباع والكلاب، ونحوها، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمِينَ الْجَوَارِحَ﴾ [المائدة: ٤] واجتراحه: عمله بها، أي اكتسابه^(١).

والظَّاهِرُ: خِلَافُ الْبَاطِنِ، ظَهَرَ الْأَمْرُ يَظْهَرُ ظُهُورًا، فَهُوَ ظَاهِرٌ، وَظَهِيرٌ، وَمَعْنَى ظَهَرَ: تَبَيَّنَ وَبَرَزَ^(٢).

(١) ينظر: المحيط في اللغة، لابن عباد، (٢/٤٠٢)؛ ولسان العرب، لابن منظور، (٢/٤٢٢)؛ ومختار الصحاح، للرازي، (ص ١١٩)؛ والمعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، (١/١٥٥).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٤/٥٢٣)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، (١٢/٤٨٤)؛ والمعجم

وعلى هذا فإن الجوارح الظاهرة تطلق على الأعضاء التي في جسم الإنسان والتي يستخدمها، فكل عمل ينسب إلى العين، أو الأذن، أو اللسان، أو الفم، أو اليد، أو الرجل، أو الفرج هو من عمل الجوارح؛ لأن كل عضو منها هو جارح، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وكل عضو من هذه الجوارح له وظائف طبيعية خاصة به، كالبصر للعين، والسمع للأذن، والنطق للسان والفم، والحركة لليد، والسير للرجل، وقضاء الحاجة للفرج، وله وظائف خاصة بالعبادة، كغض البصر للعين، وامتناع الأذن عن سماع الحرام، والقراءة والذكر للسان والفم، والكسب الحلال لليد، والسير بالرجل لما يرضي الله، ومباشرة الفرج للحلال وامتناعه عن الحرام.

وقد جاءت أغلب هذه الجوارح في الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزَّنَى مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الْإِسْتِغَاغُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زِنَاهَا الْخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»^(١).

المطلب الثاني: سبب تسميتها بالجوارح.

تطلق الجوارح على ذوات الصيد من السباع كالكلاب والطيور؛ لأنها تجرح لأهلها أي: تكسب لهم، سُميت بذلك لأنها كواسب أنفسها، وسميت جوارح الإنسان بذلك؛ لأنهن يجرحن الخير والشر، أي: يكسبنه، والأفعال تنسب إلى الجوارح، فسميت بذلك؛ لأنها

الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، (٥٧٨/٢).

(١) المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لمسلم، كتاب: القدر، باب: قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، ح (٦٩٢٥)، (٥٢/٨).

تُكْتَسَبُ^(١)، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]. ومعنى (جرحتم): كسبتم، وأصل الجرح تمزيق جلد الحي بشيء محدد مثل السكين، والسيف، والظفر، والنباب، وأطلق على كلاب الصيد وبزاته^(٢) ونحوها، اسم الجوارح؛ لأنها تجرح الصيد ليمسكه الصائد. قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ﴾ [المائدة: ٤]، فصار لفظ الجوارح مرادفًا للكواسب، وشاع ذلك فأطلق على الكسب اسم الجرح^(٣).

والجرح يطلق على العمل والكسب بالجوارح، وعلى التأثير الدامي من السلاح، وما في معناه كالبرائن^(٤)، والأظفار، والأنياب من سباع الطير والوحش، وتسمى الخيل والأنعام المنتجة جوارح أيضًا، لأن نتاجها كسبها، والجرح كالكسب يطلق على الخير والشر^(٥).

قال الإمام الطبري: "والطير سميت (جوارح)، لجرحها لأربابها، وكسبها إيّاهم أقواتهم من الصيد، يقال منه: جرح فلان لأهله خيرًا، إذا أكسبهم خيرًا، وفلان جارحة أهله، يعني بذلك: كاسبهم، ولا جارحة لفلانة، إذا لم يكن لها كاسب، ومنه قول أعشى بني ثعلبة^(٦):

ذاتَ حَدِّ مُنْضِحٍ مِيسَمُهَا تُذَكِّرُ الْجَارِحَ مَا كَانَ اجْتَرَحَ^(٧).

يعني: اكتسب^(٨).

- (١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٤٢٥ / ١٥)؛ وتاج العروس، للزبيدي، (٣٣٨ / ٦).
- (٢) بازٍ وبازٌ وبازٌ وبازِيٌّ: وَالْجُمُعُ بَوَازٍ وَبِرَاةٌ: صَرَبٌ مِّنَ الصُّقُورِ الَّتِي تَصِيدُ. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٧٢ / ١٤).
- (٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٧٦ / ٧).
- (٤) البرائين من السباع والطير كالأصابع من الإنسان والمخلب ظفر البرثن. ينظر: مختار الصحاح، للرازي، (ص ٧٣).
- (٥) ينظر: تفسير المراعي، (١٤٣ / ٧).
- (٦) هو: ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والاعشى الكبير: من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه، توفي سنة: (٦٢٩ هـ = ٣٤١ م). ينظر: الأعلام، للزركلي، (٣٤١ / ٧).
- (٧) البيت من قصيدة طويلة للأعشى، مجد فيها إياس بن قبيصة الطائي، ملك الحيرة. ثم ختم القصيدة بذكر الخمر، وذكر شبابه وما كان فيه من لهو ومروءة وبأس. ينظر: ديوانه، (ص ١٤٥).
- (٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، (٥٤٣ / ٩).

المبحث الأول:

عناية القرآن بجارحة الأذن

وهب الله تعالى للإنسان أذناً تسمع، فهو يميز بسمعه بين الأصوات، ويعرف به ما يضره وينفعه، وقد جاء ذكر هذه الحاسة في آيات عديدة من القرآن الكريم، وغالباً ما يتقدم السمع على البصر في القرآن الكريم، وقد جاء ذلك في عشرين موضعاً تقريباً، ومن تلك المواضع، قوله تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]. وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْئُورًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَحَتَّمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِمَن نَّهْمُ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ آيَاتٍ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

قال الشيخ الشعراوي: "ما تراه العين هو تجربة الإنسان بنفسه، أما ما يسمعه الإنسان فهو تجربة كل غير له، وبذلك يكون السمع أكثر اتساعاً من العين، والسمع هو وسيلة الإدراك التي توجد أولاً في الإنسان حين يولد، ونجد المولود لا يهتز عندما يقترب شيء من عينه؛ لأنه لا يرى بدقة وقد يستمر ذلك لمدة عشرة أيام ومن بعد ذلك يبدأ في الرؤية، لكن الطفل إذا سمع صوتاً بجانب أذنيه ينفعل، كأن حاسة السمع هي التي توجد أولاً، ولذلك يأتي لنا الحق بذكر السمع أولاً ومن بعد ذلك الأبصار"^(١).

إن من أعظم العبادات المرتبطة بالسمع هي عبادة سماع القرآن، ففيه راحة ولذة وسكينة، وفيه شفاء للصدر، وارتقاء بالعقول، وتجليّة للنفوس، لماله من آثار نفسية على المؤمن،

(١) تفسير الشعراوي، (٦/٣٣١٠).

فهو يسمو بروحه ليتجاوز العالم الحسي، فسماع القرآن يترتب عليه إدراك وفهم وإجابة لنداء الله تعالى، وقد أدرك ذلك الجن عندما سمعوا القرآن يُتلى من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ﴿٣٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٠﴾ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَعْفِرْ لَكُمْ مَن ذُنُوبِكُمْ وَيُحَرِّم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٤١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٩-٣٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحب أن يسمع القرآن من غيره، فكان يأمر أصحابه بذلك، كما صحَّ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: «إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»^(١).

والمسموع ثلاثة أنواع، سماعٌ يحبه الله ويرضاه، كسماع القرآن، والذكر، وما يكون في حلق العلم، والخطب النافعة، وطلب العلم عمومًا، ونحوها، وسماعٌ مباح، كأحاديث الناس في أمور دنياهم، وتجاذب الحديث في مجالسهم، والقصص التي لا تحتوي على محظور شرعي، وسماعٌ محرم، كالاستماع إلى الغيبة، والنميمة، واللغو، والباطل، ونحوها مما حرمه الله تعالى.

وجاء النهي في القرآن الكريم عن الاستماع إلى ما حرم الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]. واللغو: هو كل شيء باطل من الغيبة، والنميمة، وسائر المعاصي، ومن الكلام الذي لا فائدة فيه، وقيل: هو ما يلهي عن الله، ويُقال: ما لا يوجب وسيلةً عند الله، ويُقال: ما لا يكون بالحق للحق، ويُقال:

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: من أحب أن يسمع القرآن من غيره، ح (٥٠٤٩)، (١٩٥/٦)، واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع، ح (١٩٠٥)، (١٩٦/٢).

هو ما صدر عن قلب غافل، ويُقال: هو ما يوجب سماعه السهو^(١)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، قال الإمام الطبري: "وإذا مرّوا بالباطل فسمعوه أو رأوه، مرّوا كرامًا، مرورهم كرامًا في بعض ذلك بأن لا يسمعوه"^(٢).

وجاء النهي عن الاستماع والجلوس مع الذين يخوضون في آيات الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِنَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] والمراد بالخوض في آيات الله: تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله، فأمر الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلاً وأُمَّته تبعاً أنّهم إذا رأوا من يخوض بآيات الله بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك، حتى يكون البحث والخوض في كلام غيره، فإذا كان في كلام غيره، زال النهي المذكور^(٣).

قال الإمام ابن عطية: "لفظ هذا الخطاب مجرد للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده، واختلف في معناه فقليل إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه، قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الصحيح، لأن علة النهي وهي سماع الخوض في آيات الله يشملهم وإياه"^(٤).

وصح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النهي عن سماع حديث قوم وهم له كارهون، فقال: «... وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفْرُونَ مِنْهُ، صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكُ^(٥) يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٦).

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري، (١٩/٥٩٧)؛ ولطائف الإشارات؛ للقشيري، (٣/٧٣)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص ٦٢٠).

(٢) جامع البيان، (١٩/٣١٥).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص ٢٦٠).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/٣٠٤).

(٥) الآنك: الرصاص. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (١٠/٣٩٤).

(٦) صحيح البخاري، كتاب: التعبير، باب: من كذب في حلمه، ح(٧٠٤٢)، (٩/٤٢).

وقد حذر الله تعالى من الاستماع إلى ما يغضبه، وأن الإنسان سوف يسأل يوم القيامة عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

علاقة السمع باللسان:

للسمع علاقة ظاهرة باللسان من جهة أن الإنسان قد يسمع القرآن، والحديث، والذكر، والخطب النافعة، والكلام المفيد، ونحو ذلك، ثم يعلمها للناس بلسانه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْ شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»^(١). وعلى العكس من ذلك فقد يستمع للغيبة، والنميمة، والأخبار غير الموثوقة، ثم يبادر بنشرها بلسانه دون التحقق، فيقع في الكذب والبهتان، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

فحريٌّ بالمؤمن أن يسخر سمعه لما فيه نفعه في الدنيا والآخرة وأن لا يعرض بسمعه عن الحق فيندم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، فالسمع والجوارح في حقيقة الأمر ليست مُلْكًا لنا، إنما هي أمانةٌ عندنا فلا يجوز التصرف فيها إلا بإذن مالِكها وهو الله سبحانه وتعالى وبما يراه هو لا ما نراه نحن.

(١) جامع الترمذي، أبواب العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ح(٢٦٥٧)، (٣٣١/٤)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح". واللفظ له؛ وسنن ابن ماجه، أبواب السنة، باب: من بلغ علماً، ح(٢٣٣)، (١٥٨/١)؛ والحديث صححه الألباني. ينظر: صحيح الجامع الصغير، (١١٤٥/٢).

المبحث الثاني:

عناية القرآن بجارحة العين

وجهنا الله تعالى إلى حسن استعمال هذه الجارحة من خلال التفكير في ملكوت السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقد أمرنا تعالى بشكرها، فقال: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، وقال أيضاً: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك: ٢٣]. وهي من أشد النقم إذا سخرها الإنسان فيما يغضب الله تعالى، وقد عني القرآن الكريم عناية خاصة بالعين، وأرشدنا الله تعالى إلى السلوك الأخلاقي القويم الذي يخلصنا من كل المساوئ الأخلاقية، فقال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُؤًا مِّنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ وقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١]. في الآية أمر إلهي لعباده المؤمنين بغض بصرهم عما لا يحل النظر إليه، فلا ينظرون إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وغض البصر يشمل كل ما حرم الله النظر إليه، فلا يمعن المسلم نظره في النساء المتبرجات، والصور الخليعة في الشاشات ومواقع الانترنت، وقدّم الله تعالى غض البصر عن حفظ الفرج؛ لأن النظره سهم مسموم من سهام إبليس وهي بريد الزنا وطريق الفجور، والمؤمن مأمور بأن لا يتبع النظرة النظرة، فعن ابن بريده عن أبيه، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلّي: «يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَىٰ وَكَأَنَّ لَكَ الْآخِرَةَ»^(١) وعليه صرف بصره إن وقع فجأة على ما يغضب الله، عن جرير بن

(١) سنن أبي داؤود، كتاب: النكاح، باب: ما يؤمر به من غض البصر، ح(٢١٤٩)، (٣/٤٨١)؛ وجامع الترمذي، أبواب الآداب: باب: ما جاء في نظر الفجأة، ح(٢٧٧٧)، (٤/٣٩٨)، وقال: "هذا حديث غريب، لانعرفه إلا من حديث شريك"؛ قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه". ينظر: المستدرک علی الصحیحین، کتاب النکاح: ح(٢٧٨٨)، (٢/٢١٢)؛ قال الألباني: "حديث حسن". ينظر: صحيح سنن أبي داؤود، (٦/٣٦٤).

عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرِ النُّجَاءِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»^(١).

وجاء النهي عن نظر الرجل إلى عورة الرجل، والمرأة إلى عورة المرأة، فيجب على الرجل والمرأة ستر عورتها، ولا يجوز لهما كشفها، لأن هذا سبب من أسباب الفتنة وتحرك الشهوة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ»^(٢).

وورد التحذير عن الجلوس على الطرقات؛ لأنه يؤدي إلى كشف العورات والنظر في خصوصيات الناس، فإن كان ولا بد من الجلوس فعلى المؤمن أن يغض بصره ويحفظ نفسه ولا يرتكب ما حرم الله، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إياكم والجلوس على الطرقات»، فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: «فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها»، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر»^(٣).

وقد أمر الله تعالى بحفظ البصر ووعده بالمسؤولية عنه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. فما تبصره العين يؤثر في القلب ولا شك في ذلك، فالإنسان يُسأل عن بصره وما اكتسبته جوارحه يوم القيامة، إذا لم يستعملها فيما يرضي الله، ولم يعملها فيما يُنجيه من عقاب الله، وقد وعد نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حفظ بصره بالجنة، حين قال: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا

(١) صحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: نظر الفجأة، ح(٥٧٧٠)، (١٨١/٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الحيض، باب: تحريم النظر إلى العورات، ح(٧٩٤)، (١٨٣/١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب: أغنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعداء، ح(٢٤٦٥)،

(١٣٢/٣)، واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق

حقه، ح(٥٦٨٥)، (١٦٥/٦).

إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أَوْثَمْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ^(١).

وحذّر القرآن من استراق النظر إلى ما لا يحل، وهي النظرة المختلطة المريبة، فقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وخيانة الأعين مسارعة النظر إلى ما لا يحل، روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: "هو الرجل يكون بين الرجال، فتمر بهم امرأة فينظر إليها، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره". وروي عن السدي: "خائنة الأعين هو الرص بالعين"^(٢). وصاحب النظرة الخائنة يجتهد في إخفائها خوفاً من افتضاح أمره بين الناس؛ ولكنها لا تخفى على الله، فحريّ بالمؤمن أن يراقب الله في عمل جوارحه، ولا يجعل الله تعالى أهون الناظرين إليه.

وللمفسرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في المراد بخائنة الأعين أربعة أقوال: أحدها: أنه الرجل يكون في القوم فتمر به المرأة فيريهم أنه يغض بصره، فإذا رأى منهم غفلةً لحظ إليها، فإن خاف أن يفتنوا له غَضَّ بصره، والثاني: أنه نظر العين إلى ما نهى عنه، والثالث: الغمز بالعين، والرابع: النظرة بعد النظرة^(٣).

ونهى الله سبحانه وتعالى عن الهمز واللمز، وتوعد من يهمز الناس ويلمزهم بوادٍ في جهنم، فقال تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٌ﴾ [الهمزة: ١]. ورد عن بعض السلف أن اللمز يكون باللسان والعين، ونقل عن بعضهم أن المراد بالهمزة واللمزة: الطعان والذي يأكل لحوم الناس^(٤).

(١) مسند أحمد، ح (٢٢٧٥٦)، (٤١٧/٣٧). قال محققو المسند: "حسن لغيره، وإسناده رجاله ثقات"، وقال الألباني: "حسن" ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، (١/٢٣٤).

(٢) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني، (٥/١٣).

(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٤/٣٣).

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٥٩٦/٢٤)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/٣٣).

إنَّ في غض البصر عمّا حرم الله منافع كثيرة، منها: امتثال أمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده، وأنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم - الذي ربما يكون فيه هلاكه - إلى قلبه، ويورث القلب أنساً بالله، ويقوي القلب ويفرحه، ويكسبه نوراً، ويورثه فراسةً صادقة يميز بها بين الحق والباطل، والصادق والكاذب، ويورثه ثباتاً وشجاعةً وقوةً، ويسدل على الشيطان مدخله من القلب، ويفرغ القلب للتفكير في مصالحه^(١).

أما النظرة المحرمة فهي تزرع في القلب الشهوة، ورُبَّ شهوةٍ أورثت غماً طويلاً، قال الشاعر^(٢):

" كل الحوادث مبدؤها من النظرِ
ومعظم النار من مستصغر الشررِ
والمرء ما دام ذا عين يُقلبها
في أعين الغيد^(٣) موقوف على الخطرِ
يُسِر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحباً بسرورٍ جاء بالضررِ
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها
فتك السهام بلا قوس ولا وترِ "

ففي حفظ البصر لذة لا يعرفها إلا من ذاق حلاوتها، وفيه تخلص للقلب من ألم حسرة قد بطول بصاحبها، ويوهنه عن فعل الطاعات، وفيه تفويت الفرصة على الشيطان، وسدّ للطرق الموصلة إلى الفاحشة.

علاقة البصر بالفرج:

وهناك علاقة سبب ونتيجة بين البصر والفرج، فيحفظ البصر الإنسان فرجه، ويأطلاقه قد يقع الإنسان في المحذور، وهي فاحشة الزنا، كما تقدم في قوله تعالى:

(١) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، (ص ١٨١).
(٢) لم أقف على اسم الشاعر، وقيل أنها منسوبة للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، والله تعالى أعلم.
(٣) الغَيْد: النعومة، وامرأة غَيْدَاءٌ وغَادَةٌ أي ناعمة. ينظر: مختار الصحاح، للرازي، (ص ٤٨٨).

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿[النور: ٣٠-٣١]. وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه العلاقة بين البصر والفرج، حين قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ^(١) فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ^(٢)»^(٣).

المبحث الثالث:

عناية القرآن بجراحة الفم

جراحة الفم من الجوارح الهامة التي يترتب عليها طيب المطعم والمشرب، وقد وجهنا الله تعالى لأكل الطيب الحلال، وأمرنا بشكر هذه النعمة، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]

(١) الباءة: النكاح والتزويج. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٣٦/١).

(٢) إصل الوجاء: أن رضى أنثيا الفحل رضى شديداً يذهب شهوة الجعاع، وفي الحديث تشبيه بذلك، أي أن الصوم يكون كالوجاء الذي يضعف الشهوة. ينظر: تاج العروس، للزبيدي، (٤٨٢/١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: من لم يستطع الباءة فليصم، ح (٥٠٦٦)، (٣/٧)، واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، ح (٣٤٦٤)، (١٢٨/٤).

وَقَالَ: ﴿يَتَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يُمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَعُذِي بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ «^(١).

قال الإمام القرطبي: " سُمي الحلال حلالاً لأنحلال عقدة الحظر عنه، قال سهل بن عبدالله^(٢): النجاة في ثلاثة: أكل الحلال، وأداء الفرائض، والافتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال أبو عبدالله الساجي واسمه سعيد بن يزيد^(٣): خمس خصال بها تمام العلم، وهي: معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، ومعرفة الحق وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يرفع العمل. قال سهل: ولا يصح أكل الحلال إلا بالعلم، ولا يكون المال حلالاً حتى يصفو من ست خصال: الربا، والحرام، والسحت - وهو اسم مجمل -، والغلول، والمكروه، والشبهة"^(٤).

وقد أمرنا الله تعالى بحفظ هذه الجارحة كما أمرنا بحفظ باقي الجوارح، فمن حَفَظَهَا ألا يدخل الفم ما حرم الله من المآكل والمشارب كالمخدرات، والخمر، وسائر المسكرات، والدخان، وسائر مشتقات التبغ، والله تعالى لا يقبل من آكل الحرام عملاً صالحاً ولا صدقة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَامًا، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ، وَكَانَ إِصْرُهُ عَلَيْهِ»^(٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ح(٢٣٩٣)، (٣/ ٨٥).

(٢) هو أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى التستري، ولد سنة: (٢٠٠هـ)، وهو أحد أئمة الصوفية وعلماهم والمتكلمين في علوم الاخلاص، والرياضيات وعيوب الافعال، من مؤلفاته، كتاب: (تفسير القرآن)، وكتاب (رقائق المحبين). توفي سنة: (٢٨٣هـ). ينظر: حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، (١٠/ ١٩٠)؛ والأعلام، للزركلي، (٣/ ١٤٣).

(٣) هو أبو عبدالله سعيد بن بريد الصوفي النابجي، قدوة عابد رباني، له كلام شريف ومواعظ، حدث عن: الفضل بن عياض، وأبي جديدة العابد، وحدث عنه: أحمد بن أبي الحواري، وأحمد بن محمد بن بكر القرشي، ومحمد بن يوسف الأصبهاني، وغيرهم، توفي في حدود سنة: (٢٢٠هـ)، جاء اسمه في حلية الأولياء: سعيد بن يزيد الساجي، ويبدو أنه تحريفاً، فقد أثبت اسمه في أكثر الكتب التي ترجمت له: سعيد بن بريد النابجي. ينظر: حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، (٩/ ٣١٠)؛ وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (٨/ ٢٣٥)؛ والوفاء بالوفيات، للصفدي، (١٥/ ١٢٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (٢/ ٢٠٨).

(٥) صحيح ابن حبان، ح(٣٣٦٧)، (٨/ ١٥٣)؛ قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان: "إسناده حسن"، (٨/ ١٥٣)؛ وقال الألباني: "حسن". ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، (١/ ٢١٤).

وهنا الله تعالى عن أكل أموالنا بيننا بالباطل، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]. أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي: من غير الوجه الذي أباحه الله له، وأكل المال بالباطل إما أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب، أو يأكله بطريق اللهو كالقمار وثمان الخمر والملاهي ونحو ذلك، أو يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور. أو بالخيانة وذلك في الوديعة والأمانة ونحو ذلك، ومن أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة، لأنه لما كان أكلهم ذلك يؤدي إلى النار، ساهم آكلين للنار^(١).

وكما هنا الله تعالى عن أكل أموالنا بيننا بالباطل، هنا أيضاً عن شرب المحرم، كالخمر ونحوها، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]. سهاها الله تعالى "رِجْسٌ" والرجس في اللغة: كل ما استُقدِر من عمل، وأخبر أنها من عمل الشيطان، وهذا مكمل لكونه رجساً؛ لأن الشيطان نجسٌ حيث؛ لأنه كافر، والكافر نجس، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨]. والخبيث لا يدعو إلا إلى الخبيث لقوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ [النور: ٢٦]^(٢). وقد حرم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا الشرب في آنية الذهب والفضة وإن كان المشروب حلالاً، وأخبر أن من أكل، أو شرب فيهما فإنما يخرج في بطنه نار جهنم، فقال عليه الصلاة والسلام: «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ»^(٣).

(١) ينظر: تفسير القرآن، للسماعي، (١/٤٠٠)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢/٢٢٢)؛ ولباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (١/١١٩-١٢٠).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (١٢/٤٢٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأطعمة، باب: من أكل في إناء مفضض، ح (٥٤٢٦)، (٧/٧٧)، واللفظ له، وصحيح مسلم،

وقال عليه الصلاة والسلام: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنَاءِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ»^(١).

إن أكل الحرام وشرب الحرام عاقبته وخيمته في الآخرة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَسَدٌ غُدِّيَ مِنَ الْحَرَامِ»^(٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يَرُبُّو لَحْمَ نَبْتٍ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(٣).

وحذّر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عقوبة الذين يأكلون المال الحرام بغير حق، وإن مصيرهم النار يوم القيامة، فقال: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

فيجب على المسلم أن يتحرى طعامه وشرابه، فلا يأكل حراماً ولا يتناول شراباً محرماً، فأكل الحرام وشربه من أعظم حرمان الرزق الطيب، ويمنع إجابة الدعاء وقبول العبادة، كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد «... ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ»^(٥). كما أن أكل الحلال وشربه سبب لقبول الدعاء والعبادة، قال الإمام ابن كثير: "والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة"^(٦).

كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، ح (٥٥٢١)، (١٣٧/٦).

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأشربة، باب: آنية الفضة، ح (٥٦٣٤)، (١١٣/٧)، وصحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء، ح (٥٥٠٦)، (١٣٤/٦).

(٢) ينظر: مسند أبي يعلى الموصلي، ح (٨٣)، (٨٤/١)؛ والمعجم الأوسط، للطبراني، ح (٥٩٦١)، (١١٢/٦)؛ قال الهيثمي: "رجال أبي يعلى ثقات، وفي بعضهم خلاف". ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (٢٩٣/١٠)؛ والحديث صححه الألباني، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، (١٥٠/٢).

(٣) جامع الترمذي، أبواب السفر، باب: ما ذكر في فضل الصلاة، ح (٦١٤)، (٥١٢/٢)، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»؛ والحديث صححه الألباني، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، (١٥٠/٢).

(٤) صحيح البخاري، كتاب: فرض الخمس، باب: قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، ح (٣١١٨)، (٨٥/٤).

(٥) تقدم تخرجه في هذا البحث.

(٦) تفسير القرآن العظيم، (٤٨٠/١).

العلاقة بين الفم واليد والرجل:

وبين الفم واليد والرجل علاقة وطيدة، فالإنسان يمشي على رجليه؛ ليعمل بيديه، فيطعم فمه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المك: ١٥] فمن مشى في طلب الرزق وعمل بيديه ليطعم فمه، ويسقيه، أو يطعم ويسقي من يعول من الكسب الحلال، نال الأجر والثواب من الله تعالى، وهو في سبيل الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَىٰ وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَىٰ أَبْوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَىٰ نَفْسِهِ يُعْفُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»^(١).

وفي المقابل من ذلك نجد من يمشي على رجليه ليسرق بيديه، ويطعم ويسقي نفسه ومن يعول من الكسب الحرام، وقد نهانا الله تعالى عن مثل هذا الكسب وسماه باطلاً، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا نَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]. فالآية عامة في كل ما لا يحل في الشرع، كالسرقة والغصب، والربا، والقمار، والغش في المعاملات، ونحو ذلك.

فهذه الجوارح (الفم، واليد، والرجل)، مكملة لبعضها في الكسب الحلال، أو الحرام.

(١) المعجم الكبير، للطبراني، (١٢٩/١٩)؛ قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الثلاثة، ورجال الكبير رجال الصحيح". مجمع الزوائد، (٣٢٥/٤)؛ والحديث صححه الألباني. ينظر: صحيح الجامع الصغير، (٣٠١/١).

المبحث الرابع:

عناية القرآن بجراحة اللسان

اللسان عضلة صغيرة في فم الإنسان، يتكلم به الإنسان ويعبر به عما في نفسه، ويذكر به ربه، وبه يتميز عن سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨، ٩]. وهو ذو خطر جسيم، لسهولة وخفة اقترافه للكبائر كالغيبة، والنميمة، والبهتان، والشتم، والاستهزاء، وربما أوقع الإنسان في الكفر، وهو أشد الجوارح طغيانًا وأكثرها فسادًا، فمن أحسن استعماله نجا وفاز، ومن أساء استعماله خاب وخسر، ولقد اعتنى الإسلام بحفظ اللسان أيما عناية، فجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تأمر بحفظه وتوجهه إلى طريق نجاته، وتحذر من إطلاق عنانه وسوء استعماله، فمدار الجوارح كلها عليه، فإن انتظم أخذت بقية الجوارح مكانها الطبيعي من الالتزام والانضباط، وإن انفلت تبعته، فجميع الجوارح مرتبطة باللسان في استقامته واعوجاجه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا»^(١)، وقال: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»^(٢).

فالإنسان مسؤول عن كل ما يتلفظ به، ومسجل عليه كل ما ينطق به، وسيحاسبه الله تعالى على كل ما يخرج من لسانه، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "يكتب كل ما تكلم به من خير، أو شر حتى إنه ليكتب قوله أكلت، وشربت، ذهبت، وجئت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر ما كان

(١) جامع الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، ح (٢٤٠٧)، (٤/٦٠٥)؛ قال الألباني: "حسن". ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، (٣/٥٨).

(٢) مسند أحمد، ح (١٣٠٤٨)، (٢٠/٣٤٣)؛ قال الهيثمي: "رواه أحمد وفي إسناده علي بن مسعدة وثقه جماعة وضعفه آخرون". ينظر: مجمع الزوائد، (١/٢١٣)؛ والحديث حسنه الألباني، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، (٢/٣٤٣).

فيه من خير، أو شر وألقي سائرهم، فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]"^(١).

إن حفظ اللسان يكون بالامتناع عن كل كلام غير مرضي شرعاً، فالضابط في ذلك هو الشرع الحكيم، فيجب على كل إنسان أن يزن كلامه بميزان الشرع، ويضبطه بضوابطه، فإن وجدته موافقاً لما يأمر به الشرع تكلم به، وإلا أمسك لسانه عن الكلام الذي لا مصلحة من ورائه، أو فيه ضرر عليه وعلى غيره، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۗ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. ومعنى ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾، أي: "قولاً قاصداً غير جائر، حقاً غير باطل"^(٢)، والظاهر من الآية أن الله تعالى أمر المؤمنين بأن يقولوا قولاً سديداً في جميع ما يأتونه.

ويجب على المسلم أن يحفظ لسانه ولا يستهين بكلامه، فرب كلمة لا يلقي لها بالاً يسخط الله بها عليه إلى يوم القيامة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».^(٣)

ومن مظاهر حفظ اللسان:

(١) حفظه من الغيبة والنميمة والبهتان، فهي صفات تهدم حياة الناس وتفسد المجتمعات، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطَّعْ

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/٣٩٩)؛ وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، (ص ١٣٤).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٢٠/٣٣٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب: الرقاق، باب حفظ اللسان، ح(٦٤٧٧)، (٨/١٠٠)؛ وصحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقاق، باب: التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، ح(٧٦٧٢)، (٨/٢٢٣)، واللفظ له.

كُلِّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ [القلم: ١٠-١١]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَحَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَحَى مَا أَقُولُ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «... وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْعَةَ الْخُبَالِ»^(٢) حَتَّى يَخْرُجَ بِمَا قَالَ»^(٣).

وقال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَمَامٌ»^(٤).

(٢) حفظه من الكذب، والكذب من كبائر الذنوب وهو صفة ذميمة من صفات المنافقين، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُوْمِنَ خَانَ»^(٥). وأعظم الكذب هو الكذب على الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِدَهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِدَهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِيمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥] وقد بين الله تعالى عظم جرم الكذب عليه، فقال: ﴿الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٤١) أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْرَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿ [النساء: ٤٩-٥٠]، وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^(١١٦) مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [النحل: ١١٦-١١٧]، ويلى الكذب على الله جرماً الكذب على

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: تحريم الغيبة، ح(٦٧٥٨)، (٢١/٨).

(٢) ردغة الخبال: عصارة أهل النار. ورد تفسيرها في حديث آخر طويل رواه ابن ماجه، وفيه: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَدْعَةُ الْخُبَالِ؟ قَالَ: «عَصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ». ينظر: سنن ابن ماجه، أبواب الأشربة، باب ما يكون منه الخمر، ح(٣٣٧٧)، (٤٦٦/٤).

(٣) سنن أبي داؤود، كتاب: الأقضية، باب: فيمن يعين على خصومه من غير أن يعلم أمرها، ح(٣٥٩٧)، (٤٥٠/٥). قال المحقق: "أسناده صحيح"، وقال الألباني: "قال الحاكم: صحيح الإسناد". ووافقه الذهبي، وهو كما قال، ورجاله ثقات رجال مسلم غير يحيى بن راشد وهو ثقة كما في (التقريب). ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها، (٧٩٩/١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الإيثار، باب: بيان غلظ تحريم النميمه، ح(٣٠٣)، (٧٠/١).

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الإيثار، باب: علامة المنافق، ح(٣٣)، (١٦/١)، وصحيح مسلم، كتاب: الإيثار، باب: بيان خصال المنافق، ح(٢٢٠)، (٥٦/١).

الأنبياء، كأن يكذبونهم في رسالتهم، أو ينسبون إليهم قولاً كاذباً، قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَى الرَّأْيِ وَمَا نَزَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِ بَلْ نُنَظِّكُمْ كَذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَقِ الدُّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ [القمر: ٢٥]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

(٣) ومن أنواع الكذب، الكذب على الناس وعلى النفس، وكلاهما مذموم وضرره كبير على صاحبه وعلى المجتمع، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» ثلاثاً، قالوا: بلى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَجَلْسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»^(٢). ومن الكذب على النفس، قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّاوُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٣) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ^(٤) أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢-٢٤].

(٤) حفظه عن السب والشتم، فهما يؤديان إلى القطيعة والتنافر، ويزرعان العداوة والبغضاء بين المسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]. والسب والشتم ليستا من صفات المؤمنين، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَدِيءِ»^(٣)

(١) صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما يكره من النباحة على الميت، ح(١٢٩١)، (٢/٨٠)؛ وصحيح مسلم، في المقدمة، باب: في التحذير من الكذب على رسول الله، ح(٤)، (٧/١).
 (٢) صحيح البخاري، الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، ح(٢٦٥٤)؛ (٣/١٧٢)؛ وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، ح(٢٦٩)، (١/٦٤).
 (٣) جامع الترمذي، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في اللعنة، ح(١٩٧٧)، (٤/٣٥٠)، قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ"؛ وصححه الألباني، ينظر: السلسلة الصحيحة، (١/٦٣٤).

ووصف صلى الله عليه وسلم سباب المسلم بالفسوق، فقال: «سباب المسلم فسوق وقاله كفر»^(١).

وهما سبب إفلاس العبد يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما المفلس». قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيته حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحه عليه ثم طرح في النار»^(٢).

فإذا حفظ الإنسان لسانه، وأحسن استعماله، وجعله رطباً من ذكر الله، كان ذلك من أعظم أسباب دخول الجنة، وإذا لم يقيده ويضبطه بضوابط الشرع، كان ذلك من أعظم أسباب دخول النار، وخير ما يشغل به الإنسان لسانه ذكر الله تعالى كقراءة القرآن، والتهليل، والتسييح، والتحميد، وقول الحق، وشهادة الحق، والدعوة إلى الله تعالى، وتعليم الناس ما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم، وما يعود عليهم بالنفع في آخرهم، فالآيات والأحاديث كثيرة جداً في فضل القرآن، وثواب قراءته، واستماعه، وفي فضل الذكر وثوابه، والحث عليه، وحسبنا منها ما يفي بالغرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ح(٤٨)، (١٩/١)؛ وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان قول النبي سباب المسلم فسوق، ح(٣٠)، (٥٧/١).
(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: تحريم الظلم، ح(٦٧٤٤)، (١٨/٨).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(١).

وقال: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٢).

المبحث الخامس:

عناية القرآن بجراحة اليد

خلق الله للإنسان يدين يتمتع ويستعين بهما على قضاء حوائجه، فما أجمل خلقهما وتركيبهما، جعلها الله تعالى ممتدتين، ومتساويتين، ومزودتين بالأصابع؛ ليسهل استعمالهما والانتفاع بهما، وما أعظم شأنهما ونفعهما، فبهما نأكل ونشرب، وبهما نكد ونعمل، وبهما نخط ونكتب، وبهما نتوضأ ونغتسل، وبهما ندعوا ونسبح، وبهما نتصدق ونجاهد، ولعظم نفعهما وخطرهما لم يغفلها القرآن، فقد جاءت آيات متعددة تتحدث عن منافع اليد، قال تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٥]. امتن الله تعالى على الإنسان بإنشاء الجناات في الأرض ليأكلوا من ثمرها، وما عملته أيديهم مما غرسوه وزرعوه^(٣). قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»^(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح(٧٠٢٨)، (٨/٧١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسييح، ح(٦٤٠٦)، (٨/٨٦).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٢٠/٥١٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، ح(٢٠٧٢)، (٣/٥٧).

وقال تعالى: ﴿فَتَلُوهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]. فباليد يجاهد المؤمن أعداء الله، ويرفع راية الإسلام، وينصر المسلمين، ويدفع الأذى عن المستضعفين. وباليد ينفق المؤمن في سبيل الله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]. وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِئْأَهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ»^(١).

وفي اليد توجد الأصابع التي يسبح بها الإنسان لله تعالى، وتوجد البصمة، التي تميز كل إنسان عن الآخر، وتستخدمها الدول للكشف عن المجرمين، قال تعالى: ﴿بَلَى قَدَرِينَ عَلَيَّ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٤].

وعن حميضة بنت ياسر، عن يسيرة أخبرتها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُنَّ أَنْ يُرَاعِينَ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّهْلِيلِ، وَأَنْ يَعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ، فَإِنَّهُنَّ مَسْؤُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ^(٢). وجاءت آيات أخرى تنسب جميع كسب جوارح الإنسان إلى يده، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَنْمُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٧].

فمن أهمل يده ولم يقيدتها بضوابط الشرع الحكيم حوسب بما اقترفته، وسوف تشهد يده وجوارحه على عمله يوم القيامة، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. ومن صور إهمال اليدين: الاعتداء على الناس بالقتل، والضرب،

(١) صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: صدقة السر، (١١٠/٢)؛ وصحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، ح(٢٤٢٧)، (٩٣/٣).

(٢) سنن أبي داؤود، أبواب فضائل القرآن: الزكاة، باب: التسييح بالخصى، ح(١٥٠١)، (٦١٦/٢)، وجامع الترمذي، أبواب الدعوات، باب: في فضل التسييح والتهليل والتقديس، ح(٣٥٨٥)، (٤٦٣/٥). قال الألباني: "حديث حسن"، وصححه ابن حبان، والذهبي. ينظر: صحيح سنن أبي داؤود، (٢٣٦/٥).

والسرقة، والنهب، والرشوة، والإفساد ونحوها، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(١)، وقال: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكٍ»^(٢).

ومن صور إهمال اليدين تسخيرها في الكتابة والتقول على الله وشريعته بما ليس لصاحبها به علم، والطعن في دين الله، ومحاربه، والافتراء على المؤمنين، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

إن من شكر نعمة اليدين أن يسخرهما لما يحبه الله ويرضاه، وبما يعود عليه وعلى الناس بالنفع في الدنيا والآخرة، وكفهما عن كل ما يؤذي الناس ويؤدي إلى ترويعهم ويزعزع أمنهم، وكم عانت أمتنا الإسلامية من تبعات الإرهاب وخطر الإرهابيين، وأفكارهم المشؤومة.

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح(١٠)، (١/١١)؛ وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أمره أفضل، ح(١٧١)، (١/٤٨).
 (٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ح(٣٧٠)، (١/٨٥).

المبحث السادس:

عناية القرآن بجراحة الرجل

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، تام الخلقة مستوفي الأعضاء، وكل عضو خصه بعمل يختلف عن غيره، وكل جراحة ميزها عن غيرها بمزايا ومهام تناسب ما خلقت من أجله، فخلق للإنسان رجلين قويتين يقف ويمشي عليهما، وبهما يصعد ويهبط، ويجري ويتسلق، ويستعين بهما في البحث عن رزقه وقضاء شؤونه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. وإلى جانب فوائدها الدنيوية، جعلها الله تعالى معينة للإنسان على أداء عبادته، فبهما يمشي إلى المساجد لحضور الجُمُوع والجماعات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»^(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا مُحِطٌ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً»^(٢). وعليهما يحج ويعتمر ويطوف، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وعليهما يسعى ليقضي حوائج الناس، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. وعن ابن عمر أن رجلاً جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَآنَ أَمْشِي مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: فضل من غدا إلى المسجد ومن راح، ح(٦٦٢)، (١/١٣٣)؛ وصحيح مسلم، كتاب: المساجد، باب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، ح(١٥٥٦)، (٢/١٣٢).
(٢) صحيح مسلم، كتاب: المساجد، باب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، ح(١٥٥٣)، (٢/١٣١).

شَهْرًا - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَنْهَيَا لَهُ أَثَبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ»^(١).

وعلى رجليه يمشي ويسافر لطلب العلم الشرعي، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ... «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢).

وفي المقابل نهانا الله تعالى عن المشي الحرام، كالمشي بالنميمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَا فِي مَهِينٍ ۗ﴾ [القلم: ١٠-١١]. والمشي بالتكبر والخيلاء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، أي: لا تمش متبخترا متمايلاً مشي الجبارين^(٣). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۗ﴾ [الأحزاب: ١٨] وأقصد في مشيك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ [لقمان: ١٨-١٩]. أي: امش متواضعاً مستكيناً، لا مشي البطر والتكبر، ولا مشي التماوت^(٤). ومشى التماوت هو التي يظهر صاحبها أنه عنده تعب شديد من العبادة. وهذا يخالف المشية التي ارتضاها الله تعالى لعباده، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. أي: بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله^(٥). قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ: بَنِي آدَمَ، أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ، وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَبَيْدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الرَّاقِي قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى

(١) المعجم الكبير، للطبراني، ح(١٣٦٤٦)، (٤٥٣/١٢)؛ قال الهيثمي: "فيه مسكين بن سراج وهو ضعيف". ينظر: مجمع الزوائد، (١٩١/٨)، والحديث حسنه الألباني. ينظر: السلسلة الصحيحة، (٥٧٥/٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح(٧٠٢٨)، (٧١/٨).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧٥/٥).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (ص٦٤٨).

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٢٩٣/١٩).

فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٧]. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾. أي: يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج، ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ يعني من أزواجهم اللاتي أحلهن الله للرجال بالنكاح وإمائهم، فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجته، وملك يمينه، وحفظه عن غيره من الخلق، فإنه غير موبَّخ على ذلك، ولا مذموم، ولا هو بفعله ذلك ركباً ذنباً يلام عليه، ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ فمن التمس لفرجه منكحاً سوى زوجته، وملك يمينه، فهم العادون حدود الله، المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم^(١).

ثم وعد من عمل بهذه الأوامر أن يدخله جنة الفردوس، فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١]. وفي آية أخرى وعد الله الحافظين فروجهم والحافظات بالمغفرة والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وفي حفظ الفرج نجاة للمسلم من عذاب الله يوم القيامة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَكَّلَ لِي مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَمَا بَيْنَ حُجْيَيْهِ، تَوَكَّلْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ»^(٢).

ولما أمر الله تعالى بحفظ الفرج حرم معه الأسباب المؤدية إليه، فحرم استدامة النظر في الأجنبية، وحرّم الخلوة، والاختلاط، وذلك سداً للذريعة والبعد عن الوقوع في المحرم، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١]. ونهى تعالى عن جميع مقدمات الزنا ودواعيه، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري، (١٩/١٠-١١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الحدود، باب: فضل من ترك الفواحش، ح(٦٨٠٧)، (٨/١٦٤).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحُمُوقَالَ «الْحُمُومُوتُ»^(١).

وإلى جانب حفظ الفرج من الزنا يدخل في ذلك حفظه من اللواط، والمساحقة، وحفظه من انكشافه للناس، قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَدْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: ٢٨-٢٩]. وحذر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسباب الوقوع في اللواط والسحاق، وكشف العورات، فقال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ»^(٢).

قال الإمام ابن كثير: "وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنى، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة المعارج: ٢٩-٣٠]. وتارة يكون بحفظه من النظر إليه، كما جاء في الحديث: «أَحْفَظُ عَوْرَتِكَ إِلَّا مِنْ رَوْحِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ»^(٣)^(٤).

وتترتب على عدم حفظ الفرج والتهاون في ذلك عقوبات شديدة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِشَهِدَ عَلَيْهِمَا تَارِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤].

(١) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، ح(٥٨٠٣)، (٧/٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الحيض، باب: تحريم النظر إلى العورات، ح(٧٩٤)، (١/١٨٣).

(٣) سنن أبي داؤود، كتاب: الحام، باب: النهي عن التعري، ح(٤٠١٧)، (٦/١٣٤)؛ وجامع الترمذي، أبواب الأدب، باب: ما جاء في حفظ العورة، ح(٢٧٦٩)، (٥/٩٧)؛ وسنن ابن ماجه، باب: التستر عند الجماع، ح(١٩٢٠)، (٣/١٠٦)؛ ومسند أحمد، ح(٢٠٠٣٤)، (٣٣/٢٣٥). قال محققو المسند: "اسناده حسن"؛ وحسنه الألباني: ينظر: صحيح الجامع الصغير: (١٠١/١).

(٤) تفسير القرآن العظيم، (٦/٤٢-٤٣).

[النور: ٢-٣]. فجلد الزاني أمام الناس عقوبةً بدنيةً ونفسيةً شديدة، وفيها تطهيرٌ له وردعٌ لغيره؛ ليعلم عظم ما أقدم عليه من ذنب، فمن تاب تاب الله عليه، ومن لم يتب فقد توعد الله تعالى بمضاعفة العذاب له يوم القيامة والخلود فيه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

[الفرقان: ٦٨ - ٦٩]. وعقوبة الزاني المحصن في الدنيا هي الرجم حتى الموت، كما ثبت ذلك من قوله، وفعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن زنا، وكذلك فعل الخلفاء من بعده، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهْنًا سَبِيلًا الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْسُ سَنَةٍ وَالشَّيْبُ بِالشَّيْبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ»^(١). وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أَتَى رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْآخَرَ قَدْ زَنَى - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَتَنَحَّى لِشِقِّ وَجْهِهِ الَّذِي أَعْرَضَ قِبَلَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْآخَرَ قَدْ زَنَى، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَتَنَحَّى لِشِقِّ وَجْهِهِ الَّذِي أَعْرَضَ قِبَلَهُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَتَنَحَّى لَهُ الرَّابِعَةَ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ دَعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ بِكَ جُنُونٌ؟» قَالَ: لَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اذْهَبُوا بِهِ فَاَرْجُمُوهُ» وَكَانَ قَدْ أَحْصَنَ. قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ جَابِرًا، قَالَ: فَكُنْتُ فِي مَنْ رَجَمَهُ، فَرَجَمْنَاهُ بِالْمُصَلَّى، فَلَمَّا أَدْلَقْتُهُ الْحِجَارَةَ جَمَزَ، حَتَّى أَدْرَكْنَاهُ بِالْحَرَّةِ فَرَجَمْنَاهُ»^(٢).

والأحاديث التي نصت على أن حد الزاني المحصن الرجم كثيرة، وكذلك عقوبة اللواط، فيجب على المسلم حفظ فرجه عن الحرام وليحذر من إهماله، فقد روي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ أَكْثَرَ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُّ وَالْفَرْجُ»^(٣).

(١) صحيح مسلم، كتاب: الحدود، باب: حد الزنا، ح (٤٥٠٩)، (١١٥/٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الحدود، باب: سؤال الإمام المقر: هل أحصنت، ح (٦٨٢٥-٦٨٢٦)، (١٦٧/٨).

(٣) جامع الترمذي، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق، ح (٢٠٠٤)، (٣٦٣/٤). واللفظ له، وقال: "هذا حديث صحيح غريب"؛ وسنن ابن ماجه: أبواب: الزهد، باب: ذكر التوبة، ح (٤٢٤٦)، (٣١٨/٥)؛ قال الألباني:

وللامام ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ توجيه حسن وكلام قيم، إذ يقول: "وهذه الجوارح السبعة وهى العين، والأذن، والفم، واللسان والفرج، واليد، والرجل: هى مراكب العطب والنجاة، فمنها عطب من عطب بإهمالها. وعدم حفظها، ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها فحفظها أساس كل خير، وإهمالها أساس كل شر"^(١).

وقبل الختام لي وقفة لبيان موقف القرآن من المنافقين، من جهة استخدامهم لبعض هذه الجوارح لأذية المؤمنين والسخرية والاستهزاء بهم، إذ كانوا بحكم مخالطتهم للمؤمنين يطلعون على أسرارهم ويظهرونها إلى أعدائهم من الكفار، وقد ذكرهم الله في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وأنزل فيهم سورة كاملة، وهى سورة (المنافقون)، وشنع بهم، وحدّر منهم، وبين مكرهم وخداعهم، قال تعالى قي صدر سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿البقرة: ٨-١٠﴾ وما بعدها من الآيات إلى قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة: ٢٠﴾.

ومن صور استخدامهم لهذه الجوارح:

أنهم كانوا يستمعون لحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم لا يعتبرون به ولا يراعونه، ويجعلونه مجالاً للسخرية والاستهزاء، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿محمد: ١٦﴾.

فقد كانوا إذا حضروا مجالس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يستمعون له إلا تهاونا منهم، فإذا خرجوا سألوا الصحابة، ماذا قال؟ وكان هذا السؤال على جهة الاستهزاء والاستخفاف

"إسناده حسن". ينظر: السلسلة الصحيحة، (٢/٦٩٦).

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، (١/٨٠).

بكلامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

وقد استعملوا السنتهم للكذب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى المؤمنين، والاستهزاء بهم، ولا غرابة في ذلك، إذ أن الكذب صفة ملازمة لهم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٢).

وصور القرآن نظرات المنافقين في حال الخوف وما تخفيه نفوسهم الخبيثة بعد ذهاب الخوف، من تسليط جارحة اللسان على المؤمنين، فقال تعالى: ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبَبَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩].

وكان من صفات المنافقين فرحهم بمصاب المؤمنين، واستبشارهم بكل غم يصيبهم، وجزعهم في حال كان النصر والغلبة للمؤمنين، فقد قالوا في غزوة أحد شامتين بالمؤمنين: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨]. وقالوا في غزوة الخندق: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

وكانوا يستهزئون بالمؤمنين في غزوة تبوك، ويخذلونهم ويرهبونهم، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

ومن تسليط ألسنتهم على المؤمنين ما أشاعوه على أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وما اتهموها به زوراً وبهتاناً، وقد جاء القرآن مكذباً لهم، مسمىاً تلك الحادثة بالإفك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

(١) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري: (٤/٣٢٢)؛ والمحرم الوجيز، لابن عطية، (٥/١١٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، ح(٣٣)، (١/١٦)؛ وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، ح(٢٢٠)، (١/٥٦).

والحديث يطول في ذكر مكر المنافقين وغدرهم، وعداوتهم للمؤمنين وتمنيهم زوال الإسلام وأهله، وحسبي من ذلك أن ذكرت بعض صفاتهم، وما تخفيه نفوسهم المريضة.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن أكون وفقته في بيان عناية القرآن بجوارح الإنسان الظاهرة، وبيان عظم نفعها، وخطرها وعاقبتها في الدنيا والآخرة، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من نقص فمن نفسي، والحمد لله رب العالمين.

جدول يوضح عدد المرات التي ذكرت فيها كل جارحة من جوارح الإنسان الظاهرة في القرآن الكريم باعتبارها جارحة (تصريحا، أو تلميحا)

اسم الجارحة	عدد مرات ورودها
الأذن	٩١
العين	٧١
الفم	٤١
اللسان	٣١٦
اليد	٢٧
الرجل	١٤
الفرج	١٨



الخلاصة

الحمد لله الذي يسّر لي الانتهاء من هذا البحث، وأسأله سبحانه أن ينفع به كل من اطلع عليه، وأن يجعل فيه إضافةً للمهتمين بالدراسات القرآنية، وللمسلمين عمومًا، ثم إنه يمكن تلخيص أبرز النتائج والتوصيات في التالي:

النتائج:

١. إطلاق الجوارح على أعضاء جسم الإنسان التي يستخدمها.
٢. عناية القرآن الكريم بجوارح الإنسان وإرشاده إلى حسن استعمالها وتحذيره من مغبة إهمالها.
٣. استيفاء القرآن الكريم لجميع جوارح الإنسان الظاهرة.
٤. سُميت أعضاء الإنسان بالجوارح؛ لأنهم يجرحن الخير والشر، أي: يكسبونه.
٥. إن في حفظ الجوارح منافع كثيرة للإنسان في الدنيا قبل الآخرة.
٦. إن إهمال الجوارح يورث الإنسان همًا وحزنًا طويلًا في الدنيا والآخرة.
٧. سمي الحلال حلالاً لأنحلال عقدة الحظر عنه.
٨. أكل الحرام وشربه من أعظم أسباب حرمان الرزق الطيب، ومنع إجابة الدعاء، ومنع قبول العبادة.
٩. جاءت آيات كثيرة في القرآن تنسب جميع كسب جوارح الإنسان إلى يده.
١٠. إن أخطر الجوارح هما جارحتا الفم - ويشمل اللسان - والفرج، فهما أكثر ما يدخل الناس النار.

التوصيات:

١. الحذر من إهمال الجوارح فإن عاقبة إهمالها وخيمة في الدنيا والآخرة.
٢. أفراد كل جارحة من هذه الجوارح ببحث مستقل، تُجمع فيه الآيات والأحاديث، وأقوال السلف التي تتحدث عن كل جارحة على حدة.
٣. تشجيع الدراسات القرآنية وبخاصة ما يتعلق منها بدراسة الإعجاز الذي أودعه الله تعالى في أعضاء وجوارح الإنسان.



المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع البحثية:

١. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد بن حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ.
٢. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية - الكويت.
٣. التحرير والتنوير المسمى تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م.
٤. تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام بن عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٥. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد بن علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٦. تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)

، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.

٧. تفسير الزمخشري المسمى الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨ هـ) دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

٨. تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦ هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.

٩. تفسير الشعراوي، لمحمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨ هـ)، مطابع أخبار اليوم - مصر، ١٩٩٧ م.

١٠. تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.

١١. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، ط ٢، ١٤٢٠ هـ.

١٢. تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩ هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن - الرياض، ط ١، ١٤١٨ هـ.

١٣. تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام بن سمير البخاري، دار عالم الكتاب - الرياض، ١٤٢٣ هـ.

١٤. تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر.
١٥. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ١، ١٣٦٥هـ.
١٦. جامع الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار العرب الإسلامي - بيروت، (د.ط)، ١٩٩٨م.
١٧. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
١٨. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار المعرفة - المغرب، ط ١، ١٤١٨هـ.
١٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ.
٢٠. ديوان الأعشى الكبير، لميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة من بني قيس بن ثعلبة الأعشى (ت: ٦٢٩هـ)، تحقيق: محمد بن حسين، مكتبة الآداب - القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
٢١. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٢٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠ هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، ط ١، (د.ت).
٢٣. سنن ابن ماجة، لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠ هـ.
٢٤. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، صيدا، (د.ط)، (د.ت).
٢٥. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٧ هـ.
٢٦. صحيح ابن حبان المسمى بالإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدارمي البستي (ت: ٣٥٤ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ.
٢٧. صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: محمد بن زهير الناصر، دار طوق النجاة، (د.م)، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٢٨. صحيح الترغيب والترهيب، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠ هـ)، مكتبة المعارف - الرياض، ط ٥، (د.ت).
٢٩. صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠ هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٨ هـ.

٣٠. صحيح سنن أبي داؤود، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع - الكويت، ط ١، ١٤٢٣هـ.
٣١. صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، دار الجليل، دار الأفاق الجديدة - بيروت، (د.ط)، (د.ت).
٣٢. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٣٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة، (د.ط)، ١٤١٤هـ.
٣٤. المحيط في اللغة، لإسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني المشهور بالصاحب بن عباد (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد بن حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
٣٥. مختار الصحاح، لزين الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، (د.ط)، ١٤١٥هـ.
٣٦. المستدرک علی الصحیحین، لمحمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم ويعرف بابن البيع أبو عبد الله، تحقيق: مصطفى بن عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
٣٧. مسند أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلی (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين بن سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط ١، ١٤٠٤هـ.

٣٨. مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.

٣٩. المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.

٤٠. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ.

٤١. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجموعة من المؤلفين، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة - مصر.

٤٢. الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠هـ.



الاعتراف بالذنب بين القبول والرد

(دراسة موضوعية في القرآن الكريم)

د. عبد الباقي بن عبد الرحمن سيسي

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - المملكة العربية السعودية

Cici-ab@hotmail.com

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

ملخص البحث

موضوع البحث:

الاعتراف بالذنب بين القبول والرد، دراسة موضوعية في القرآن الكريم.

هدف البحث:

تعريف الاعتراف بالذنب، قبوله، ورده، عواقبه، وآثاره، وتصحيح الأخطاء، والزلات، والتوبة من الذنوب، والخطايا.

مشكلة البحث:

ما حاجة الإنسان إلى الاعتراف بالذنب؟ وما موقف الإسلام من ظاهرة الوقوع في المحذور؟

نتائج البحث:

الاعتراف بالذنوب، والتوبة منها يُسقط أعظم الذنوب، وأخطرها، وهو الشرك والنفاق قبل فوات الأوان، وتأخير الاعتراف بالذنب إلى بعد الفوات هو السبب الرئيس من منع قبول التوبة.

الكلمات الدالة (المفتاحية):

الذنب - القبول - الرد - تفسير موضوعي.



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعلى آله وصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى نزل القرآن تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة، وبشرى للمسلمين، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وجعل الاعتراف بالذنب سبباً لقبول التوبة، وقال جلّ وعلا: ﴿وَأَخْرَجُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

والاعتراف بالذنب مقدمة للندم، والندم توبة، والتوبة معروضة بعد؛ لقوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧]، فلأهمية هذا الموضوع، وحاجة الإنسان إلى التوبة، والاستغفار من الذنوب والمعاصي، والخطايا وقع اختياري على كتابة بحث في الآيات المتعلقة به تحت عنوان (الاعتراف بالذنب بين القبول والردّ، دراسة موضوعية في القرآن الكريم).

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

١ - بيان حاجة الإنسان في هذا الزمان، ومقارنة ظاهرة الذنب والاعتراف به في الأديان الأخرى؛ وأن الإسلام أكمل الأديان وأفضلها، لا يقبل الله ديناً غيره.

٢ - الانتحار هو أحد الأسباب الرئيسية للوفاة حول العالم، وفي كل عام يفوق عدد الأشخاص الذين يموتون انتحاراً عدد الوفيات منهم بسبب الأمراض الأخرى، أو حتى

الحرب والقتل، وتزايد المتحررين في العالم مستمرّ؛ حيث بلغ عددهم نحو مليون متحرر سنوياً، وذكرت التقارير الأهمية التابعة لمنظمة الصحة العالمية: أن عملية انتحار تتم كل ٤٠ ثانية، وهو ما يمثّل حوالي مليون وفاة تحدث سنوياً في العالم، وأن أهم أسباب الانتحار الرئيسية: الأمراض النفسية، والإدمان، ومشكلات العمل، وأن مُعدّلات الانتحار الرسمية في العديد من البلدان الإسلامية أقل بكثير من مثيلاتها في البلدان الغربية ذات الأغلبية المسيحية^(١).

فجهل الناس بحقيقة الشريعة الإسلامية، وإمكانية العودة إلى الله بعد ارتكاب الذنوب، وأن أبواب التوبة مفتوحة لم تغلق أمامهم، والحلّ الأمثل الوحيد لعلاج مشكلة الانتحار، هو قوة المناعة الإيمانية، والاعتراف بالذنب كما عاجلها الإسلام.

٣- الاعتراف بالذنب في الكنائس يمثله كرسي الاعتراف بالذنوب، وغفرانها لمرتكبيها، مقابل رسوم مادية يدفعها طالب المغفرة أمام القساوسة، كما هو الحال في الأديان المسيحية، أو رجل الدين، كما هو الحال في الأديان المحرفة، والطرق الصوفية الضالة في قديم الزمان وحديثه^(٢).

(١) ينظر: الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية تصدر إرشادات بعنوان: (عش الحياة) لتعزيز جهود الوقاية من الانتحار، ١٧ حزيران - يونيو ٢٠٢١م، الصحة عدد(١٠٧٨١٢٢)، ٨ سبتمبر ٢٠٢١م؛ وموقع عربي BBC بي بي سي شرق أوسط الأخبار الرئيسية بعنوان: (لماذا ترتفع معدلات الانتحار بين الشباب في العالم؟)، ٢ مايو - أيار ٢٠١٨م، ٨ سبتمبر ٢٠٢١م؛ والموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية بعنوان: (الانتحار)، ١٧ حزيران - يونيو ٢٠٢١م، ٨ سبتمبر ٢٠٢١م؛ ومقالة بعنوان: (أرقام صادمة عن الانتحار حول العالم.. أوروبا في المقدمة، والشرق الأوسط الأقل)؛ ومقالة بعنوان: (ظاهرة الانتحار في المجتمعات الغربية)، د. عبد الحق عزوزي، صحيفة الجزيرة، السبت ١٤ سبتمبر ٢٠١٩م، ٩ سبتمبر ٢٠٢١م، وموقع لها أون لاين مقالة بعنوان: (الانتحار في الغرب.. ظاهرة تستحق التأمل) رحالة عالم الأسرة، محرم ١٤٣١هـ، ٢٠ يناير - ٢٠١٠م، ٩ سبتمبر ٢٠٢١م؛ وموقع الإعجاز العلمي لعبد الدائم الكحيل مقالة بعنوان: (ظاهرة الانتحار.. كيف عاجلها القرآن)، ٣٠ كانون الثاني - يناير ٢٠٢٠م، ٨ سبتمبر ٢٠٢١م، ومقالة بعنوان: (الانتحار يهدد مجتمعات الغرب) د. أكرم المشهداني، معهد الإمام الشيرازي الدولي للدراسات واشنطن، ٩ سبتمبر ٢٠٢١م.

(٢) ينظر: الموقع الرسمي لمدا، مقالة بعنوان: (كرسي الاعتراف في الديانة النصرانية)، لخدام حسين إلهي بخش، محرم ١٤٤١هـ - ١٨/٩ - ٢٠١٩م، ٩ سبتمبر ٢٠٢١م، أيضاً موقع الفاتيكان نيوز مقالة بعنوان: (تعليم الكنيسة بشأن سرّ التوبة عند استحالة التقدم من كرسي الاعتراف).

ففي دين الإسلام لا يوجد هذا الأمر، إنما من ارتكب ذنباً، إما يتراجع عنه، أو أنه يُستر عليه إذا لم يقبض عليه، أو يصل للمسؤولين، والإسلام أمرنا بالستر، والتوجه المباشر إلى الله - دون وسيط، ولا رسوم مادية - وهو اعتراف الذنب بالتوبة والاستغفار من الذنب؛ فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. وفي الحديث: «وَأَبْوَاءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(١) وهذا أمر مقرر في الإسلام بالأدلة.

٤ - قلة الدراسات في هذا الموضوع دراسة موضوعية.

٥ - الحاجة الملحة إلى بيان ومعرفة موقف الإسلام من ظاهرة الوقوع في المعصية، أو الارتكاب للذنب والاعتراف به.

٦ - تفيد الدراسات، وتقارير الأمم المتحدة حول الانتحار بأن معظم المتحررين في فئات الشباب، ويعدّ الانتحار أحد الأسباب الرئيسية لوفاة الشباب في شتى أرجاء العالم، وحالات الانتحار في ازدياد مستمر لدى الشباب والفتيات المرتكبين الكبائر، كالفواحش، والمنكرات، ومشاهدتها، وشرب المسكرات، والمخدرات في هذا الزمان الفاتن^(٢).

٧ - انتشار ظاهرة الردة لدى بعض العلمانيين المشككين في مسألة الاعتراف بالذنب، ومسألة تطبيق الحدود الشرعية للحد من ظاهرة انتشار الفواحش، وحماية المجتمع منها.

٨ - الاعتراف بالذنب عنوان للتوبة، ومقدمة للندم، وعدم الإصرار على الذنوب والمعصية علاج لذلك كله، فندم الإنسان على ما فات من ذنوبه ومعاصيه، والعزم على عدم العودة

(١) سيأتي تحريجه (ص ٧٦).

(٢) ينظر: موقع عربي BBC بي بي سي شرق أوسط الأخبار الرئيسية بعنوان: (لماذا ترتفع معدلات الانتحار بين الشباب في العالم؟) ٢ مايو - أيار ٢٠١٨م؛ والموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية بعنوان: (الانتحار)، ١٧ حزيران - يونيو ٢٠٢١م؛ ومقالة بعنوان: (أرقام صادمة عن الانتحار حول العالم.. أوروبا في المقدمة، والشرق الأوسط الأقل)؛ ومقالة بعنوان: (ظاهرة الانتحار في المجتمعات الغربية)، د. عبد الحق عزوزي، صحيفة الجزيرة، السبت ١٤ سبتمبر ٢٠١٩م؛ وموقع لها أون لاين مقالة بعنوان: (الانتحار في الغرب.. ظاهرة تستحق التأمل) رحالة عالم الأسرة، محرم ١٤٣١ هـ - ٢٠ يناير ٢٠١٠م.

شرط أساس في قبول التوبة، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. وفي حديث سيّد الاستغفار عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

٩- بيان أن الإنسان بطبعه يخطئ، ويزلّ قدمه، كما في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(٢).

١٠- لا يمكن أن يسلم الإنسان من الوقوع في الذنب والمعصية، وتقصير الواجبات سوى الأنبياء والمرسلين فيما عصمهم الله عَزَّجَلَّ.

١١- الاعتراف بالخطأ من شيم العقلاء غير المتكبرين، فالتكبر هو الذي لا يعترف بالخطأ مما يجرّ صاحبه استحلال المحرمات حتى يسوغ لنفسه فعلها.

أهداف البحث:

- ١- التعريف بالاعتراف بالذنب، من حيث قبوله، وردّه، عواقبه، وآثاره.
- ٢- الاعتراف بالذنب هو الدافع الأول للإقلاع عن المعصية، وتصحيح الأخطاء، والزلات.
- ٣- حاجة الإنسان إلى التوبة، والإنابة إلى الله، والاستغفار من الذنوب، والخطايا.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاستغفار، باب: أفضل الاستغفار، (١٦ / ٤٠) ح (٦٣٠٦)، من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٠ / ٣٤٤) ح (١٣٠٤٩)؛ والترمذي في سننه، (٤ / ٢٤٠، ٦٥٩) ح (٢٤٩٩) من حديث أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: هذا حديث غريب، وحسنه الشيخ الألباني في الجامع الصحيح سنن الترمذي، (٤ / ٦٥٩) ح (٢٤٩٩).

الدراسات السابقة:

١- (الاعتراف بالذنب في ضوء القرآن الكريم)، للباحث: علي محمد إبراهيم شهاب، منشور في مجلد التجديد، تصدرها الجامعة الإسلامية - باليزيا، العدد السابع والأربعون، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.

يحتوي هذا البحث على مفهوم الاعتراف بالذنب - الاعتراف بالذنب مع الله تعالى ونماذج لذلك - أثر الاعتراف بالذنب - أسباب ترك الاعتراف بالذنب.

٢- (الاعتراف بالخطأ خلق الأقوياء لا الضعفاء)، مقالة لياسر عبد الله محمد الحوري - شبكة الألوكة - آفاق الشرعية، إشراف: د. سعيد بن عبد الله الحميد، ٩ سبتمبر ٢٠٢١م.^(١)

٣- (الاعتراف بالذنب مطلب شرعي)، مقالة د. محمد بن إبراهيم النعيم عنوان الصفحة صيد الفوائد سبتمبر ٢٠٢١م.^(٢)

٤- (عبودية الاعتراف بالذنب)، مقالة فرحان العطار - شبكة الألوكة - آفاق الشرعية، إشراف د. سعيد بن عبد الله الحميد، ٩ سبتمبر ٢٠٢١م.^(٣)

٥- مقالة بعنوان: (ثقافة الاعتراف بالذنب بين الصواب والخطأ)، د. خالد رُوشه. موقع الإسلام من موقع طريق الإسلام، ٩ سبتمبر ٢٠٢١م.^(٤)

٦- (فضيلة الاعتذار والاعتراف بالذنب)، مقالة لضرار بالهول الفلاسي، البيان، ١٥ ديسمبر ٢٠١٩م - ٩ سبتمبر ٢٠٢١م.^(٥)

(١) <https://shortest.link/1V43> (موقع الألوكة).

(٢) <https://shortest.link/1HO9> (صيد الفوائد).

(٣) <https://shortest.link/1HOd> (موقع الألوكة).

(٤) <https://shortest.link/1HOu> (موقع الألوكة).

(٥) <https://shortest.link/1Dup> (موقع طريق الإسلام).

(٥) <https://shortest.link/1Dut> (موقع البيان).

فهذه الدراسات كلها مقالات لم تتناول الموضوع دراسة موضوعية تفسيرية، إنما دراستها تتمثل فيما يلي:

- ١- الاعتراف بالذنب مطلب شرعي تناول المبادرة إلى الاعتراف بالذنب والزلل وعدم المكابرة بالآيات المتعلقة بذلك ولم يفسرها تفسيراً موضوعياً.
- ٢- عبودية الاعتراف بالذنب تحدّث عن الاعتراف بالذنب عموماً طبيعته وخصائصه ومميزاته وثمراته، ولم تكن دراسة تفسيرية.
- ٣- ثقافة الاعتراف بالذنب بين الصواب والخطأ بأنه خطوات النجاح والإصلاح، وأول منازل التواضع، وتأديب النفس وتهذيبها، وبداية الشعور بالألم على الخطأ، وأول دافع لتركه وعدم تكراره فالدراسة ليست قرآنية.
- ٤- فضيلة الاعتذار والاعتراف بالذنب تحدّثت عن معدن الإنسان وشعوره بالألم، وما ينبغي فعله.

أما الفرق بين الدراسات السابقة وبحثي ففيمًا يلي:

- ١- اشتمل بحثي على مباحث لم تتناولها الدراسات السابقة مثل: (الاعتراف بالذنب من حيث القبول) - (الاعتراف بالذنب من حيث الردّ) - (عاقبة الاعتراف بالذنب وآثاره)، و(القضايا تتعلق بالانتحار وعلاجه).
- ٢- طريقة العرض والدراسة التفسيرية مختلفة من حيث تناول الموضوع.

● حدوده:

جمع الآيات المتعلقة بالاعتراف بالذنب من حيث قبوله، وردّه، عواقبه، وآثاره.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس على النحو الآتي:

١. المقدمة: تتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع.

-المبحث الأول: تعريف الاعتراف بالذنب لغة واصطلاحاً.

-المبحث الثاني: الاعتراف بالذنب من حيث القبول.

-المبحث الثالث: الاعتراف بالذنب من حيث الرد.

-المبحث الرابع: عاقبة الاعتراف بالذنب وآثاره.

٢. الخاتمة: وفيها بيان أهم نتائج البحث.

٣. فهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي الموضوعي وفق الآتي:

- جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالاعتراف بالذنب، والتوبة منه، ودراستها دراسة تفسيرية موضوعية من خلال كتب التفسير والحديث واللغة.

- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وترقيم الآيات، وعزوها إلى سورها في المتن، وتخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما يكتفي بذلك، وإن كانت في غيرهما عزوتها إلى مصدرها مع ذكر قول المحدثين فيها وحكمهم عليها، وأما الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين فعزوها إلى مصادرها الأصلية،

ووضع الأحاديث والآثار بين علامتي تنصيص، وأما أقوال العلماء فتوضع بين قوسين.
- توثيق الأقوال، والنصوص من مصادرها، وفق منهج البحث العلمي، وتطبيق قواعد
البحث العلمي، واللغوي من حيث الإملاء، والفواصل في جميع أقسام البحث، وتعريف
الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلى بيان من خلال مصادرها اللغوية.



المبحث الأول

تعريف الاعتراف بالذنب لغة واصطلاحاً

الاعتراف في اللغة: معنى الاعتراف من (اعترف) من الأصل اللغوي (عرف) ويدور المعنى اللغوي لهذا الأصل باشتقاقاته على معنى: العلم، والمعرفة، والتوضيح^(١).

قال الراغب في مفرداته: "والاعتراف الإقرار، وأصله: إظهار معرفة الذنب وذلك ضد الجحود، قال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ [الملك: ١١]، و﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [غافر: ١١]"^(٢).

وفي الاصطلاح: عرّفه العلماء بتعريفات متقاربة بأنه: "هو الإقرار الذي صحبته المعرفة بما أقربه مع الالتزام له"^(٣).

أما الذنب في اللغة: فمن الأصل اللغوي: "ذنب" الذنب الإثم والجرم والمعصية والجمع ذنوب، وقد أذنب الرجل، كما في قوله عزّ وجلّ عن نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ [الشعراء: ١٤]، أي أثم^(٤).

وفي الاصطلاح: عرّف بأنه: "هو ما يجربك عن الله"^(٥)، وقيل: "هو ما يتبعه الذم، أو ما يتتبع عليه العبد من قبيح فعله"^(٦).

(١) ينظر: مادة (عرف) في معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤/ ٢٨٢)؛ تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، (٨/ ٢٢٧)؛ جوهرة اللغة، لابن دريد، (١/ ٤١)؛ ولسان العرب، لابن منظور، (٩/ ٢٣٦)؛ الصحاح، للجوهري، (٥/ ٨٧)؛ القاموس المحيط، (ص ١٠٨١).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (ص ٣٣٢).

(٣) ينظر: معجم الفروق اللغوية، للعسكري، (ص ٤٣)؛ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء، (ص ٢١٧)؛ التوقيف على مهمات التعارف، (ص ٧٤).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢/ ٣٦١)؛ ولسان العرب، لابن منظور، (١/ ٣٨٩).

(٥) التعريفات، للجرجاني، (ص ١٤٣).

(٦) ينظر: الفروق اللغوية، للعسكري، (ص ٢٤٤).

المبحث الثاني

الاعتراف بالذنب من حيث القبول

الاعتراف بالذنب، والاستغفار منه عنوان للتوبة، ومقدمة لها؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»^(١)؛ وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»^(٢)، والتوبة تهدم ما قبلها، والاعتراف بالذنب يكون بالعمل، وبالإخلاص لله سبحانه، فهو شرط لكل عمل، ومن خلط الأعمال الصالحة بالأعمال السيئة، فإن الله يقبل توبته، ويتجاوز عن سيئاته؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]، وقال بعد هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤]، ومما يدل دلالة صريحة على قبول توبة المعترف بذنبه، قول جمهور المفسرين: إن هذه الآية: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ نزلت في شأن المتخلفين عن غزوة تبوك، والذين ربطوا أنفسهم بسواري المسجد، كما فعل أبو لبابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي يطلقهم ويرضى عنهم^(٣).

سبب نزول الآية:

عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَأَبْتَعَتَانِي فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بَلْبِنِ ذَهَبٍ وَبَلْبِنِ فِضَّةٍ فَتَلَقَانَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (١/٧٥) ح (١٠٤)؛ والنسائي في سننه (المجتبى من السنن) باب: تعظيم السرقة (٨/٦٤) ح (٤٨٧١)؛ والسنن الكبرى، للنسائي، باب: القطع في السرقة، (٤/٣٢٦) ح (٧٣٥٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أحمد في مسنده، (٦/٣٧) ح (٣٥٦٨)؛ وابن ماجه في سننه، الزهد، باب: ذكر التوبة (٢/١٤٢٠) ح (٤٢٥٢)؛ والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، (٦/١٠٤) ح (٢٠٩١)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وابن حبان في صحيحه، (٢/٣٧٧) ح (٦١٢)؛ والطحاوي في شرح مشكل الآثار، (٤/١٠٠) ح (١٤٦٥).

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، (١٤/٤٤٧)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب، (٤/٣١٣٧)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٨/٢٤١)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢/٤٦٩).

كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ وَشَطْرُكَ أَفْبَحُ مَا أَنْتَ رَاءٍ قَالَا لَهُمْ أَذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ فَوَقَعُوا فِيهِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ الشُّوءُ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَا لِي هَذِهِ جَنَّةٌ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ قَالَا أَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرُ مَنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطْرُ مَنْهُمْ قَبِيحٌ فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ»^(١).

والآية عامة في كل مذنبٍ خلطَ عملاً صالحاً، وآخر سيئاً إلى يوم القيامة؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإن كانت نزلت في أناس معينين، فهي ترجى للجميع^(٢). ومما يؤكد هذا المعنى مناسبة الآية لما قبلها: فإنه لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزوة رغبة عنها وتكديباً وشكاً، شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلاً وميلاً إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق، فقال: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾^(٣).

أي خلطوا الأعمال الصالحة بالأعمال السيئة، من التجرؤ على بعض المحرمات، والتقصير في بعض الواجبات، مع اعترافهم بذنوبهم، ورجائهم بأن يغفر الله لهم ذلك، ويقبل توبتهم، فتوبته سبحانه على عباده نوعان: توفيقه للتوبة، وقبولها بعد وقوعها منهم، وقال الإمام السعدي: "فهذه الآية، دلت على أن المخلط المعترف النادم، الذي لم يتب توبة نصوحاً أنه تحت الخوف والرجاء، وهو إلى السلامة أقرب، وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصراً على الذنوب، فإنه يُخاف عليه أشد الخوف"^(٤).

قال الإمام ابن عاشور: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ إيجاز يدل على أنهم أذنبوا واعترفوا بذنوبهم ولم يكونوا منافقين؛ لأن التعبير بالذنوب بصيغة الجمع يقتضي أنها أعمال سيئة في حالة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير باب قوله ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ (٤/١٧) ح (٦٤٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (١٤/٤٥٣)؛ وتفسير القرطبي، (٨/٢٤٣)؛ وتفسير ابن كثير، (٢/٤٦٩).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، (٢/٤٦٩)؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٣/٦٢٢).

(٤) ينظر: تفسير السعدي، (ص ٣٥٠).

الإيمان، وكذلك التعبير عن ارتكاب الذنوب بخلط العمل الصالح بالسيئ^(١).

وعلى هذا، فإن الاعتراف بالذنوب يقبل في الحالات، وأبرزها: قبل معاينة ملائكة الموت، واليأس من الحياة، وقبل نزول البأس، وملائكة العذاب، وقبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل الغرغرة، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، والستر بالذنوب، والحد من الوقوع في جريمة قتل النفس المحرمة (الانتحار).

كما دل على ذلك كله الكتاب والسنة والإجماع:

١- يقبل الاعتراف بالذنوب قبل معاينة ملائكة الموت، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ

يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧]. دلت

هذه الآية على قبول الاعتراف بالذنوب قبل معاينة ملائكة الموت، واليأس من الحياة^(٢).

٢- يقبل الاعتراف بالذنوب قبل الغرغرة، كما في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ

يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ»^(٣). فدل الحديث على قبول التوبة ما لم يغرغر، وبإجماع العلماء عليه.

وللتوبة ثلاثة أركان: الأول: أن يقلع عن المعصية، والثاني: أن يندم على فعلها، والثالث: أن

يعزم أن لا يعود إليها^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير، (١٠/١٩٤)؛ وينظر: أيضاً تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (٣/١٦٩)؛ الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي، (٤/٣١٣٧).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير، (١/٥٧٣-٥٧٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده، (١٠/٣٠٠) ح (٦١٦٠)؛ الترمذي في سننه، (٥/٤٣٨، ٥٤٧) ح (٣٥٣٧)، وحسنه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، (٢/٣٩٤)؛ الحاكم في مستدركه؛ وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص، (٤/٢٥٧) ح (٧٦٥٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الشيخ الألباني.

قوله: «ما لم يغرغر»: أي ما لم تردد الروح في الحلق، والغرغرة: أن يجعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يبلع، ينظر: النهاية في غريب الأثر، (٣/٦٦٥)؛ وجمهرة اللغة، (١/٧٢)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس، (١٣/٢٣٠).

(٤) ينظر: شرح صحيح مسلم، للنووي، (١/٧٦).

٣- يقبل الاعتراف بالذنب، والتوبة إلى الله عزَّوجلَّ قبل اليأس من الحياة، فالله يغفر الذنوب جميعاً بقبول توبة عبده؛ لقوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]؛ وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

٤- يقبل الاعتراف بالذنب قبل نزول البأس، لقوله عزَّوجلَّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سَدَّ اللَّهُ الَّذِي قَدْ حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٥) [غافر: ٨٤-٨٥]، يعني لا ينفع الإيمان عند نزول البأس، وقبل ذلك ينفع، فإن من اعترف بالذنب، وندم على فعل ارتكاب معصية من المعاصي، أو ترك واجب من الواجبات في الطاعة، فإن الله يوفقه للتوبة ويقبلها منه، كما في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١)، وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣]^(٢).

٥- يقبل الاعتراف بالذنب قبل ملائكة العذاب؛ لقوله جلَّ وعلا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠) ﴿ءَأَكْفُرُ بِمَا كُنتَ مِن الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠-٩١].

لا تقبل التوبة عند معاينة العذاب، وتقبل قبل ذلك، ولو اعترف فرعون بذنوبه، وآمن قبل ملائكة العذاب اعترافاً بالله بالربوبية، لقبول الله توبته^(٣).

٦- يقبل الاعتراف بالذنب قبل طلوع الشمس من مغربها؛ لقوله عزَّوجلَّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَأَمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وقد جاء تفسير هذه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٧٦/٦) ح (٢٦٦١)، كتاب: التفسير، باب: تفسير، قوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [النور: ١٢]، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حادثة الإفك.

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (١/٢٤٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، (١١/١٧٠)؛ وأيسر التفاسير، للجزائري، (٢/٥٠٥).

الآية في السنة بأن ﴿بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ هو طلوع الشمس من مغربها، كما في الصحيحين، قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله ﴿حَيْرًا﴾»^(١).

٧- يقبل الاعتراف بالذنب بإرجاع الحقوق إلى أصحابها؛ لعموم قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. يشمل بأداء جميع الأمانات والحقوق إلى أهلها، وكل ما ائتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به يجب أدائه^(٢). وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرِضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(٣).

٨- يقبل الاعتراف بالذنب في الستر بالذنب، وهو أن يستر الإنسان على نفسه إن وقع في معصية، شريطة أن لا يعلنها ويجهرها، لقد حثَّ الإسلام على السَّتر، ورغَّب فيه، واتَّخذ وسائل المنع من ذلك، فشرع حدَّ القذف، ومنع تشييع الفاحشة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]. وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: لا ينفع نفساً إيمانها، (٧٣/٦) ح (٦٤٣٦)، مسلم في صحيحه، باب: الزمان الذي لا يقبل فيه الإيمان، (١٣٧/١) ح (٢٤٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) ينظر: تفسير الطبري، (٨/٤٩٠، ٥٠)؛ وابن كثير، (١/٦٣٧)، والسعدي، (ص ٩٦١).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ الرَّجُلِ فَحَلَّلَهَا لَهُ هَلْ يُبَيِّنُ مَظْلَمَتَهُ، (٦/٢٤١) ح (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: سِتْرَ الْمُؤْمِنِ عَلَى نَفْسِهِ، (١٥/٢٨٣) ح (٦٠٦٩)، ومسلم في صحيحه، باب: النَّهْيُ عَنِ هَتِكِ الْإِنْسَانِ سِتْرَ نَفْسِهِ؛ صحيح مسلم، (٨/٢٢٤) ح (٧٦٧٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

المجاهرون: هم الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها وكشفوا ما ستر الله تعالى عليهم فيتحدثون بها لغير ضرورة ولا حاجة.

وفي قصة ماعز بن مالك الأسلمي، والغامدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عندما جاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعترف على نفسهما بالزنى، وسألا أن يقيم عليهما الحدَّ ليطهرهما، فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برجمهما. فَقَالَ ماعز بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي، فَقَالَ: «وَيُحِكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ». ثلاث مرات، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوْ سَعَتْهُمْ»، وكذلك قَالَتِ الغامدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيُحِكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ»^(١). وفي هذا الحديث دليل أن الستر أولى بالذنب على نفسه إذا وقع حداً من الحدود من الاعتراف به عند السلطان، ومع اعتقاد التوبة والندم على الذنب، وتكون نيته ألا يعود، فإنَّ الله يقبل التوبة عن عباده، ويجب التوابين.

٩- الحد من الوقوع في جريمة قتل النفس المحرمة، ويسمى (الانتحار)، وهو جريمة شائعة في هذا الزمان، وفي ازدياد مستمر؛ كما أفادت التقارير الأمية، وهو محرم شرعاً وعقلاً، وفي الإسلام كبيرة من كبائر الذنوب، وأقبحها، وأبشعها، وقد ثبت تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع، وعند أهل السنة المنتحر لا يكون كافراً إذا كان مسلماً يصلي معروفاً بالإسلام، بل يكون تحت مشيئة الله، كسائر المعاصي على قدر الجريمة التي مات عليها، وجريمة قتل النفس (الانتحار) ظاهرة خطيرة يواجهها العالم بسبب ارتفاع أعدادها بشكل مستمر، ما يستدعى إلى معرفة أسبابها، والوقاية منها، وكيف عاجلتها الشريعة الإسلامية؟

فجاءت الأدلة في الشريعة الإسلامية؛ نهياً عن هذه الجريمة الشائعة، والقبيحة؛ وبياناً للحد من الوقوع فيها، والوقاية منها؛ وإيجاداً لوسائل علاج فعالة ضد الاكتئاب، ولعلاج

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: مَنْ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزُّنَا، (٥/١١٩، ١٢٠) ح (٤٥٢٧، ٤٥٢٨) من حديث بريدة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ناجع لها؛ وذلك يكون بالعودة إلى الاعتراف بالذنب والتوبة إلى الله، والاستغفار منه، ومن هذه الجريمة بالأخص قبل فوات الأوان.

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة، قال جلّ وعلا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، الآية أصل في تحريم الانتحار، وقد نهى الله عن الإلقاء بالنفس لما فيه الهلاك عموماً، ووقوع لفظ "تلقوا" في سياق النهي يقتضي عموم كل إلقاء باليد للتهلكة، وكل تسبّب في الهلاك عن عمد فيكون منهياً عنه محرماً ما لم يوجد مقتض لإزالة ذلك التحريم^(١).

وقال جلّ وعلا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]. والآية دلت على كليتين من كليات الشريعة: وهما حفظ الأموال، وحفظ الأنفس^(٢)، وأهمّ السببين في الانتحار، الاضطراب النفسي، والاقتصادي.

قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ [النساء: ٣٠] "أي ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه معتدياً فيه ظالماً في تعاطيه أي عالماً بتحريمه متجاسراً على انتهاكه ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا﴾، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد"^(٣).

وفيها النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، وقتل النفس المحرمة، والتوبة من المعاصي، والوقاية من الوقوع فيها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ومعناه الظاهر النهي عن قتل المؤمن نفسه في حال غضب، أو ضجر "وهو الانتحار"، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، كقوله

(١) ينظر: جامع البيان، (٣/ ٥٩٣)؛ وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/ ٢٨٥، ٢٨٦)؛ والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢/ ٢١٠، ٢١١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٤/ ١٠٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (١/ ٥٩٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُماً فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»^(١).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزَعٌ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَادِرِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٢).

وهو عام على كل ما نهى عنه من القضايا الاجتماعية، والاقتصادية من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهُ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء ٣٠] بارتكاب ما يؤدي إلى هلاك الأنفس، أو بإلقائها إلى التهلكة، أيًا كان في الدنيا أو في الآخرة؛ ترهيباً من بشاعة الجريمة، وقبحها؛ وإفراطاً في التجاوز عن الحد؛ وإتياناً بما لا يستحق، أو تعدياً على الغير وظلماً على النفس، بتعريضها للعقاب، وعواقبه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ وختم الآية بالرحمة والرأفة، تفاعلاً بخير، وأملاً في عفوهِ، وبياناً لعله منع قتل النفس المحرمة؛ وترغيباً في التوبة من المعاصي، والاعتراف بالذنب؛ واتخاذ الأسباب المانعة من الوقوع في جريمة قتل النفس المحرمة، والوقاية منها، وعلاجها^(٣).

وهذه الآية أصل في منع جريمة الانتحار، والوقاية منه، وعلاجه، والحديث الشريف أصل في بيان الانتحار، ووسائله، وجزاء مرتكب جريمة المنتحر، وأنه يجازى على قدر الجريمة التي مات عليها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: شُرْبِ السُّمِّ وَالدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالْحَيْثُ، (٤٣٩/١٤) ح (٥٧٧٨)؛ ومسلم في صحيحه، باب: غَلْظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَإِنْ مَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهِ فِي النَّارِ وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، (٧٢/١) ح (٣١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومعاني بعض الكلمات: (يتوجأ): يطعن، و(يتحساه): يشربه، ويتجرعه، و(يتردى): أي ينزل. ينظر شرح النووي، (١/١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: الطيب للجمعة، (٥٦٩/٨) ح (٣٤٦٣) من حديث جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: البحر المديد، (٥٢/٢)؛ ينظر: تفسير الطبري، (٢٢٩/٨)؛ والقرطبي في تفسيره، (٥/١٥٧)؛ وابن كثير، (١/٥٩٣)؛ والتفسير الوسيط، (١/٣١٠).

ذكر الله تعالى هنا قاعدة التعامل العام في الأموال، بعد أن بيّن أحكام بعض المعاملات المالية؛ لأن المال قرين الروح يتناول مال نفسه ومال غيره، والاعتداء عليه يورث العداوة، بل قد يجرّ إلى الجرائم، فالإسلام دين يريد تحقيق الاستقرار والحفاظ على المودة والحقوق بين الناس.

فنهى الله تعالى أكل أموال الناس بالباطل بجميع أنواع المكاسب غير المشروعة، وكل ما يؤخذ عوضاً عن العقود الفاسدة أو الباطلة، وهو ما يخالف الشرع^(١).

أهم أسباب الوقوع في المعصية المؤدية إلى الانتحار:

١- الإعراض عن ذكر الله، بل هو السبب الرئيس، والمباشر، وغياب مراقبته سبحانه، وضعف الإيمان، والأصل في ذلك كله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه ١٢٤]، وهذه الآية: أصل في مبدأ الوقوع في الشقاوة، والجريمة المؤدية إلى قتل المنتحر نفسه، والإعراض عن ذكر الله تعالى، وهو الذي ينتج عنه الاضطراب النفسي (الاكتئاب) أي فقدان الأمل الذي كان موجوداً لدى المنتحر سواء كان اجتماعياً، أو اقتصادياً، وتقارير الأمية، واحصائياتها، تقول:

أكثر من ٩٠٪ من حالات الانتحار مرتبطة باضطرابات نفسية، وفي أية لحظة يُنظر إلى سكان العالم بأنه يوجد (٤٥٠) مليوناً يعانون اضطرابات نفسية، وأنفقت ملايين الدولارات؛ لإيجاد علاج ناجع للانتحار^(٢)، وعلى الرغم من إنفاق هذه الأموال الهائلة كل عام لعلاج هذه الظاهرة، غير أن أعداد المنتحرين كل عام لا تتغير، بل يزداد^(٣).

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٨/ ٢٢٩)؛ والقرطبي في تفسيره، (٥/ ١٥٧)؛ وابن كثير في تفسيره، (١/ ٥٩٣)؛ والتفسير الوسيط، (١/ ٣١٠).

(٢) ينظر: الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية تصدر إرشادات بعنوان (عش الحياة) لتعزيز جهود الوقاية من الانتحار، ١٧ حزيران - يونيو ٢٠٢١ م، الصحة عدد (١٠٧٨١٢٢)، وعنوان: (الانتحار)، ١٧ حزيران - يونيو ٢٠٢١ م، ومقالة بعنوان: (أرقام صادمة عن الانتحار حول العالم.. أوروبا في المقدمة، والشرق الأوسط الأقل).

(٣) ينظر: المراجع السابقة.

٢- الوضع الاقتصادي، والميول الجنسية، والمسكرات والمخدرات بأنواعها، وتناول بعض الأدوية، والتسلط وغيرها^(١).

٣- جهل الناس بحقيقة الشريعة الإسلامية، وإمكانية العودة إلى الله بعد ارتكاب الجرائم؛ لعموم قوله جلّ وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُونَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيَوْمِنَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام ١١١]، أي يجهلون الحق جهلاً يحول بينهم وبين درك الحق والوصول إلى الصواب^(٢).

والحق هو شرع الله وفهمه، واتباعه وفق سنة نبي الرحمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لإنقاذ البشرية من عواقب الجرائم، وويلاتها.

فتبيّن من هذه الأدلة الصريحة الواضحة على أن الاعتراف بالذنب والاستغفار منه مقبول قبل فوات الأوان، وعواقبه حميدة، وآثاره طيبة، وفي المقابل هو الحلّ الأمثل للخروج من الوقوع في أمور عواقبها وخيمة، وبيان الأحوال التي يقبل فيها الاعتراف بالذنب، وأبرزها: قبل معاينة ملائكة الموت، واليأس من الحياة، وقبل نزول البأس، وملائكة العذاب، وقبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل الغرغرة، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، والستر بالذنب، والحدّ من وقوع جريمة قتل النفس المحرمة (الانتحار).

(١) ينظر: نفس المراجع السابقة.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي، (٧ / ٦٧)؛ وفتح القدير، (٢ / ٢٢٢).

المبحث الثالث

الاعتراف بالذنب من حيث الرد

تقدم أن الاعتراف بالذنب مقبول قبل معاينة ملائكة الموت...، وكذلك يكون مردوداً عند معاينة ملائكة الموت، واليأس من الحياة، وبعد نزول البأس والعذاب، والإيمان لا ينفع بعد المخالطة بالموت، فإن التوبة حيثئذ لا تقبل، ولا ينفع فيه الإقرار بالذنب، والندم، ولا يقبل من العاصين اعترافهم بذنوبهم، ولا من الكفار رجوعهم إلى إيمانهم بالله واليوم الآخر، أما الإقرار بالذنب من المعاصي فيما دون الكفر والشرك فهو تحت مشيئة الله ورحمته، قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن اعتراف الكفار بذنوبهم يوم لا ينفع فيه الإقرار: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]؛ حيث كانوا ينكرون الحياة الثانية التي بعد الموت، ثم يتمنون العودة إلى الحياة الدنيا مرة ثانية؛ ليؤمنوا بالله وحده، ويُقرّوا بوحدانيته، ويعترفوا له بربوبيته، ويصححوا ما وقع منهم من الشرك، والتكذيب، وإنكار البعث والحساب^(١).

وقال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١] أي أقروا بذنوبهم، فأبعدهم الله من رحمته، ﴿فَسَحَقًا﴾ أي بعداً لأهل النار، وطرداً لهم في وقت لا ينفعهم الاعتراف، قال الإمام الطبري: "ووحّد الذنب، وقد أضيف إلى الجمع؛ لأن فيه معنى فعل، فأدى الواحد عن الجمع"^(٢).

وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن هناك حالات يكون الاعتراف بالذنب، والتوبة غير مقبولين، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]، ذلك بأن

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، (١/٥٧٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (٢٣/٥١٠)؛ وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، (٣٠/٥٨)؛ وتفسير البيضاوي، (٥/٣٦٣)؛ والراغب في مفرداته، (ص ٢٢٦)؛ وتفسير القرطبي، (١٨/٢١٢).

التوبة في هذه الحالة توبة اضطرار لا تنفع صاحبها، إنما تنفعه توبة الاختيار؛ لأن المقصد من العزم ترتب آثاره عليه، وصلاح الحال في هذه الدار بالاستقامة الشرعية، فإذا وقع اليأس من الحياة ذهبت فائدة التوبة، والاعتراف بالذنب^(١).

فإيمان فرعون لم ينفعه، ولم يقبل منه اعترافه بالذنب، ولا إسلامه؛ لأن توبته كانت اضطراراً؛ لقوله جلّ وعلا: ﴿حَقَّ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠﴾ ءَأَلْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠-٩١] إنما كان إيمان فرعون في حالة إدراكه الغرق؛ لرؤيته الموت، ونزول العذاب.

وقيل: إنه قال هذه الكلمة؛ ليتوصل بها إلى دفع ما نزل به من العذاب، ولم يكن قصده بها الاعتراف بالذنب والإقرار بوحدانية الله تعالى، والاعتراف له بالربوبية، لا جرم أن الإيمان لم ينفعه في ذلك الوقت^(٢).

وكذلك الإيمان عند معاينة ملائكة الموت، وملائكة العذاب، ونزول البأس غير مقبول؛ كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ. وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ. وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥]^(٣).

وكذلك لا ينفع الإيمان، والاعتراف بالذنب، عند طلوع الشمس من مغربها؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَأَيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَأَمَنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد جاء تفسير هذه الآية في السنة بأن ﴿بَعْضُ ءَأَيَاتِ رَبِّكَ﴾ هو طلوع الشمس من مغربها، ففي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلِيَّهَا فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ

(١) ينظر: التحرير والتنوير، (٤/٦٦).

(٢) ينظر: تفسير الرازي، (١٧/١٢٤)؛ تفسير البيضاوي، (٣/٢١٣)؛ تفسير الخازن، (٣/٢٠٦).

(٣) ينظر: تفسير البغوي، (٢/٤٣٢)؛ تفسير ابن كثير، (٢/٥٢٣)؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٢/٣٦٧).

نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنْتْ مِنْ قَبْلُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿حَيْرًا﴾ ﴿١﴾.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ﴿٢﴾.

قال الإمام ابن عاشور: "﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً تذكيراً لهم بأن الانتظار والتريث عن الإيمان وخيم العاقبة، لأنه مهدد بما يمنع من التدارك عند الندامة، فإما أن يعقبه الموت والحساب، وإما أن يعقبه مجيء آية من آيات الله، لا تبقى فسحة لتدارك ما فات؛ لأن الله إذا أنزل عذابه على المكذبين لم ينفع عنده توبة" ﴿٣﴾.

تبين من خلال النصوص المتقدمة أبرز الحالات التي لا يقبل فيها الاعتراف بالذنب، والندم على ما فات، والعزم على ترك المحظورات، والتوبة من الشرك، والذنوب، والمعاصي، وهي: عند معاينة ملائكة الموت، وملائكة العذاب، ونزول البأس، واليأس من الحياة، وغرغرة النفس، والموت على الشرك والكفر، وطلوع الشمس من مغربها، وعدم إرجاع الحقوق إلى أصحابها، والمجاهرة بالذنب.

فأما إذا مات الإنسان على الكفر، والشرك فلا ينفعه إيمانه، واعترافه بالذنب وندمه على ما وقع فيه من الخطايا، ولا تقبل توبته، ولا تنفعه شفاعة، ولا تؤخذ منه فدية ولو بملء الأرض ذهباً ﴿٤﴾.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: لا ينفع نفساً إيمانها، (٧٣/٦) ح (٦٤٣٦)؛ مسلم في صحيحه، باب: الزمان الذي لا يقبل فيه الإيمان، (١٣٧/١) ح (٢٤٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار، (٦٧٠٢/٤) ح (٢٧٠٣)؛ جامع الأصول، (٥١٢/٢) ح (٩٨٤).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، (١٣٨/٧-١٤١)؛ أيسر التفاسير، للجزائري، (١٤٦/٢).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير، (٥٧٣/١-٥٧٤)؛ تفسير البحر المحيط، (٣٩٧/٢).

وإليك بيان أدلة هذه الحالات، وأبرزها:

١- لا يقبل الاعتراف بالذنب ممن مات على الشرك، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء؛ لعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فدلّت هذه الآية الكريمة على أنه تعالى لا يغفر لمن مات على الشرك^(١).

٢- لا يقبل الاعتراف بالذنب ممن مات على الكفر لأنه لا ينفع فيه الندم، ولا تقبل منه فدية ولو ملء الأرض ذهباً، كما قال تعالى: ﴿وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا﴾ [النساء: ١٨] وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُبْعَلْ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١]. فدلّت هذه الآية الكريمة على أن من مات على الكفر لا تقبل منه توبة ولا فدية^(٢).

٣- لا يقبل الاعتراف بالذنب، والتوبة عند معاينة الموت وسكراته، واليأس من الحياة؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِسْلَامَ﴾ [النساء: ١٨] فالآية الكريمة صريحة بأن التوبة غير مقبولة في هذه الحالة.

٤- لا يقبل إيمان المعتترف بالذنب عند معاينة العذاب، ونزول البأس؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَتَمَّرَ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُمْ بِهِ ءَأَلْتَنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥١]، ونفى أيضاً قبول إيمانهم في ذلك الحين بقوله: ﴿ءَأَلْتَنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾، وقوله سبحانه تعالى: ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]، فصريح سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة، بأن من حقت عليهم كلمة العذاب لا ينفعهم إيمانهم^(٣).

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٢٤٣/١)، (٢٥٧/٥).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير، (٥٧٣-٥٧٤)؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (١٦١/٢)، وأيسر التفاسير، للجزائري، (٥١٩/٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، (٥٢٣/٢)؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (١٦١/٢)، (٣٦٧).

٥- لا يقبل إسلام المعترف بالذنب عند معاينة ملائكة الموت؛ كما تقدم في إسلام فرعون؛ ولقوله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨]، وقوله جل ثناؤه: ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٨٧]، فالآيتين الكريمتين صريحتين بأن الإسلام غير مقبول في هذه الحالة^(١).

٦- لا يقبل الاعتراف بالذنب والتوبة من المجرمين عند وقوفهم على النار، حيث يتمنون العودة إلى الدنيا مرة ثانية، وهم نادمون معترفون بذنوبهم؛ لتصحيح ما وقع منهم من الشرك، والتكذيب، والإنكار، ناكسون رؤوسهم خجلاً وخزياً وذلاً؛ لما يلاقونه من الإهانة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفُّوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، فقوله عنهم ﴿وَكَانُوا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]: اعتراف منهم بضلالتهم؛ حيث لا ينفع الاعتراف بالذنب، ولا الندم عليه يوم القيامة^(٢).

٧- لا يقبل الاعتراف بالذنب والتوبة عند طلوع الشمس من مغربها، لا ينفع الإيمان نفساً لم تكن آمنت من قبل، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، تقدم تفسير هذه الآية في السنة النبوية «بطلوع الشمس من مغربها» كما في رواية الصحيحين وغيرهما^(٣).

٨- لا ينفع الاعتراف بالذنب والتوبة عند غرغرة النفس، كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ»^(٤).

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٥/٢٥٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (١١/٣١٦)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٦/٥٥)؛ تفسير ابن كثير، (٣/٥٥٤)؛ والتحرير والتنوير، (٢١/١٥٥)؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٢/١٦١)، (٥/٣٥٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

٩- لا يقبل الاعتراف بالذنب والتوبة ممن عليه حقوق الآخرين، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها شرط في قبول الاعتراف بالذنب والتوبة منه؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ»، قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

١٠- لا يقبل الاعتراف بالذنب من المجاهرة بالذنب، وإشاعتها، وهي أمر خطير، وحذر منها الشارع وشدد فيها على من يفعلها، وتوعد صاحبها بالوعيد في الدنيا والآخرة؛ لعموم قوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(٢).

فتبين من هذه الأدلة الصريحة الواضحة على أن الاعتراف بالذنوب المتعلقة بالشرك بالله، والتكذيب بآياته ورساله، وإنكار البعث والحساب، وهي أعظم الذنوب، وأخطرها يقبل قبل فوات الأوان، لأن الإسلام يهدم ما قبله، مما يدل على واسع رحمة الله، ولطفه، وشفقته على العباد.

أما تأخير الاعتراف بالذنب، وترك ارتكاب المعاصي، والتقصير في الواجبات والتفريط

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: تحريم الظلم (١٥)، (١٨ / ٨) ح (٦٧٤٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: ستر المؤمن على نفسه، (٢٨٣ / ١٥) ح (٦٠٦٩)، ومسلم في صحيحه، باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، (٢٢٩١ / ٤) ح (٢٩٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فيها، وتأخير العزم على ترك المحظورات إلى حضور الموت ومعايته، واليأس من الحياة، وعند غرغرة النفس، وتأخير إرجاع الحقوق إلى أصحابها، والمجاهرة بالمعاصي، فهو من أهم الأسباب المانعة من قبول التوبة، والعفو عن السيئات. وانتهاز الفرصة مطلب شرعي، بل يجب في هذه الحالات، فلا ينبغي تفوته والتهاون فيه، والتسويق.

المبحث الرابع:

عاقبة الاعتراف بالذنب وآثاره

الاعتراف بالذنب مقبول في الدنيا والآخرة بمشيئة الله تعالى قبل فوات أوانه، كما تقدم في قبول التوبة، وبعد التوبة والندم على مافات من الذنوب والمعاصي والخطايا، والوقاية من المعاصي، واتخاذ الأسباب المتبعة لمحو الذنوب، والمانعة من الوقوع فيها، وأن ما يقع من الاعتراف بالذنوب له عواقب حميدة، وآثار طيبة؛ لأنه من حق من تعدي عليه أن يصفح عن المذنب مالم، ويسأل الله له المغفرة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨]، وتقدم في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١).

وقد دلت على ذلك نصوص كثيرة من الكتاب والسنة؛ بأن من اعترف بذنبه، وأقلع عن المعصية، وندم على فعلها، وعزم على أن لا يعود إليها، والوقاية من المعصية، واتخاذ الأسباب لذلك؛ فإن الله يغفر له ذنوبه، ويكفر عنه سيئاته، ويعفو عن خطايا سوى من مات على الكفر، والشرك، والنفاق؛ لأن الكفر لا ذنب فوقه، وهو رأس كل خطيئة، وأساس

(١) تقدم تخرجه.

كل مفسدة، فليس بعد الكفر ذنب، كما قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وأعظم الظلم، وأكبر الذنوب، وأشدّها إفساداً للروح، هو الشرك بالله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ومع ذلك؛ فإن من اعترف بذنبه، وتاب وعمل صالحاً، فإن الله يبدل سيئاته حسنات؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، وقد بيّن ذلك بعد ذكره الموبقات من الذنوب، فإن الاستثناء راجع لقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وما عطف عليه؛ لأن الكل جمع في قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(١)، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، أي: عما هم فيه من الكفر والشرك والنفاق، والمشاقة، والعناد، والجرائم، وارتكاب المعاصي، والمآثم، فيدخلون في الإسلام والطاعة بالإنابة، فإن الله يغفر لهم ما قد سَلَفَ من كفرهم، وذنوبهم وخطاياهم، فالتوبة تَهْدِمُ مَا قَبَلَهَا^(٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في النجوى، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»^(٣).

ففي هذا الحديث عظيم تفضل الله على عباده المؤمنين وستره لذنوبهم يوم القيامة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم؛ لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يضع عليهم كنفه وستره أحداً إلا الكفار والمنافقين، فإنهم الذين ينادى عليهم على رؤوس الأشهاد باللعنة لهم، وفي الحديث

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (١/٢٤٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (١٣/٥٣٦)، تفسير القرطبي، (٧/٤٠٢)، تفسير ابن كثير، (٤/٥٤)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٥/٢٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، (٦/٢٢٥)، ح (٢٤٤١)؛ مسلم في صحيحه، في باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (٥/١٠٥) ح (٢٧٦٨).

دلالة على أن أهل الذنوب من المؤمنين لا يكفرون بالمعاصي، وهو حجة لأهل السنة، خلافاً للفرق الضالة كالخوارج، والمعتزلة، وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، دال على: أن المراد بالظلم هاهنا الكفر والنفاق، كما فسره سياق الحديث السابق^(١).

وقوله تعالى في قصة إخوة يوسف معه، وأبيهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حين اعترفوا بذنوبهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾ (١١) ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩١-٩٢]، وقوله: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (١٧) ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٧-٩٨]؛ حيث اشتملت فعلة إخوة يوسف عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على ذنوب، وجرائم كثيرة من قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، والغدر والخيانة للأمانة، وترك العهد، والكذب على أبيهم، ومع ذلك عفا الله عن ذلك كله بعد اعترافهم بذنوبهم، حتى لا ييأس أحد من رحمة الله تعالى، ولما كان من حق المعترف بذنبه أن يُصفح عنه قبل وصوله للحكم، ويسأل له المغفرة، كما وعد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أبناءه: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٢).

فكذلك لما اعترف آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحواء بذنوبهما، من الله عليهما بقبول التوبة منهما، واجتبي آدم، فتاب عليه وهداه؛ حين اقرت ذنبه، وعصاه، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ (١٣١) ﴿ثُمَّ اجْبَنَهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢١-١٢٢]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَنَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، فهذه الكلمات التي تلقاهن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، بينها الله في سورة الأعراف، مفسرة بقوله سبحانه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "والذي يدل عليه كتابُ الله، أن الكلمات التي تلقاهن آدم

(١) ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (٦/٥٧٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (١٦/٢٦١)؛ تفسير الخازن، (٣/٢٦٦)؛ تفسير أبي السعود، (٤/٣٠٦)، روح المعاني، (١٣/٥٥).

من ربه، هنّ الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها، معترفاً بذنبه، وهو قول جمهور المفسرين^(١).
 وأما الأدلة التي تدل دلالة صريحة على قبول التوبة بعد الاعتراف بالذنب، وما يترتب عليه من العواقب الحميدة، والآثار الطيبة في الكتاب والسنة، فكثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وقوله جلّ وعلا: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل: ١١].

أما الظالم لنفسه، فإنه يجرّ نفسه إلى ارتكاب المعصية، وترك الواجبات، ومعصية المرء ربه ظلم لنفسه؛ لأنه يورطها في العقوبة، وضرر المعصية يعود على صاحبها، ومن اعترف بذنبه، وتاب، واستغفر ربّه، وندم وحزن على فعله، وعزم على ترك ما ارتكبه من المعصية، ثمّ بدّل حسناً بعد سوء، فإن الله يغفر له ذنوبه، ويبدّل سيئته حسنة، ويقبل توبته، ويعفو عن زلاته، ويهديه للحق^(٢).

والمهم وجوب التوبة من الذنب والاستغفار له بعد الاعتراف بالذنب وتركه، والندم على فعله، والوقاية من الوقوع في المعصية، واتخاذ الأسباب لذلك له عاقبة حسنة، وأثر طيب، فالتوبة تسقط ما قبلها من الذنوب، وهي تتركب من علم وحال وعمل، فالعلم هو معرفة الذنب، والحال هو تألم النفس من ذلك الضرر، ويسمى ندماً، والعمل هو الترك للإثم، وتدارك ما يمكن تداركه، وهو المقصود من التوبة، وأما الندم فهو الباعث على العمل، واتخاذ الأسباب له؛ ولذلك ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «والتَّوبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ» و«الندم توبة»^(٣).

(١) ينظر: تفسير الطبري، (١/٥٤٢-٥٤٦)، (١٢/٣٥٦)؛ تفسير ابن كثير، (١/١٠٥)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (١/٣٩١)؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (١/٣٤)؛ أيسر التفاسير، للجزائري، (١/٤٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (١/٥٤١، ٥٤٧)، (١٢/٣٥٦)؛ تفسير ابن أبي حاتم، (١/١٠٥)؛ تفسير ابن كثير، (١/١٠٥)؛ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي، (ص ١٠٠)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (١/٣٤)؛ التحرير والتنوير، (٢٢/١٦٥).

(٣) تقدم تخرّج الحديثين السابقين، ينظر: التحرير والتنوير، (١/٤٢٣).

وقد جعل الله للذنوب التي دون الشرك أسباباً كثيرة تمحوها، وتمتع الوقوع فيها، والوقاية منها، بعد الاعتراف بالذنب، وأما الشرك فلا بد من التوبة، كما في الأدلة من الكتاب والسنة، منها عموم قوله تعالى - بعد ذكره الذنوب المهلكة، وعلى رأسها الشرك بالله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾، وفيما يأتي بيان بعض الأسباب المتبعة لمحو الذنوب، والممانعة من الوقوع فيها، والوقاية منها:

١- الاستغفار من الذنوب بعد الاعتراف بالذنب، كما دلّت على ذلك أدلة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وآدم عليه السلام لم يقل شيئاً إلا الاستغفار المعهود، كما ذكره الإمام ابن عطية رحمه الله في تفسيره، فقال: "وهذا يقتضي أن آدم عليه السلام لم يقل شيئاً إلا الاستغفار المعهود، وسئل بعض السلف عما ينبغي أن يقوله المذنب، فقال: يقول ما قاله أبواه، ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]، وقال يونس عليه السلام: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]"^(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُنزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(٢).

(١) المحرر الوجيز، (١/١١٣)، وينظر: أيضاً تفسير القرطبي، (١/٣٢٤)؛ البحر المحيط، (١/١٣٩).
(٢) ينظر: صحيح البخاري، (ص ٥١٨) ح (١١٤٥)، باب: من نام أول الليل وأحيا آخره، صحيح مسلم، (١/٥٢١) ح (٧٥٨).

٢- التسييح عند الشدة بعد الاعتراف بالذنب، يكشف الله به الضرر، وينجّي به المؤمنين من الغمّ والهَمِّ، كما فعله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حين كان في بطن الحوت، وهو مليم، معترفاً بذنبه، فأنجاه من الغمّ، وغفر له ذنبه، وفرّج همّه؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْلِظًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِئْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُثَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨]. دلت الآية صريحة على عموم هذا الإنجاء للجميع، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَالنَّقَمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسِيحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصفات: ١٤٢-١٤٤].

٣- الأعمال الحسانات تحو الذنوب؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مَنْ أَلِيلٍ إِنْ أَحْسَنْتَ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤]. فدلّت الآية صريحة على محو الذنوب بالأعمال الصالحة^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدِرُّونَ بِلِحْسَنِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِزِّي الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢٢]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً، فَأَعْمَلْ حَسَنَةً تَمْحُهَا» وفي رواية: «وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً، فَأَعْمَلْ بِجَنِبِهَا حَسَنَةً»^(٢).

٤- الخلق الحسن يمحو الذنوب، كما في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٣)، فدفع السيئة بالحسنة، هي

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٥١٦/١٥)؛ تفسير الرازي، (٥٨/١٨)؛ تفسير البحر المحيط، (٢٠١/٥)؛ تفسير ابن كثير، (٥٦٢/٢)؛ تفسير السعدي، (ص ٣٩١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (٤٢٥/٣٥) ح (٢١٥٣٦)؛ وابن أبي شيبة في مصنفه، في كتاب: الزهد ما ذكر عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الزهد، (٧٨/٧) ح (٣٤٣٢٥)؛ الطبراني في معجمه الكبير، باب: الميم، المراسيل، (١٧٥/٢٠) ح (٣٧٤) من حديث معاذ بن جبل، وأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال الألباني: "حديث حسن". ينظر: فيض القدير، (٥٥٠/١) ح (١١٣١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٨٤/٣٥) ح (٢١٣٥٤)، والترمذي في سننه (٤٢٣/٣) ح (٢١٣٥٤)، الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرّة الناس، (٣٥٥/٤) ح (١٩٨٧)، قال: "هذا حديث حسن صحيح"، الحاكم في مستدرکه، و صححه، (٥٤/١) ح (١٧٨)، ووافقه الذهبي في التلخيص، كتاب: الإيمان، (١٢١/١)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الشيخ الألباني في الجامع الصحيح، سنن الترمذي، (٣٥٥/٤).

من أعظم الأخلاق الحسنة، وأدعاها إلى حسن المعاشرة، وكما في عموم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

٥- الاعتراف بالذنب والتوبة تنال محبة الله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. أي التوابين من الذنوب والشرك. قال أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المراد بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾: أي الرجاعين عما كانوا عزموا عليه من ذلك ومن كل ذنب أوجب لهم نقص الإنسانية ولا سيما شهوة الفرج الإلمام به، كلما وقعت منهم زلة أحدثوا لها توبة؛ لأن ذلك من أسباب إظهاره سبحانه صفة الحلم والعفو والجود والرحمة والكرم؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ لَا أَنْكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ»^(١).

٦- عبودية الاعتراف بالذنب، وحقيقته، كما في حديث سيد الاستغفار عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢). إنما كان سيد الاستغفار سيداً؛ لتضمنه الإقرار بالذنب والاعتراف بالخطيئة مع العلم يقيناً بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، فهذا الحديث بين أن الاعتراف يقوم على ركنين:

أولاً: اعتراف العبد بأنواع نعم الله عليه، وتوفيقه للتوبة من الذنب، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل ٥٣]. وهذا معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ».

ثانياً: اعتراف العبد بوقوع الذنب منه مطلقاً ليصح الاستغفار من ذنبه وهذا ما تضمنه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي».

(١) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي، (١/ ٤٢١-٤٢٢)، الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، (٨/ ٩٤) ح (٧١٣٩)؛ والترمذي في سننه، (٥/ ٥٤٨) ح (٣٥٣٩)، عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) تقدم تخرجه.

قوله: «فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» فيه دليل على أن من اعترف بذنبه غفر له، والجمع بين الشريعة والحقيقة، فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا بعون من الله وتوفيقه، وهذا هو الحقيقة؛ لأن من قامت عليه الحجة ببيان المخالفة لم يبق إلا أحد أمرين: إما العقوبة بمقتضى العدل، أو العفو بمقتضى الفضل^(١).

ودل على ذلك أيضاً حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ»^(٢).

٧- ثناء الله على المعترفين بالذنوب، وقد أثنى الله على عباده الذين يدعونهم مُعترفين بالذنب، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران ١٥-١٧].

ولما ذكر سبحانه وتعالى أنهم رتبوا طلب المغفرة على الإيمان الذي هو أصل التقوى، أخبر أنهم عند اتصافهم بهذه الأوصاف الشريفة، هم مستغفرون بالأسحار، وخص السحر بالذكر، وإن كانوا مستغفرين دائماً، لأنه مظنة الإجابة، كما صح في الحديث، وهذه الأوصاف الخمسة هي لموصوف واحد، وهم المؤمنون الصابرون عن المعاصي.. والمستغفرون الله لذنوبهم في الأسحار، فدلت الآية على فضيلة الاعتراف بالذنب والاستغفار وقت الأسحار^(٣).

٨- فضيلة اعتراف العبد بالذنب بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، وهو من أسباب المغفرة؛

(١) ينظر: فتح الباري، تعليق ابن باز، (١١ / ١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: الدُّعَاءُ فِي الصَّلَاةِ، (٢ / ٢٤٥) ح (٨٣٤)، ومسلم في صحيحه، باب: اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، (٨ / ٧٤) ح (٧٠٤٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، (١ / ٤٣٤)؛ والبحر المحييط، (٢ / ٤١٨)؛ وشرح عمدة الأحكام، من أوله إلى كتاب: الجمعة من جامع ابن تيمية، (١ / ٣٨٦).

كما في الحديث القدسي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»^(١). معناه ما دمت تذنّب ثم تتوب غفرت لك.

ودل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار، وعلى عظيم فضل الله، وسعة رحمته وحلمه، وكرمه، وعلى أن الله لا يزال يغفر لعبده كلما استغفر ما لم يُصِرَّ على معصيته، أو يموت على الشرك طالما أنه موقنٌ أن له ربًّا يأخذ بالذنّب ويغفره، وأن التوبة لا تعجز عن أحد وإن عاود الذنوب، فمن صدق في توبته ثم قدر له أن يعود من غير عزم عند التوبة على العود فتوبته مقبولة. (فليفعل ما شاء) أي من الذنّب المعقب بالتوبة الصحيحة، ففيه أن التوبة الصحيحة لا يضرّ فيها نقص بالذنّب ثانياً، بل مضت على صحتها ويتوب من المعصية الثانية؛ لأن التوبة تسقط ما قبلها من الذنوب^(٢).

٩- حقّ المعترف بالذنّب أن يُصفح عنه قبل وصوله للحكم، ويسأل له المغفرة، كما وعد بذلك يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أبناءه: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨]، وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٣).

١٠- الاعتراف بالذنّب يبدّل السيئات حسنات، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: قُبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، (٨/ ٩٩) ح (٧١٦٢).
(٢) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، (ص ٩٣٢)؛ ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان الصديقي، (١/ ٣٤٠).
(٣) تقدم تحريجه.

بَدَلٌ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿﴾ [النمل: ١١]. فالتوبة تسقط ما قبلها من الذنوب.

١١- الاعتراف بالذنب يسقط ويمحو جميع ما قد سلف من الذنوب والخطايا ما عدا الشرك؛ لعموم قوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿﴾ [الزمر: ٥٣]؛ وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿﴾ [الشورى: ٢٥]، وقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴿﴾ [الأنفال: ٣٨]، أي: عما هم فيه من الكفر والشرك والنفاق، والجرائم كلها، فإن الله يغفر الذنوب جميعاً ويعفو عن السيئات.

١٢- منع الجريمة، والوقوع فيها، وسائل علاج فعالة ضد الاكتئاب، وهي كثيرة، وأبرزها: مراقبة الله عزَّ وجلَّ، والخوف والحياء منه سبحانه، وقوة الإيمان والإرادة، ومجاهدة النفس عن المعصية، والاعتراف بالذنب، والتوبة إلى الله، والاستغفار من الذنب، واجتناب كبائر الإثم، والفواحش، وكثرة تلاوة القرآن الكريم وفهم معانيه وتبديره، وسؤال الله التوفيق والاستقامة، والاستعاذة بالله من الشيطان دائماً ونزغاته، والابتعاد عن وسائل الفتن ما ظهر منها وما بطن، وعن مصاحبة الأشرار، وحفظ اللسان، والفرج، وهما أكثر سببين لحصول المعصية؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»^(١).
دلَّ الحديث على أن حفظهما يمنع الوقوع في المعصية.

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿﴾ [طه: ١٢٣]، وهذه الآية: أصل الوقاية من المعصية، والأسباب المعينة على تجنب الجريمة، ومنع الوقوع في المحظورات عموماً، ومبدأ الاعتراف بالذنب والتوبة، وعواقبه الحسنة، وآثاره الطيبة، والحياة السعيدة الأبدية، وهو اتباع هدى الله، وفق سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الأصل في ذلك كله، بل هو السبب الرئيس من هذه الأسباب.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: حِفْظُ اللِّسَانِ، (٢٩٦/١٦) ح (٦٤٧٤)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقوله جلَّ وعَلَا: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾

[النساء: ٣١]، وهذه الآية - أيضاً - أصل الوقاية من الوقوع في جريمة الانتحار، ووسائل علاج فعالة ضد الاكتئاب، وبعد ذكره جلَّت قدرته، وسعت رحمته سبحانه وتعالى ما يتعلق بجريمة قتل النفوس المحرمة بالانتحار، وأسبابه، بيّن أهم الأسباب المعينة على تجنب الجريمة، والموانع من الوقوع فيها، والوقاية منها، وعلاجها، وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «الْكَبَائِرُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ النَّسَاءِ إِلَى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ ثَلَاثِينَ آيَةً»^(١).

مناسبة الآية لما قبلها: مناسبتها لما قبلها ظاهرة؛ لأن الله تعالى لما ذكر الوعيد على فعل بعض الكبائر، ذكر الوعد على اجتناب الكبائر؛ وأن الذنوب تنقسم إلى كبائر، وصغائر؛ واجتناب الكبائر يكفر الله به الصغائر^(٢).

قال الإمام القرطبي: "لما نهى تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر، وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر"^(٣).

وقال الإمام ابن عاشور: "اعتراض ناسب ذكره بعد ذكر ذنوب كبيرين: وهما قتل النفس، وأكل المال بالباطل، على عادة القرآن في التفنن من أسلوب إلى أسلوب، وفي انتهاز الفرص في إلقاء التشريع عقب المواعظ وعكسه"^(٤).

إذاً تعليم الشريعة الإسلامية أكبر وسيلة للحد من هذه الظاهرة الخطيرة والتي جعلها الجهال من تعليم الشريعة الإسلامية، وبعض ضعاف النفوس والإيمان من أبناء المسلمين حلاً، ومخرجاً للخروج من مشاكلهم النفسية الاكتئابية المتراكمة بعضها فوق بعض؛ فلذلك تقول

(١) رواه الحاكم وصححه في المستدرک، ووافقه الذهبي في التلخيص، (١/٥٩) ح (١٩٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (٨/٢٣٣)؛ والقرطبي، (٥/١٥٨)؛ وتفسير البحر المحیط، (٣/٢٤٣)؛ وفتح القدير، (١/٧١٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٥/١٥٨).

(٤) التحرير والتنوير، (٤/١٠٢).

الدراسات الإحصائية لأعداد المنتحرين في العالم أخفض نسبة للانتحار في العالم الإسلامي؛ مقارنة العالم الغربي؛ وذلك بسبب تعليم القرآن الكريم، والسنة، بينما يعاني الغرب من عدم وجود تعليمٍ يمنعهم من الإقدام على الانتحار، فتكون نسبة الانتحار عندهم عالية.



الْحَاثِمَةُ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن أهم النتائج التي توصل إليه البحث ما يأتي:

- الاعتراف بالذنب قبل فوات الأوان فضيلة، وعواقبه حميدة، وآثاره طيبة، وهو الحل الأمثل للخروج من الوقوع في أمور عواقبها وخيمة، وآثارها سيئة.
- الاعتراف بالذنب، والتوبة منه، والندم على ما فات من ارتكاب المعصية، وترك واجب من الواجبات، فالتوبة منها يسقط ما قبلها من الذنوب.
- خلط الأعمال الصالحة بالسيئة مع التوحيد، لا يكون مانعاً من قبول التوبة، والعفو عن السيئات.
- الاعتراف بالذنب يهدم أعظم الذنوب، وأخطرها وهو الكفر والشرك والنفاق قبل الموت، ويبدلها حسنات.
- تأخير الاعتراف بالذنب، وترك المحظور، وتقصير الواجب والتفريط فيها، إلى معاينة الموت، واليأس، ونزول البأس، هو من أهم الأسباب المانعة من قبول التوبة، والعفو عن السيئات.
- انتهاز الفرصة مطلب شرعي، بل يجب ذلك في هذه الحالات، فلا ينبغي تفوته والتهاون فيه، والتسويق.
- الاعتراف بالذنب من حسن الخلق والتواضع، وشيم العقلاء، وهو من أسباب استجابة الدعاء، وكشف الضرر، وتفريج الهموم، والكرب.

- دلت النصوص على أنه من حق المعترف بذنبه أن يُصفح عنه قبل صوله للحكم، ويُسأل له المغفرة.
- أهم أسباب الوقوع في الانتحار، هو الإعراض عن ذكر الله، والوقاية منه، هو ذكر الله، ومراقبته سبحانه.
- الاعتراف بالذنب هو الحل الأمثل الوحيد لعلاج الانتحار، وقوة المناعة الإيمانية، كما عاجلها الإسلام.
- الاعتراف بالذنوب هو الخطوة الأولى لتعديل المسار، وتصحيحه، والخروج من المشاكل عواقبها وخيمة.
- الحق هو شرع الله وفهمه، واتباعه وفق سنة نبي الرحمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لإنقاذ البشرية من عواقب الجرائم، وويلاتها.
- والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى أهل وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



المصادر والمراجع

١. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما ، لضياء الدين المقدسي محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي، المقدسي الأصل، الصالحي الحنبلي أبو عبد الله ضياء الدين (ت: ٦٤٣هـ) ، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهبش، مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، ط ٣، ٢٠٠٠م.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد أبو السعود أفندي بن محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى عماد الدين العمادي الأسكليبي الحنفي أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٤. تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، لعبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو سعيد أو أبو الخير ناصر الدين البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، دار الفكر - بيروت.
٥. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للشيخ أبي بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر المعروف بأبو بكر الجزائري (ت: ١٤٣٩هـ) ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط ٥، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٦. التحرير والتنوير المسمى (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٧. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ١، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.
٨. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، مكتبة مشكاة الإسلامية.
٩. تفسير البحر المحيط، للعلامة لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، أبو حيان النحوي (ت: ٧٤٥هـ)، دار الفكر.
١٠. تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
١١. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لعبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي المعروف بابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، مصدر الكتاب: ملفات وورد على ملتقى أهل الحديث، الكتاب مشكول ومرقم آليا غير موافق للمطبوع.
١٢. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبدالرحمن محلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٤. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ.

١٥. التفسير الوسيط، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
١٦. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
١٧. التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١ هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق، ط ١، ١٤١٠ هـ.
١٨. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط - التتمة تحقيق: بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط ١.
١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٠. سنن الترمذي المسمى (الجامع الكبير)، لمحمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (ت: ٢٧٩ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م.
٢١. صحيح البخاري المسمى (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه)، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦ هـ)، الطبعة الهندية من ملقى أهل الحديث، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، وترقيم الأحاديث موافق لترقيم أحاديث فتح الباري، الطبعة السلطانية.

٢٢. تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن المسمى)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٢٣. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ).
٢٤. تفسير الألوسي المسمى (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المسمى)، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٥. زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بمحمد أبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
٢٦. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، الأحاديث المذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر - بيروت.
٢٧. سنن النسائي الصغرى المسمى (المجتبى من السنن)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الأحاديث المذيلة بأحكام الألباني عليها، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٨. سنن النسائي الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبدالغفور سليمان البندرأوي، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٩. شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال القرطبي المعروف بابن بطلال (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٠. شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٤٩٤م.
٣١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، يناير ١٩٩٠م.
٣٢. صحيح ابن حبان المسمى (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٣٣. صحيح الإمام مسلم المسمى (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٤. تفسير النيسابوري المسمى (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، لنظام الدين القمي الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٥. غريب الحديث، لابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: عبدالله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، ط ١، ١٣٩٧هـ.
٣٦. القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، دار الملايين - بيروت.

٣٧. تفسير الزمخشري المعروف (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٨. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤٠. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، دار الفكر - بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار الصادر - بيروت، ط ١.
٤٢. تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٤٣. المستدرک علی الصحيحین، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٤٤. المسند، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المعروف بأحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٤٥. مصنف ابن أبي شيبة المسمى (المصنف في الأحاديث والآثار)، لأبي بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٤٦. تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
٤٧. معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ).
٤٨. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط ٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
٤٩. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥٠. تفسير الرازي المسمى (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥١. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت - لبنان.
٥٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين البقاعي أبي الحسن لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٥٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين البقاعي أبي الحسن لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، ط ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدرآباد - الدكن - الهند.
٥٤. تفسير الماوردي المسمى (النكت والعيون)، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، راجعه وعلّق عليه: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية - بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
٥٥. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٥٦. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي المشهور بعبد الفتاح القاضي (ت: ١٤٠٣هـ)، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٥٧. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ)، تحقيق: صفوت عدنان داوودي، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت.

٥٨. مقالة بعنوان: (أرقام صادمة عن الانتحار حول العالم.. أوروبا في المقدمة، والشرق الأوسط الأقل)، ٩ سبتمبر ٢٠٢١ م.

<https://shortest.link/1CvV>

٥٩. مقالة بعنوان: (ظاهرة الانتحار في المجتمعات الغربية)، للدكتور عبد الحق عزوزي، صحيفة الجزيرة، السبت ١٤ سبتمبر ٢٠١٩ م، ٩ سبتمبر ٢٠٢١ م.

<https://shortest.link/1CvY>

٦٠. مقالة بعنوان: (الانتحار يهدد مجتمعات الغرب)، للدكتور أكرم المشهداني، معهد الإمام الشيرازي الدولي للدراسات واشنطن، ٩ سبتمبر ٢٠٢١ م.

<https://shortest.link/1GOe>

٦١. الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية تصدر إرشادات بعنوان (عش الحياة لتعزيز جهود الوقاية من الانتحار)، ١٧ حزيران - يونيو ٢٠٢١ م، الصحة عدد (١٠٧٨١٢٢)، ٨ سبتمبر ٢٠٢١ م.

<https://shortest.link/1GOk>

٦٢. الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية بعنوان: (الانتحار)، ١٧ حزيران - يونيو ٢٠٢١ م، ٨ سبتمبر ٢٠٢١ م.

<https://shortest.link/1GOE>

٦٣. الموقع الرسمي لمداد مقالة بعنوان: (كرسي الاعتراف في الديانة النصرانية)، لخدم حسين إلهي بخش، محرم ١٤٤١هـ، ١٨/٩/٢٠١٩م، ٩ سبتمبر ٢٠٢١م.

<https://shortest.link/1GOM>

٦٤. موقع أسرار الإعجاز العلمي لعبد الدائم الكحيل، مقالة بعنوان: (ظاهرة الانتحار.. كيف عاجلها القرآن)، ٣٠ كانون الثاني - يناير ٢٠٢٠م، ٨ سبتمبر ٢٠٢١م.

<https://shortest.link/1GOV>

٦٥. موقع عربي BBC بي بي سي شرق أوسط الأخبار الرئيسية، مقالة بعنوان: (لماذا ترتفع معدلات الانتحار بين الشباب في العالم؟)، ٢ مايو - أيار ٢٠١٨م، ٩ سبتمبر ٢٠٢١م.

<https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-43979847>

٦٦. موقع لها أون لاين، مقالة بعنوان: (الانتحار في الغرب.. ظاهرة تستحق التأمل) رحالة عالم الأسرة، محرم ١٤٣١هـ - ٢٠ يناير ٢٠١٠م، ٩ سبتمبر ٢٠٢١م.

<https://shortest.link/1CwX>

٦٧. موقع الفاتيكان نيوز، مقالة بعنوان: (تعليم الكنيسة بشأن سرّ التوبة عند استحالة التقدم من كرسي الاعتراف)، ٩ سبتمبر ٢٠٢١م.

<https://shortest.link/1Cxa>



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ



تفسير سورة المسد

رواية ودراية

د. أفنان مصطفى أحمد الديباني

الأستاذ المساعد بقسم علوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

جامعة جدة – المملكة العربية السعودية.

fonaaldebani@gmail.com

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

ملخص البحث

موضوع البحث:

جمع ودراسة لتفسير سورة المسد.

أهمية البحث:

بعث الأمل والطمأنينة في نفوس المسلمين اليوم، لما في السورة من توعده الكافرين المحاربين لدين الله ونبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوضيح بأن النصر إنما يكون لدين الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هدف البحث:

- ١- النظر والجمع والترجيح بين أقوال المفسرين في تفسير السورة.
- ٢- بيان موقف الإسلام من الكفار الظالمين، ولو كانوا أقرب الأقربين.

مشكلة البحث:

ما الذي تم جمعه ودراسته في تفسير سورة المسد؟

من نتائج البحث:

لا يغني المال ولا الولد عن العبد شيئاً من عذاب الله إذا عمل بمساخطه وترك مراضيه.

الكلمات الدالة (المفتاحية):

تفسير - سورة المسد - رواية - دراية.



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

المقدمة

الحمد لله الذي ﴿ نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، وجعله نبراسا لمن أراد الصواب ومنهجاً لمن أراد التوفيق في الحياة، فهو المرجع الذي لا يزيغ متبعه وهو الحجة الباقية إلى قيام الساعة، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين صاحب الرسالة الذي أدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين... أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى أنزل خير كتبه على خير خلقه، فأنزل القرآن الكريم على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعله معجزة خالدة محفوظة من الزيادة والنقصان صالحة لكل الأزمنة والأمكنة ولكل العصور والأمصار، وقد جعله الله سبحانه وتعالى خاتم الكتب السماوية، وهدايا للأمم المحمدية، والمصدر الأول للتشريع، والكتاب الوحيد الذي ﴿ يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، مخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهاديهم إلى السعادة والسرور، وسائقهم إلى جنات الخلود.

ولذا فإن المسلمين على مر العصور قد أولوه من العناية والاهتمام ما لم يحظ به غيره، فاشتغلوا بمعرفة تفسيره ومعانيه، وفهم مقاصده ومراميه، واستخراج حكمه وأحكامه، ودلالاته وغاياته، ومع كل هذه الجهود إلا أن ما يحويه القرآن الكريم لا ينتهي ولا ينضب، بل هو كثير الفائدة عظيم العطاء.

ومحاولة مني في الاسهام بخدمة كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قمت بعد الاستخارة والتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بدراسة سورة المسد دراسة تحليلية، لما تحويه من القيم والفوائد العظيمة.



سبب اختيار الموضوع وأهميته:

- ١- بعث الأمل والطمأنينة في نفوس المسلمين اليوم، خاصة من يشعر منهم بالانزمام، فسورة المسد تظهر توعد الكافرين المحاربين لدين الله ونبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووعيدهم، ثم توضح أن النصر والعاقبة إنما تكون لدين الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٢- خدمة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ونيل شرف تفسيره.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

- ١- تفسير سورة المسد بالرواية والدراية.
- ٢- النظر والجمع والترجيح بين أقوال المفسرين.
- ٣- بيان موقف الإسلام من الكفار الظالمين، ولو كانوا أقرب الأقربين.

الدراسات السابقة:

اهتم كثير من الباحثين بسورة المسد، فتناولوها بالدراسة في عدد من البحوث التفسيرية والبلاغية والبيانية، ومن هذه البحوث على سبيل المثال لا الحصر:

- ١- في سورة اللهب: دراسة بلاغية (١٩٩٨م) لأحمد فتحي رمضان، بحث محكم، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العراق، العدد: ٣١.
- ٢- التفسير البياني لسورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م) لمحمد رضا حسين الحوري، بحث محكم، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، العدد: ٢.

٣- تفسير سورة المسد، لمحمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف الملوي (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م) تحقيق: طه محمد فارس، بحث محكم، مجلة المعيار، كلية الإمام مالك الشرعية والقانون، الإمارات.

● خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع. وتفصيلها كالتالي:

١. المقدمة: وتشمل: سبب اختيار الموضوع، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطته، ومنهج العمل المتبع فيه.

٢. التمهيد: ويحتوي على أسماء سورة المسد، وتعريف بأبي لهب وامراته.

٣. الفصل الأول: التفسير بالرواية.

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: سبب النزول.

- المبحث الثاني: بيان المكي والمدني.

- المبحث الثالث: تفسير القرآن بالقرآن.

- المبحث الرابع: التفسير الأثري الوارد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والتابعين رَجَمَهُمُ اللهُ.

- المبحث الخامس: بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة.

٤. الفصل الثاني: التفسير بالدراية.

وفيه ثمانية مباحث:

- المبحث الأول: التناسب بين الآيات والسور.
- المبحث الثاني: المقاصد.
- المبحث الثالث: الغريب واللغة.
- المبحث الرابع: أوجه الإعراب.
- المبحث الخامس: الأساليب البلاغية.
- المبحث السادس: أقوال المفسرين بالدراية.
- المبحث السابع: أحكام القرآن.
- المبحث الثامن: الاستنباطات.

٥. الفصل الثالث: التفسير الجملي.

٦. الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث، وتوصياته.

٧. فهرس المصادر والمراجع

● منهج البحث:

- ١- جمع نصوص التفسير من التفاسير المطبوعة المعتبرة مرتبة تاريخياً بتقديم السابق ثم اللاحق ما أمكن ذلك.
- ٢- ذكر الأقوال عند إيراد مسألة مختلف فيها، ثم الترجيح بينها وفق قواعد الترجيح.
- ٣- تقسيم النقول إلى قسمين: قسم الرواية ثم الدراية.

- ٤- الاكتفاء بتخريج آيات سورة المسد أول البحث، وعدم تكرار تخريجها كلما ذكرت، مع تخريج غيرها من الآيات في هامش البحث.
- ٥- تخريج الأحاديث الواردة في كتب التفسير من الصحيحين، فإن لم يوجد فيهما أو في أحدهما بحث في باقي الكتب الستة، مع كتابة رقم الحديث، واسم الكتاب والباب، ورقم الجزء، ورقم الصفحة، وبيان درجة الحديث ما أمكن، ثم يُشار إلى موضع ورود الحديث في كتب التفاسير.
- ٦- الاكتفاء بأصح الطرق للآثار الواردة في كتب التفسير، مع الإشارة إلى موضع ورودها في باقي التفاسير، ثم ذكر الحكم عليها ما أمكن.
- ٧- الرجوع إلى المصادر الأصلية ما أمكن.
- ٨- عدم ذكر الاستطرادات العقدية والفلسفية والنحوية والفقهية.
- ٩- ترجمة الأعلام الواردين في البحث ترجمة مختصرة عند أول موضع يرد فيه ذلك العلم.
- ١٠- التعريف بالأماكن والمواضع في أول موضع يرد فيه ذكرها.
- ١١- الاكتفاء في غريب الكلمات القرآنية بما تطرق إليه المفسرون وبينوا معناه أولاً، ثم يبحث بعد ذلك عن هذه الكلمات في كتب غريب القرآن.
- ١٢- توثيق النقول العلمية وعزوها إلى مصادرها، وإن كانت في هامش الكتاب الذي أخذت منه، وذلك بذكر اسم الكتاب والمؤلف ورقم الجزء والصفحة.



مَهْيَدٌ

سورة المسد بها سبعة وسبعون حرفاً، وعشرون كلمة، وخمس آيات^(١).

وقد ورد عدد من الأسماء لهذه السورة الكريمة، منها:

١- سورة تبت:

جاءت هذه التسمية من أول آية في السورة الكريمة، كما دلت عليه عدد من الآثار منها:

ما أخرجه البخاري بسنده عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: « قال أبو لهب - عليه لعنة الله

- للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تبا لك سائر اليوم فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١] »^(٢).

٢- سورة المسد:

وهو اسمها المثبت في المصاحف، وسميت به لتفرد السورة بهذه اللفظة عن غيرها من

سور القرآن الكريم، قال تعالى في آخر السورة: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ٥]^(٣).

٣- سورة اللهب أو أبو لهب:

وسميت بذلك لورود قصة عداوة أبي لهب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا

أَبِي لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١]^(٤).

(١) الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٣/١٠)؛ وينظر: تفسير السمرقندي، للسمرقندي، (٦٣٢/٣)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٣٤/٢٠)؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، لليضاوي، (٣٤٥/٥)، قال أبو عمرو: "ثلاث وعشرون كلمة؛ البيان في عدّ أي القرآن، لأبي عمرو الداني، (ص ٢٩٥).

(٢) صحيح البخاري، للبخاري، ح (١٣٩٤)، كتاب: الجنائز، باب: ذكر شرار الموتى، (٢/١٠٤).

(٣) التفسير المنير، للزحيلي، (٤٥٣/٣٠)؛ وينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة الدوسري، (ص ٦٢٣).

(٤) التفسير المنير، للزحيلي، (٤٥٣/٣٠)؛ وينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة الدوسري، (ص ٦٢٥).

وأبو لهب: هو عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وكنيته: أبو عتبة (١).

وامراته هي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان وعمة معاوية، وكانت في غاية العداوة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢).



(١) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (١/١٦٠)؛ وتفسير السمرقندي، للسمرقندي، (٣/٦٣٢)؛ والمحزر الوجيز، لابن عطية، (٥/٥٣٤)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/٢٣٦)؛ والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠/٦٠١)؛ وحدائق الروح والريحان، للهرري، (٣٢/٤١٧).

(٢) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (٢/٥)؛ والكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/٣٢٦)؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدى، (ص ١٢٤٠).



الفصل الأول:
التفسير بالرواية .

المبحث الأول:

سبب النزول.

ورد عدد من الروايات التي تبين سبب نزول السورة الكريمة:

أولاً: أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصفا^(١)، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطون قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبالك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟».

فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ١-٢] (٢).

وأخرج الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن زيد^(٣)، قال: «قال أبو لهب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ماذا أعطى يا محمد إن آمنت بك؟ قال: «كَمَا يُعْطَى الْمُسْلِمُونَ»، فقال: مالي عليهم فضل؟ قال: «وَأَيُّ شَيْءٍ تَبْتَغِي؟» قال: تبألهذا من دين تبا، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله:

(١) الصَّفا: اسم أحد جبلي المسعى، وهو: الجبل الذي يبدأ منه السعي، ويقع في الجهة الجنوبية مائلاً إلى الشرق على بعد نحو ١٣٠ متر من الكعبة المشرفة، ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٤٦٤ / ١٤)؛ وحدود الصفا والمروة التوسعة الحديثة دراسة تاريخية فقهية، لابن دهب، (ص ٢٣).

(٢) صحيح البخاري، ح (٤٧٧٠)، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٣١٤) وَكُفِّضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الشعراء: ٢١٤-٢١٥] أَلْن جَانِبِكَ، (١١١ / ٦).

وبنحوه صحيح مسلم، ح (٢٠٨)، كتاب: الإيثار، باب: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، (١ / ١٩٣). وينظر: جامع البيان، للطبري، (٢٤ / ٦٧٦).

(٣) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوي المدني، مولى عمر بن الخطاب، كان في نفسه صالحاً، وفي الحديث واهياً، وكان يلقب بالأخبار وهو لا يعلم، ضعفه أحمد بن حنبل، وابن أبي حاتم، والنسائي وغيرهم، توفي سنة: اثنتين وثمانين ومئة.

ينظر: الضعفاء والمتروكون، للنسائي، (ص ٦٦)؛ الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (٥ / ٢٣٣)؛ وتهذيب الكمال، للمزي، (١٧ / ١١٤)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (٦ / ١٧٧).

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] يقول: بما عملت أيديهم^(١).

وروي أنه كان إذا وفد على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفدًا انطلق إليهم أبو لهب، فيسألونه عن رسول الله ويقولون: أنت أعلم به، فيقول لهم أبو لهب: إنه كذاب ساحر، فيرجعون عنه ولا يلقونه، فأتاه وفد، ففعل معهم مثل ذلك، فقالوا: لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه، فقال لهم أبو لهب: إننا لم نزل نعالجه من الجنون فتبًّا له وتعسًّا، فأخبر بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاكتأب له، فأنزل الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ ﴾ السورة^(٢).

وروي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لما دعاه نهاراً فأبى، فلما جن الليل ذهب إلى داره مستناباً بسنة نوح ليدعوه ليلاً كما دعاه نهاراً، فلما دخل عليه قال له: جئتني معذراً فجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمامه كالمحتاج، وجعل يدعو إلى الإسلام وقال: إن كان يمنعك العار فأجبنني في هذا الوقت واسكت، فقال: لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الجدي، فقال عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجدي: من أنا؟ فقال رسول الله وأطلق لسانه يثني عليه، فاستولى الحسد على أبي لهب، فأخذ يدي الجدي ومزقه وقال: تبا لك أثير فيك السحر، فقال الجدي: بل تبا لك، فنزلت السورة على وفق ذلك ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] لتمزيقه يدي الجدي^(٣).

وروي أن أبا لهب كان يقول: "يعدني محمد أشياء، لا أرى أنها كائنة يزعم أنها بعد الموت، فلم يضع في يدي من ذلك شيئاً، ثم ينفخ في يديه ويقول: تبا لكما ما أرى فيكما شيئاً، فنزلت السورة.

(١) جامع البيان، للطبري، (٦٧٥ / ٢٤)؛ وينظر: النكت والعيون، للهاوردي، (٣٦٣ / ٦)؛ وجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠ / ٢٣٥).

وهذا ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف عبد الرحمن، الاستيعاب في بيان الأسباب، للهلال وآل نصر، (٣ / ٥٧٦).

(٢) النكت والعيون، للهاوردي، (٣٦٤ / ٦)؛ وجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠ / ٢٣٥). وهذا القول لا سند عليه ولا رواية تثبته.

(٣) التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٤٩ / ٣٢). وهذا القول لا سند عليه ولا رواية تثبته.

يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بهالي وأولادي، فأنزل الله تعالى هذه الآية" (١).

وباستعراض أسباب النزول الواردة، يتضح أن السبب الأول الذي رواه البخاري هو الصحيح المسند المروي عن شاهد التنزيل وهو ابن عباس ط وبهذا يرجح عن غيره مما روي في سبب نزول الآيات عملا بالقاعدة: إذا تعددت الرويات في سبب النزول نظر إلى الثبوت فاقتصر على الصحيح ثم العبارة فاقتصر على الصريح (٢).



(١) المرجع السابق. وهذا القول لا سند عليه ولا رواية تثبته.
(٢) قواعد التفسير، لخالد السبت، (١/٦٩).

المبحث الثاني:

تفسير القرآن بالقرآن.

قول الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] رد على أبي لهب حين قال للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَبَّ لك أهدا جمعنا، إشارة للتحقير، وهو كقوله تعالى: ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، والمعنى تحقيره. وكما قالوا: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] (١).

ومعنى قوله: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] التباب الخسار. كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٧] أي: خسار (٢).

- قوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد: ٢]:

نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ [الليل: ١١]، وقوله تعالى: ﴿ مِّنْ وَرَائِهِم جَهَنَّمٌ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الجاثية: ١٠]، وكقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ۙ ۙ نَسْرِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ۖ يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ۖ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ [الهمزة: ٢-٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَذَٰلِمَا لَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۗ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ﴾ [الحاقة: ٢٧-٢٨]، وقوله تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۗ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَّ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

(١) تفسير جزء عم، لابن عثيمين، (ص ٣٤٥).

(٢) المرجع السابق.

كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [آل عمران: ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المنافقون: ١٦-١٧]، والآيات بمثل هذا كثيرة جدا^(١).

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد: ٢] أي لم يُغْنِ عَنْهُ حِينَ حَلَّ بِهِ التَّبَابُ أَصْلُ مَالِهِ وَمَا كَسَبَهُ مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالتَّائِجِ وَالتَّنَافِعِ وَالتَّجَارَةِ وَالتَّوَابِعِ أَوْ مَالِهِ الْمُرُوثِ مِنْ أَبِيهِ وَالَّذِي كَسَبَهُ بِنَفْسِهِ أَوْ عَمَلِهِ.

الخبث الذي هو كيدُه في عداوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ عَمَلُهُ الَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]^(٢).

- قوله تعالى: ﴿ سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد: ٣]:

أخبر الله سبحانه في الآية الكريمة بحال ومآل أبي لهب وأنه سيظل على الكفر ويموت عليه فيدخل نارا ذات لهب. ومثله الوليد بن المغيرة الذي أخبر الله تعالى عن حاله ومآله فقال تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَأْرِهْفُهُ صَعُودًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ سَأْصِلِيهِ سَقَرًا ﴾. [سورة المدثر: ١١-٢٦].

- قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ٥]:

الحبل: هو المتعارف عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقَوُا فِإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَى ﴾ [سورة طه: ٦٦].

(١) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، (١٤٤/٩)، (١٩٢/٧).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢١٠/٩).

المبحث الثالث:

بيان المكي والمدني.

سورة المسد هي سورة مكية بالاتفاق^(١).

فقد روي أن أول ما نزل من القرآن بمكة: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، ثم ﴿تَوَالَّفَ وَمَا

يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، ثم ﴿يَأْتِيهَا الْمُرُؤِلُ﴾ [المزمل: ١]، ثم ﴿يَأْتِيهَا الْمُدِيرُ﴾ [المدثر: ١]، ثم ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾

[المسد: ١]، ثم ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]^(٢).

المبحث الرابع:

التفسير الأثري الوارد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

أخرج الإمام أحمد بسنده عن ربيعة بن عباد الديلي^(٣)، أنه قال: « رأيت أبا لهب

(١) ينظر تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان، (١١٩/٤)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (٣٢٧/٥)؛

والمحرر الوجيز، لابن عطية، (٥٣٤/٥)؛ والبرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١٩٣/١).

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١٩٣/١)؛ الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، (٤٢/١).

(٣) ربيعة بن عباد، وهو من بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، مدني، قال البخاري: "له صحبه"، رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذئ المجاز يتبع الناس في رحلهم يدعوهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ قبل أن يسلم، ثم أسلم وشهد غزوة اليرموك، توفي بالمدينة أيام الوليد بن عبد الملك.

ينظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (٤٧٢/٣)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (٢٦٤/٢)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٥١٧/٣).

بعكاظ^(١)، وهو يتبع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: يا أيها الناس، إن هذا قد غوى، فلا يغوينكم عن آلهة آبائكم، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفر منه، وهو على أثره، ونحن نتبعه، ونحن غلمان، كأني أنظر إليه أحول ذو غديرتين^(٢) أبيض الناس، وأجلهم^(٣).

وأخرج الحاكم بسنده عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: «لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر^(٤) وهي تقول: مذمما أيينا ودينه قلينا وأمره عصينا، والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس في المسجد ومعه أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فلما رآها أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله، قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنها لن تراني» وقرأ قرآنا فاعتصم به كما قال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] فوقفت على أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولم تر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا أبا بكر، إني أخبرت أن صاحبك هجاني. فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك. فقلت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها^(٥).

وقد وردت آثار عن السلف تبين أن معنى قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ﴾ هو خسرت.

- (١) اسم سوق من أعظم أسواق العرب في الجاهلية، بينه وبين الطائف عشرة أميال، كانت قبائل العرب تجتمع فيه كل سنة ليتفاخروا، ويحضر شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون، وقد كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال وقيل: صبح هلال ذي القعدة.
- ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٤/ ١٤٢)؛ و معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، للبكري، (ص ٩٥٩).
- (٢) الغديرتان: الذؤابتان اللتان تسقطان على الصدر، لسان العرب، لابن منظور، (١٠/ ٥).
- (٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح (١٦٠٢٠)، مسند: المكين، حديث ربيعة بن عباد الديلي، (٤٠١/ ٢٥).
- وينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨/ ٤٨٥)؛ قال محقق مسند الإمام أحمد: إسناده صحيح، رجاله ثقات، مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، (٤٠٢/ ٢٥)، هامش (٢).
- (٤) الفهر: الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه، وقيل: هو حجر يملأ الكف، لسان العرب، لابن منظور، (٥/ ٦٦).
- (٥) المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، ح (٣٣٧٦)، كتاب التفسير، ومن تفسير سورة بني إسرائيل، (٢/ ٣٩٣).
- وينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (١٠/ ٣٤٧٢)؛ والنكت والعيون، للساوردي، (٦/ ٣٦٨)؛ والتفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢/ ٣٥٤)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/ ٢٣٤)؛ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨/ ٤٨٧).
- قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح، المستدرک، للحاكم، (٢/ ٣٩٣).

فقد أخرج عبد الرزاق بسنده عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] قال: "خسرت يدا أبي لهب وخسر" (١).

وأخرج الطبري بسنده عن ابن زيد في قول الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] قال: «التبّ: الخسران» (٢).

وورد عن ابن عباس مثله (٣).

وفي سبب تسمية أبي لهب بهذا الاسم أورد الحسن رَحْمَةُ اللَّهِ قَوْلَهُ: «إِنَّمَا سُمِّيَ أَبَا لَهَبٍ مِنْ حَسَنِهِ» (٤).

وفيما تبّت عنه يدا أبي لهب وجهان محتملان (٥):

أحدهما: عن التوحيد، قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الثاني: عن الخيرات، قاله مجاهد رَحْمَةُ اللَّهِ (٦).

- ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢].

قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ﴾ :

(١) تفسير عبد الرزاق، لعبد الرزاق الصنعاني، (٣/ ٤٧٣)؛ وينظر: جامع البيان، للطبري، (٢٤/ ٦٧٥)؛ والدر المنثور، للسيوطي، (٨/ ٦٦٦).

والإسناد صحيح إلى قتادة.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر، جامع البيان، للطبري، (٢٤/ ٦٧٥).

الإسناد صحيح من الطبري إلى عبدالرحمن بن زيد بن أسلم. ينظر: أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفقهاء، (ص ٥١٢).

(٣) نسبه إليه ابن أبي حاتم في تفسيره، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (١٠/ ٣٤٧٣)؛ وينظر: الدر المنثور، للسيوطي، (٨/ ٦٦٦).

(٤) نسبه إليه ابن أبي حاتم في تفسيره، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (١٠/ ٣٤٧٣)؛ وينظر: الدر المنثور، للسيوطي، (٨/ ٦٦٦).

(٥) لأنهما من باب التنوع لا من باب التضاد، فكل معنى منهما يدل على معنى في المسمى مع اتحاد المسمى، ينظر: قواعد التفسير، خالد السبت، (١/ ٢٠٨).

(٦) نسبه إليها الماوردي. النكت والعيون، للماوردي، (٦/ ٣٦٥).

ما نفعه، قاله الضحاك (١).

وفي معنى: ﴿مَالُهُ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه أراد أغنامه، لأنه كان صاحب سائمة، قاله أبو العالية (٢).

الثاني: أنه أراد تليده وطارفه، والتليد: الموروث، والطارف: المكتسب (٣).

واختلف السلف رَجَمَهُ اللهُ في معنى ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ على ثلاثة أقوال:

• الأول: أنها تعني ولده، وبذلك فسره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما روت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

فقد أخرج النسائي بسنده عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن أطيّب

ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه» (٤). وبمثله فسّر ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ومجاهد رَجَمَهُ اللهُ (٥).

وأخرج الحاكم بسنده عن أبي الطفيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "كنت عند ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما يوماً

فجاءه بنو أبي لهب يختصمون في شيء بينهم فقام يصلح بينهم، فدفعه بعضهم، فوقع على

الفراش، فغضب ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما وقال: «أخرجوا عني الكسب الخبيث - يعني ولده -

﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢]" (٦).

(١) نسبه إليه الماوردي. المرجع السابق، (٦/ ٣٦٥).

(٢) النكت والعيون، للماوردي، (٦/ ٣٦٥)؛ وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/ ٣٢٥).

(٣) النكت والعيون، للماوردي، (٦/ ٣٦٥).

(٤) المجتبى من السنن، للنسائي، ح (٤٤٥٢)، كتاب: البيوع، الحث على الكسب، (٧/ ٢٤١).

وأخرجه ابن ماجه في سننه، ح (٢١٣٧)، كتاب: التجارات، باب: الحث على المكاسب، (٢/ ٧٢٣)، بمثله.

قال الألباني في تعليقه على الحديث: صحيح، المجتبى من السنن، للنسائي، (٧/ ٢٤١).

(٥) ينظر: تفسير عبد الرزاق، لعبد الرزاق الصنعاني، (٣/ ٤٧٣)؛ وجامع البيان، للطبري، (٢٤/ ٦٧٧)؛ والكشف والبيان،

للثعلبي، (١٠/ ٣٢٦)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/ ٢٣٧).

(٦) المستدرک على الصحيحين، للحاكم، ح (٣٩٨٦)، كتاب التفسير: تفسير سورة أبي لهب، (٢/ ٥٨٨).

قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري، المستدرک، للحاكم، (٢/ ٥٨٨)؛ وقال ابن الملقن: والظاهر أنه على

شرط مسلم، مختصر استدرک الحافظ الذهبي على مُستدرک أبي عبد الله الحاکم، لابن الملقن، (٢/ ٩٩٢)، هامش (٢).

وأخرج الطبري بسنده عن مجاهد ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد: ٢] قال: «ما كسب: ولده»^(١).

• الثاني: أنها تعني ما يفترق به نفسه ومملكه وولده.

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرباءه الى الله سبحانه قال أبو لهب لأصحابه: "إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأني أفترق نفسي وملكي وولدي، فأنزل الله سبحانه ما أغنى أي ما يغني، وقيل: أي شيء أغنى عنه ماله من عذاب الله"^(٢).

• الثالث: أنها تعني عمله الخبيث، قاله الضحاك^(٣).

والراجح - والله أعلم - أن اختلاف السلف هنا من باب التنوع لا التضاد^(٤)، فقد عبر كل واحد منهم عن نوع من أنواع ما كسبه أبو لهب؛ كولده، وماله، وما يفترق به كجاهه، وعمله، لكنها لن تغني عنه هي ولا غيرها من عذاب الله شيء.

وإلى هذا ذهب الشيخ ابن عثيمين فقال: "والصواب أن الآية أعم من هذا، وأن الآية تشمل الأولاد، وتشمل المال المكتسب الذي ليس في يده الآن، وتشمل ما كسبه من شرف وجاه. كل ما كسبه مما يزيد شرفا وعزا فإنه لا يغني عنه شيئا ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد: ٢]"^(٥).

(١) جامع البيان، للطبري، (٦٧٧/٢٤)؛ وينظر: الدر المنثور، للسيوطي، (٦٧٩/٤).

والإسناد من طريق ابن بشار صحيح. ينظر: أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفتحي، (ص ٦٣٠).

(٢) نسبه إليه الثعلبي، الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٥/١٠)؛ وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبخاري، (٣٢٧/٥).

(٣) نسبه إليه الماوردي، النكت والعيون، للماوردي، (٣٦٦/٦).

(٤) قواعد التفسير، لخالد السبت، (٢٠٨/١).

(٥) تفسير جزء عم، لابن عثيمين، (ص ٣٤٧).

أخرج الحاكم بسنده عن أبي عقرب^(١)، قال: «كان لهب بن أبي لهب يسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم سلط عليه كلبك» فخرج في قافلة يريد الشام فنزل منزلاً، فقال: إني أخاف دعوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا له: كلا، فحطوا متاعهم حوله وقعدوا يجرسونه فجاء الأسد فانتزعه فذهب به»^(٢).

- ﴿سَيَصَلَّى نَارًا ذَاتَ هَبٍ﴾ [المسد: ٣].

وفي ﴿سَيَصَلَّى﴾ وجهان:

أحدهما: صلي النار، أي خطباً ووقوداً^(٣).

الثاني: يعني تصليه النار، أي تنضجه، وهو معنى قول ابن عباس.

فيكون على الوجه الأول صفة له في النار، وعلى الوجه الثاني صفة للنار^(٤).

- ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤].

اختلف السلف رَجْمَهُمُ اللَّهُ فِي مَعْنَى ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ على أقوال:

١- كانت تمشي بالنميمة.

(١) أبو عقرب البكري الكناني، اختلف في اسمه فقيل: خويلد بن بحير، وقيل عويج بن خويلد بن خالد بن بحير، وقيل غير ذلك، وهو والد أبي نوفل ابن أبي عقرب، وقيل جده، له صحبة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، (٤/١٧١٧)؛ وتهذيب الكمال، للمزي، (٣٤/٩٧)؛ والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (٧/٢٣٣).

(٢) المستدرک على الصحيحين، للحاكم، ح (٣٩٨٤)، كتاب التفسير: تفسير سورة أبي لهب، (٢/٥٨٨). وينظر: النكت والعيون، للماوردي، (٦/٣٦٦).

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ وقال الذهبي: صحيح؛ وقال ابن حجر: "وهو حديث حسن أخرجه الحاكم من طريق أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه"، المستدرک، للحاكم، (٢/٥٨٨)، فتح الباري، لابن حجر، (٤/٣٩).

(٣) نسبة الماوردي لابن كيسان، النكت والعيون، للماوردي، (٦/٣٦٦).

(٤) نسبة لها الماوردي. المرجع السابق.

أخرج عبد الرزاق بسنده عن قتادة: في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] قال: «كانت تحطب الكلام تمشي بالنميمة»^(١).

أخرج الطبري بسنده عن مجاهد: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] قال: «كانت تمشي بالنميمة»^(٢).

وأخرج الطبري بسنده عن سفيان الثوري: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] قال: «كانت تمشي بالنميمة»^(٣).

وبمثلها قال ابن عباس^(٤) وعكرمة^(٥)، والحسن البصري^(٦) والسدي^(٧).

٢- كانت تحطب فعيرت به.

وقال بعضهم: «كانت تعير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفقر، وكانت تحطب فعيرت بأنها كانت تحطب»^(٨).

(١) تفسير عبد الرزاق، لعبد الرزاق الصنعاني، (٤٧٣/٣)؛ وينظر: جامع البيان، للطبري، (٦٧٩/٢٤)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٣٤٧٣/١٠)؛ والكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٦/١٠)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٣٧/٢٠)؛ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٨٦/٨)؛ والإسناد صحيح؛ ينظر: أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفيهي، (ص ٤٠٣).

(٢) جامع، للطبري، (٦٧٩/٢٤)؛ وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٦/١٠)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٣٧/٢٠)؛ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٨٦/٨)؛ الإسناد صحيح من الطبري إلى مجاهد بن جبر، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفيهي، (ص ٦٢١).

(٣) جامع البيان، للطبري، (٦٧٩/٢٤)؛ وينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٨٦/٨). الإسناد شديد الضعف إلى مهران، لأجل ابن حميد، ولكونه يروي نسخة تفسيرية، فيغتفر وجوده، وبقيّة الإسناد حسن، والله أعلم، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفيهي، (ص ١٥٨).

(٤) الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٦/١٠)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٣٧/٢٠)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٨٦/٨).

(٥) جامع البيان، للطبري، (٦٧٩/٢٤)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٨٦/٨).

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٣٤٧٣/١٠)؛ والنكت والعيون، للماوردي، (٣٦٧/٦)؛ وابن كثير، مرجع سابق، (٤٨٦/٨).

(٧) الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٦/١٠)؛ والنكت والعيون، للماوردي، (٣٦٧/٦)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٣٧/٢٠)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٨٦/٨).

(٨) أورده الطبري في تفسيره، ونسبه الثعلبي والماوردي لقتادة، جامع البيان، للطبري، (٦٧٩/٢٤)؛ وينظر: تفسير عبد الرزاق،

وقد عُلّق على هذا القول، بأنه: "غير قوي، لأن الله سبحانه وصفهم بالمال والولد وحمل الحطب ليس بعيب" (١).

٣- كانت تجيء بالشوك فتطرحة في طريق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليدخل في قدمه إذا خرج إلى الصلاة.

أخرج الطبري بسنده عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، في قوله: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] قال: "كانت تحمل الشوك، فتطرحة على طريق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليعقره وأصحابه" (٢).
وأخرج الطبري بسنده عن الضحاك يقول في قوله: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]: "كانت تحمل الشوك، فتلقيه على طريق نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليعقره" (٣).

وأخرج الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن زيد، في قوله: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] قال: "كانت تأتي بأغصان الشوك، فتطرحها بالليل في طريق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (٤).
٤- ويقال: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: نقالة للحديث.

أخرج الطبري بسنده عن قتادة ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]: "أي كانت تنقل

لعبد الرزاق الصنعاني، (٣/ ٤٧٤)؛ والكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/ ٣٢٦)؛ والنكت والعيون، للهاوردي، (٦/ ٣٦٧)؛ و الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/ ٢٣٧).
(١) قاله الثعلبي. الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/ ٣٢٧).
(٢) جامع البيان، للطبري، (٢٤/ ٦٧٨)؛ وينظر: النكت والعيون، للهاوردي، (٦/ ٣٦٧)؛ ومعالم التنزيل، للبخاري، (٥/ ٣٢٨)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨/ ٤٨٧)، وهذا إسناد لا يفرح بمثله، فهو ضعيف؛ لضعف رجاله عدا محمد بن سعد العوفي، فيمكن أن يحسن حديثه، والله أعلم، أسانيد نسخ التفسير والاسانيد المتكررة في التفسير، للفقهاء، (ص ٣٣٦).
(٣) جامع البيان، للطبري، (٢٤/ ٦٧٩)؛ وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/ ٣٢٧)؛ ومعالم التنزيل، للبخاري، (٥/ ٣٢٨).
وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨/ ٤٨٧)، والإسناد من ابن جرير إلى أبي معاذ النحوي في حيز الضعف الذي لا يضر في مثل نسخ التفسير وهو حسن من الفضل بن خالد إلى الضحاك، أسانيد نسخ التفسير والاسانيد المتكررة في التفسير، للفقهاء، (ص ١٩٦).
(٤) جامع البيان، للطبري، (٢٤/ ٦٧٩)؛ وينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (١٠/ ٣٤٧٣)؛ والكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/ ٣٢٧)؛ ومعالم التنزيل، للبخاري، (٥/ ٣٢٨)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨/ ٤٨٧)؛ والإسناد صحيح من الطبري إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، أسانيد نسخ التفسير والاسانيد المتكررة في التفسير، للفقهاء، (ص ٥١٢).

الأحاديث من بعض الناس إلى بعض" (١).

٥- جمالة الخطايا.

قاله سعيد بن جبير (٢): "دليله قوله سبحانه: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١] ، وقول العرب: فلان يحطب على ظهره إذا أساء، فلان حاطب قريته إذا كان الجاني فيهم، وفلان محطوب عليه إذا كان مجنيا عليه" (٣). "كأنه أراد ما حملته من الآثام في عداوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه كالحطب في مصيره إلى النار" (٤).

ويظهر - والله أعلم - أن الراجح هو بقاء المعنى على ظاهره، لأن امرأة أبي لهب كانت تحمل الشوك وتلقيه في طريق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رغبة منها في إيذائه، فكان جزاؤها من جنس عملها.

وإلى هذا ذهب الطبري: حيث قال: "وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك" (٥).

ومع ترجيح القول السابق إلا أن باقي الأقوال - عدا أنها كانت تحتطب فعيرت به - محتملة في تفسير المعنى؛ لعدم وجود مانع من حمل المعنى على الجميع (٦).

(١) جامع البيان، للطبري، (٦٧٩/٢٤)؛ وينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٣٤٧٣/١٠)؛ والدر المنثور، للسيوطي، (٦٧٩/٤)؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، (٣٢٨/٥)؛ والإسناد حسن من الطبري إلى يزيد بن زريع لحال العقدي وبقية الإسناد صحيح إلى قتادة بن دعامة، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفييه، (ص ٥٦٦).

(٢) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولى بني والبة بن الحارث من بني أسد بن خزيمه، كنيته أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد، كان فقيهاً مفسراً ومقرناً عابداً ورعاً فاضلاً، قتله الحجاج سنة: خمس وتسعين وهو بن تسع وأربعين سنة. ينظر: الثقات، لابن حبان، (٢٧٥/٤)؛ تهذيب الكمال، للمزي، (٣٥٨/١٠)؛ وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٨٧/٥)؛ وتهذيب التهذيب، لابن حجر، (١٤/٤).

(٣) الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٧/١٠)؛ وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (٣٢٨/٥).

(٤) النكت والعيون، للموردي، (٣٦٧/٦).

(٥) جامع البيان، للطبري، (٦٨٠/٢٤).

(٦) قواعد التفسير، لخالد السبت، (٨١٢/٢).

روى الحاكم بسنده عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)، قال: «لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾^(٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥] قال: فقيل لامرأة أبي لهب: إن محمدا قد هجأك فأنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالس في الملاء فقالت: يا محمد على ما تهجونني؟ قال: فقال: «إني والله ما هجوتك ما هجأك إلا الله» قال: فقالت: هل رأيتني أحمل حطبا أو رأيت في جيدي حبلًا من مسد؟ ثم انطلقت، فمكث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أياما لا ينزل عليه فأتته فقالت: يا محمد ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك. فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَالضُّحَىٰ﴾^(١) وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَىٰ﴾^(٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣]»^(٢).

- ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥].

ومعنى ﴿فِي جِيدِهَا﴾: في عنقها، والعرب تسمى العنق جيدا.

أخرج الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن زيد، في قول الله: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ﴾ قال: "في رقبتها"^(٣).

وللمفسرين رَحْمَهُمُ اللَّهُ تعالى أقوال في بيان معنى: ﴿حَبْلٌ﴾:

(١) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، من بني الحارث بن الخزرج، اختلف في كنيته، غزا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبع عشرة غزوة، مات بالكوفة سنة: ست وستين، وقيل: ثمان وستين.

ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، (٢/٥٣٥)؛ وأسد الغابة، لابن الأثير، (٢/٣٤٢)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (٣/٣٩٥).

(٢) المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، ح (٣٩٤٥)، كتاب التفسير: تفسير سورة والضحي، (٢/٥٧٣). وينظر: جامع البيان، للطبري، (٢٤/٦٨٠).

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح كما حدثناه هذا الشيخ إلا أني وجدت له علة"؛ وقال الذهبي: "قال الحاكم إسناداه صحيح إلا أني وجدت له علة".

(٣) جامع البيان، للطبري، (٢٤/٦٨٠).

الإسناد صحيح من الطبري إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفيهي، (ص ٥١٢).

١ - هي حبال تكون بمكة.

فقد أخرج الطبري بسنده عن الضحاك قال: "حبل من شجر، وهو الحبل الذي كانت تحتطب به"^(١).

وأخرج الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن زيد قال: "حبال من شجر تنبت في اليمن لها مسد، وكانت تفتل"، وقال ﴿حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ﴾: "حبل من نار في رقبته"^(٢).

وأخرج الطبري بسنده عن سفيان قال: "حبل في عنقها في النار مثل طوق طوله سبعون ذراعا"^(٣).

وعن ابن عباس قال: "هي حبال تكون بمكة"، ويقال: "المسد: العصا التي تكون في البكرة"، ويقال المسد: "قلادة من ودع"^(٤).

٢ - الحديد أو الحديد الذي يكون في البكرة.

أخرج الطبري بسنده عن عروة بن الزبير ^(٥) ﴿فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥]

(١) جامع البيان، للطبري، (٢٤ / ٦٨٠)؛ وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠ / ٣٢٨)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠ / ٢٤١).

الإسناد من ابن جرير إلى أبي معاذ النحوي في حيز الضعف الذي لا يضر في مثل نسخ التفسير وهو حسن من الفضل بن خالد إلى الضحاك، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفتية، (ص ١٩٦).

(٢) جامع البيان، للطبري، (٢٤ / ٦٨١).

الإسناد صحيح من الطبري إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفتية، (ص ٥١٢).

(٣) جامع البيان، للطبري، (٢٤ / ٦٨١).

الإسناد شديد الضعف إلى مهران، لأجل ابن حميد، ولكونه يروي نسخة تفسيرية، فيغتفر وجوده، وبقيّة الإسناد حسن، والله أعلم. أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفتية، (ص ١٥٨).

(٤) نسبة إليه الطبري، جامع البيان، للطبري، (٢٤ / ٦٨١)، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (٥ / ٣٢٨)؛ و الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠ / ٢٤١).

(٥) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، أبو عبد الله المدني، وهو أخو عبد الله بن الزبير وأمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق، كان ثقة كثير الحديث فقيها عالما ثبتا مأمونا، قطعت رجله وذلك أن الأكلة وقعت فيها فنشرها فما زاد على أن قال الحمد لله، مات سنة أربع وتسعين، وقيل: تسع وتسعين، وقيل غير ذلك. ينظر: الثقات، لابن حبان، (٥ / ١٩٤)؛ تهذيب الكمال، للمزي، (٢٠ / ١١)؛ وتهذيب التهذيب، لابن حجر، (٧ / ١٨٠).

قال: "سلسلة من حديد، ذرعها سبعون ذراعاً"^(١).

وأخرج الطبري بسنده عن مجاهد ﴿مِّن مَّسَدٍ﴾ قال: "من حديد"^(٢).

أخرج الطبري بسنده عن مجاهد ﴿جَبَلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ قال: "عود البكرة من حديد"^(٣).

٣- هو قلادة من ودع في عنقها.

أخرج عبد الرزاق بسنده عن قتادة قال: "من ودع"^(٤).

أخرج الطبري بسنده عن قتادة ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ قال: "قلادة من ودع"^(٥).

وعن ابن عباس قال: "يقال المسد: قلادة من ودع"^(٦).

- (١) جامع البيان، للطبري، (٦٨١ / ٢٤)؛ وينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٣٤٧٣ / ١٠)؛ والكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٨ / ١٠)؛ والنكت والعيون، للهاوردي، (٣٦٧ / ٦)؛ ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبخاري، (٣٢٨ / ٥)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٤١ / ٢٠)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٨٧ / ٨).
إسناده ضعيف، فيه السدي وهو صدوق يهمل، وفيه يزيد لم يذكر فيه جرح ولا تعديل.
- ينظر: وكيع بن الجراح ومروياته في التفسير من أول سورة تبارك إلى آخر سورة الناس، لهيفاء بوقس، (ص ٥٥٨).
- (٢) جامع البيان، للطبري، (٦٨١ / ٢٤)؛ وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبخاري، (٣٢٨ / ٥).
إسناده حسن لغيره، ينظر: وكيع بن الجراح ومروياته في التفسير من أول سورة تبارك إلى آخر سورة الناس، لهيفاء بوقس، رسالة ماجستير، (ص ٥٦٠).
- (٣) جامع البيان، للطبري، (٦٨١ / ٢٤)؛ وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٨ / ١٠)؛ ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبخاري، (٣٢٨ / ٥)؛ والدر المنثور، للسيوطي، (٦٧٩ / ٤).
الإسناد صحيح إلى مجاهد بن جبر، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفيهي، (ص ٥٩٧).
وإليه ذهب عطاء وعكرمة، الشعبي ومقاتل، ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٨ / ١٠).
- (٤) تفسير عبد الرزاق، لعبد الرزاق الصنعاني، (٤٧٤ / ٣)؛ وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٨ / ١٠).
الإسناد صحيح إلى قتادة، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفيهي، (ص ٥٧٢).
- (٥) جامع البيان، للطبري، (٦٨٢ / ٢٤)؛ والنكت والعيون، للهاوردي، (٣٦٨ / ٦).
الإسناد صحيح إلى قتادة، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، للفيهي، (ص ٥٧٢).
- (٦) جامع البيان، للطبري، (٦٨١ / ٢٤)؛ وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٨ / ١٠).
وبه قال: الحسن وسعيد بن المسيب، ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٨ / ١٠).

وأرى والله أعلم أن الآية تحمل كل هذه المعاني المتنوعة^(١). وذلك أن المسد في اللغة يطلق على معان متعددة، ومن ثمَّ يكون الاختلاف عائداً إلى أكثر من معنى بسبب الاشتراك اللغوي^(٢).

وهذا ما اختاره الطبري: حيث قال: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو حبل جُمع من أنواع مختلفة، ولذلك اختلف أهل التأويل في تأويله على النحو الذي ذكرنا... فجعل إمراره من شتى، وكذلك المسد الذي في جيد امرأة أبي لهب، أمراً من أشياء شتى، من ليف وحديد ولحاء، وجعل في عنقها طوقاً كالقلادة من ودع"^(٣).

المبحث الخامس:

بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة.

- قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]:

﴿لَهَبٍ﴾ قرأ ابن كثير^(٤) بسكون الهاء.

(١) قواعد التفسير، لخالد السبت، (١/٢٠٨).

(٢) تفسير جزء عم، لمساعد الطيار، (ص ٢٦٣).

(٣) جامع البيان، للطبري، (٢٤/٦٨٢).

(٤) أبو معبد عبد الله بن كثير الداري، مولى عمرو بن علقمة الكناني، لقب بالداري لأنه كان دارياً بمكة أي: عطاراً، وهو أحد القراء السبعة، وإمام المكيين في القراءة، رواه: قبل والبزي، أدرك غير واحد من الصحابة وروى عنهم، توفي سنة: عشرين ومائة بمكة.

ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٣/٤١)؛ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، (ص ٤٩)؛ غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/٤٤٣).

وقرأ الباكون بفتح الهاء^(١). وهما لغتان كما قالوا: وَهَبَ وَوَهَبَ، وَتَهَّرَ وَتَهَّرَ^(٢)، ولم يختلفوا في قوله: ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أنه مفتوح الهاء لأنهم راعوا فيه رءوس الآي^(٣)، ولثقل العلم بالاستعمال^(٤).

- وقوله تعالى: ﴿سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]:

﴿سَيَصِلَىٰ﴾ غلظ ورش^(٥) اللام إن فتح ورققها إن قلل^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]:

واختلفت القراء في قراءة ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: فقرأ عاصم^(٧) وحده بالنصب، وهو على معنى الذم والشين، والعرب تنصب بالذم والمدح، والمعنى: اذكر حمالة الحطب^(٨)، وقد يحتمل أن يكون نصبها على القطع من المرأة، لأن المرأة معرفة، وحمالة الحطب نكرة^(٩).

- (١) معاني القراءات، للأزهري، (٣/ ١٧١)؛ الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/ ٣٢٤)؛ الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (١/ ٣٧٧)؛ حجة القراءات، لأبي زرعة، (ص ٧٧٦)؛ النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (٢/ ٤٠٤).
- (٢) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص ٣٧٧)؛ وحجة القراءات، لأبي زرعة، (ص ٧٧٦).
- (٣) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/ ٣٢٤)؛ والحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص ٣٧٧)؛ النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (٢/ ٤٠٤).
- (٤) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (٢/ ٤٠٤).
- (٥) اختلف في اسمه فقيل: "عثمان بن سعيد" وقيل: "سعيد بن عبد الله بن عمرو"، وقيل: غير ذلك، القبطي المصري الملقب بورش شيخ القراء المحققين، رحل إلى نافع بن أبي نعيم فعرض عليه القرآن عدة ختمات، توفي بمصر سنة: سبع وتسعين ومائة.
- ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٩/ ٢٩٥)؛ غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/ ٥٠٢).
- (٦) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي، (ص ٣٤٨).
- (٧) عاصم بن بهدلة ابن أبي النجود الأسدي الكوفي، أبو بكر المقرئ، وقد روى له البخاري، ومسلم مقرونا بغيره، واحتج به الباكون. مات سنة سبع وعشرين ومائة.
- ينظر: تهذيب الكمال، للزمي، (١٣/ ٤٧٣)؛ غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (ص ٣٤٦)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (٥/ ٣٦)؛ الأعلام، للزركلي، (١/ ٣٨).
- (٨) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٢٤/ ٦٧٨)؛ الدر المصون، للسمين الحلبي، (ص ١٤٤)؛ وتفسير السمرقندي، للسمرقندي، (٣/ ٦٣٢)؛ تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، (٥/ ١٧١)؛ الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص ٣٧٧)؛ وحدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين الهري، (٣/ ١٧١).
- (٩) جامع البيان، للطبري، (٢٤/ ٦٧٨).

وقرأ الباقون بالرفع، فهو مرفوع بقوله ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾؛ لأنه ابتداء، و﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ خبر، وقيل: ﴿حَمَّالَةَ﴾ نعتُ المرأة^(١).



(١) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٦٧٨ / ٢٤)؛ الدر المصون، للسمن الحلبي، (١٤٤ / ١١)؛ وتفسير السمرقندي، للسمرقندي، (٣ / ٦٣٢)؛ تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، (١٧١ / ٥)؛ والحججه في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص ٣٧٧)؛ وحدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين الهري، (٣ / ١٧١)؛ وحجة القراءات، لأبي زرعة، (ص ٧٧٧).



الفصل الثاني: التفسير بالدراية.

المبحث الأول:

التناسب بين الآيات والسور.

ذكر العلماء في المناسبة بين سورة المسد وما قبلها أوجها:

١- "لما قدم سبحانه وتعالى في سورة النصر القطع بتحقيق النصر لأهل هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلة، والأمر الحتم بتكثيرهم بعد الذي مر عليهم مع الذلة من القلة، وختمها بأنه التواب، وكان أبو لهب - من شدة العناد لهذا الدين والأذى لإمامة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد العالمين مع قربته منه - بالمحل الذي لا يجهل، بل شاع واشتهر، وأحرق الأكباد وصهر، كان بحيث يسأل عن حاله إذ ذاك هل يثبت عليه أو يذل، فشفى غلّ هذا السؤال، وأزيل بما يكون له من النكال، وليكون ذلك بعد وقوع الفتح ونزول الظفر والنصر، والإظهار على الأعداء بالعز والقهر، مذكرا له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما كان أول الأمر من جبروتهم وأذاهم وقوتهم بالعدد والعدد، وأنه لم يغن عنهم شيء من ذلك، بل صدق الله وعده وكذبوا فيما كانوا فيه من التعاضد والتناصر والتحالف والتعاقد، فذكر تعالى أعداهم له وأقربهم إليه في النسب إشارة إلى أنه لا فرق في تكذيبه لهم بين القريب والبعيد، وإلى أنه لم ينفعه قربته له ليكون ذلك حاملا لأهل الدين على الاجتهاد في العمل من غير ركون إلى سبب أو نسب غير ما شرعه سبحانه" (١).

٢- "هذه السورة وإن نزلت على سبب خاص وفي قصة معلومة فهي مع ما تقدمها واتصل بها في قوة أن لو قيل قد انقضى عمرك يا محمد وانتهى مما قلدته من عظيم أمانة الرسالة أمرك، وتأدية ما تحمّلتها وحن أجلك، وأمارة ذلك دخول الناس في دين الله أفواجا واستجابتهم بعد تلكؤهم، والويل لمن عاندك وعدل عن متابعتك، وإن كان أقرب الناس إليك" (٢).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٢٢/٣٢٧).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن، لأحمد الثقفي الغرناطي، (ص ٣٨٣).

"وقد ذكر في السورة قبلها دخول الناس في دين الله تعالى، ثم أتبع بذكر من خسر ولم يدخل في الدين، فإنذار الكافر بالهلاك، بعد وعد المؤمنين بالنصر، في السورة السابقة هو وجه المناسبة في ذكر هذه السورة بعدها"^(١).

وأما في مناسبة سورة المسد لما بعدها أوجها أيضا، منها:

١- "ولما تقدم فيما قبلها عداوة أقرب الناس إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد، رادة على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد"^(٢).

٢- "لما ذكر فقر الإنسان بحاجته إلى غيره، وأن كماله لا يتحقق إلا بهذا الفقر ذكر في الصمد كمال سؤدده وغناه عما سواه؛ ليبين مما يزيته سبحانه عن الخلق في ذاته وصفاته. وكمال الإنسان الذي لا يحصل إلا بهذا الافتقار لغيره من الزوجة والولد والمال لا يغني عنه وقت حاجته إليه مما لا يعول عليه المسلم، بل يلجأ إلى صاحب الغنى المطلق والسؤدد الكامل الذي يصمد إليه جميع الخلق"^(٣).

(١) ينظر البحر المحيط، لأبي حيان، (١٠/٥٦٥)؛ الموسوعة القرآنية، خصائص السور، لجعفر شرف الدين، (١٢/٢٨٧)؛ وحدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين المرري، (٣٢/٤١٦).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان، (١٠/٥٧٠).

(٣) ينظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، لمساعد الطيار، (ص٢٨٩).

المبحث الثاني:

المقاصد.

من مقاصد السورة الكريمة:

- ١- تهديد أبي لهب على الجفاء والإعراض، وضياع كسبه وأمره، وبيان ابتلائه يوم القيامة، وذم زوجه في إيذاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيان ما هو مدخر لها من سوء العاقبة^(١).
- ٢- وعيد امرأة أبي لهب على انتصارها لزوجها، وبغضها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).
- ٣- البتُّ والقطع الحتم بخسران الكافر، ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين؛ حشا على التوحيد من سائر العبيد^(٣).

المبحث الثالث:

الغريب واللغة.

﴿ تَبَّتْ ﴾ تَبَّ الشَّيْءُ تَبًّا وتببا وتببا وتببا انقطع، والمصدر تَبَّ يتبَّبُ تَبًّا فهو تَابٌ، والمفعول به متبوب، والأمرُ تَبُّبٌ وإن شئتُ كسرت، وللمرأة تَبِي وتبا وأتبين، ويقال امرأة تَابَتْ أي عجوز قد هلك شبابها، وَتَبَّ فُلَانٌ خَسِرَ وَهَلَكَ، والتبَّاب الهلاك، قال الله:

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان، (٤/١١٩)؛ وينظر: التفسير الوسيط، لوهبة الزحيلي، (١٠/٢٠٤٣).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠/٦٠٠)؛ التفسير الوسيط، لوهبة الزحيلي، (١٠/٢٠٤٣).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٣/٢٧٦).

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]، يُقال في الدعاء تبت يده وتباله^(١).

ومعنى ﴿تَبَّتْ﴾ في الآية الكريمة: خابت وخسرت، ومعنى ﴿وَتَبَّ﴾ وخسر هو^(٢).

﴿أَبَى لَهَبٍ﴾ ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ اللَهَبُ: النار أوقدها حتى صار لها هَب. قال تعالى: ﴿لَا ظَلِيلٍ

وَلَا يُعْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣١]، واللَّهَيْبُ: ما يبدو من اشتعال النار، ويقال للدخان وللغبار:

هَبٌ^(٣).

﴿سَيِّصَلَى﴾ أي يحترق بها وصلي من باب تعب، يقال: صليت الشاة إذا شويتها فأنا صال،

والشاة مصلية، ومن ذلك حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أهديت إليه شاة مصلية^(٤)،

ويجوز شاة مصلاة لأنك تقول أصليتها أيضا ويقال للشواء: الصلاء^(٥).

﴿فِي جِيدِهَا﴾ الجيد العنق. ويجمع على أجياذ. والجيد بفتح الياء طول العنق^(٦).

﴿مَسَدٍ﴾ الميم والسين والبدال أصل صحيح يدل على جدل شيء وطيه.

وأطلق المسد في اللغة على معان متعددة:

١- المسد: ليف يتخذ من جريد النخل.

٢- المسد: حبل يتخذ من أوبار الإبل.

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦٠٨/١٠)؛ المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (٨١/١).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٦٧٦/٢٤)؛ معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٣٧٥/٥)؛ والوجيز، للواحدي، (ص ١٢٣٩)؛ الدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤١/١١)؛ إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦٠٨/١٠).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (ص ٧٤٧)؛ المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (٨٤١/٢).

(٤) الحديث: «أن يهوديةً من أهل خيبر سمّت شاةً مصليّةً، ثم أهدتها لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّرَاعَ، فأكلَ منها...». أخرجه أبو داود في سننه، (ح ٤٥١٠)، كتاب: الديات، باب: فيمن سقى رجلاً سقاً أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟، (٥٦٤/٦)، قال المحقق: صحيح لغيره.

(٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦٠٩/١٠).

(٦) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٣٧٦/٥)؛ وينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤٧/١١)؛ إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦٠٩/١٠).

٣- يقال: رجلٌ مَمْسُود الخَلْق، أي: شديدُه، وامرأة مَمْسُودة: مجدولة الخلق، كالحبل الممسود، غير مسترخية.

٤- في أصله أنه الفتل.

٥- المسد: الليف، والمسد في لغة العرب الحبل إذا كان من ليفِ المقل لأن من شأنه أن يفتل للحبل.

٦- وقيل: هو لحاء شَجَرٍ باليمن، وقد يكون من جلود الإبل وأوبارها^(١).

المبحث الرابع:

أوجه الإعراب.

- قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]:

﴿تَبَّتْ﴾ فعل ماضٍ والتاء للتأنيث^(٢)، وفيه قولان:

أحدهما: أنه دعاء .

والآخر: أنه خبر^(٣).

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، (٣٢٣/٥)؛ وينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٣٧٦/٥)؛ والتفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٥٥/٣٢)، الدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤٧/١١)؛ إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦٠٩/١٠)؛ والمعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (٨٦٨/٢).
(٢) إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١٠/١٠).
(٣) إعراب القرآن، للنحاس، (١٩٢/٥).

وفي إسكان التاء قولان:

أحدهما: أنها لما كانت حرفا وجب لها السكون.

والآخر: أنه لم تبق لها حركة فأمسكت^(١).

﴿يَدَا﴾ فاعل^(٢).

﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن علامة الحذف الياء.

والقول الآخر: أنه معرب من جهتين^(٣).

﴿وَتَبَّ﴾ الواو فيه واو عطف على تبت ، أي وكان ذلك وحصل^(٤).

وفي ﴿وَتَبَّ﴾ قولان:

أحدهما: أن فيه قد مضمرة.

والقول الآخر: أنه خبر وأن قد لا تضمير لأنها حرف معنى^(٥).

والجملة دعائية لا محل لها^(٦)، وقيل لا محل لها معطوفة على الابتدائية^(٧).

(١) المرجع السابق.

(٢) إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (١٠ / ٦١٠).

(٣) إعراب القرآن، للنحاس، (٥ / ١٩٢).

(٤) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠ / ٣٢٥)؛ وإعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (١٠ / ٦١٠).

(٥) إعراب القرآن، للنحاس، (٥ / ١٩٢).

(٦) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠ / ٣٢٥)؛ وإعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (١٠ / ٦١٠).

(٧) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود صافي، (٣٠ / ٤٢١).

- قوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد: ٢]:

﴿ مَا ﴾ موضع رفع، والمعنى مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وكسبه^(١). أو أنها في موضع نصب بأغنى، أو أنها نافية لا موضع لها من الإعراب^(٢).

﴿ مَا أَغْنَىٰ ﴾ يجوز أن يكون نافيا، وأن يكون استفهاما، ولا يكون بمعنى الذي^(٣). وعلى الثاني تكون منصوبة المحل بما بعدها والتقدير: أي شيء أغنى عنه المال؟ وقدم لكونه له صدر الكلام^(٤).

﴿ عَنْهُ ﴾ متعلق بأغنى.

﴿ مَالُهُ ﴾ فاعل.

﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ الواو حرف عطف^(٥).

ويجوز في ﴿ مَا ﴾ أن تكون موصولة بمعنى الذي، أي: كسبه أو مكسوبه، فالعائد محذوف، وأن تكون مصدرية، أي: وكسبه، وأن تكون استفهامية منصوبة المحل بما بعدها يعني: وأي شيء كسب؟ أي: لم يكسب شيئا، وجعل الاستفهام بمعنى النفي، فعلى هذا يجوز أن تكون نافية، وهو غير ظاهر^(٦).

وجملة ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد: ٢] لا محل لها استئنافية^(٧).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٣٧٥/٥).

(٢) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس، (١٩٢/٥).

(٣) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (١٣٠٨/٥)؛ وينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤٣/١١).

(٤) ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤٣/١١)؛ وإعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

(٥) إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

(٦) ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤٤/١١)؛ وإعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

(٧) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود صافي، (٤٢١/٣٠).

- قوله تعالى: ﴿سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]:

﴿سَيَصِلُنَّ﴾ السين حرف استقبال، قيل: سين سوف، وقيل: سين الوعد.

ويصلي فعل مضارع وفاعله هو أي أبو لهب^(١).

﴿نَارًا﴾ ونارا مفعول به.

﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ نعت لنارا لأنها مأل كنيته ومثابتها^(٢).

- قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]:

﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ رفعت من وجهين:

١- مرفوعة لأنها معطوفة على المضمرة الذي في ﴿سَيَصِلُنَّ﴾، وحسن العطف على المضمرة

لطول الكلام، والمعنى سيصلي هو وامرأته ويكون ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ نعتا لها.

٢- أنها مرفوعة بالابتداء على أنها جملة من مبتدأ وخبر، سيقى للإخبار بذلك،

و﴿حَمَّالَةَ﴾ من نعتها، ويكون الخبر: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥]^(٣).

وجملة امرأته.. مستأنفة لا محل لها^(٤).

(١) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (٣٢٦/١٠)؛ وإعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

(٢) إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٣٧٥/٥)؛ وإعراب القرآن، للنحاس، (١٩٢/٥)؛ والدر المصون، للسمين الحلبي،

(١١/١٤٤)؛ و التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (١٣٠٨/٥)؛ وإعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

(٤) إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

﴿ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ ﴾ بقراءة النصب فيها قولان:

١- أنها منصوبة على الحال لأنه يجوز أن تدخل فيه الألف واللام فلما حذفتهما نصبت على الحال^(١).

٢- والثاني: أنها منصوب على الذم والشتم أي: أعني حمالة الحطب^(٢).

وبقراءة الرفع فيها قولان:

١- أنها نعت لامرأته .

٢- أنها خبر الابتداء، تقديره: هي حمالة^(٣).

وفي موضع الجملة أقوال:

١- أنها في موضع الحال، والتقدير ما أغنى عنه ماله وما كسب وامرأته حمالة الحطب.

٢- أنها خبر لَهَبٍ لَهَبٍ ﴿ مَا ﴾ في موضع الحال^(٤).

٣- الجملة الفعلية «أذم حمالة الحطب» معترضة لا محل لها^(٥).

- قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ٥]:

﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ حَالٌ مِّنَ الضَّمِيرِ فِي حَمَّالَةٍ^(٦)، أَوْ خَبْرٌ مُّقَدَّمٌ^(٧).

(١) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس، (١٩٣/٥).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٣٧٥/٥)؛ وإعراب القرآن، للنحاس، (١٩٣/٥)؛ وإعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

(٣) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس، (١٩٣/٥)؛ والدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤٤/١١)؛ والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (١٣٠٨/٥).

(٤) إعراب القرآن، للنحاس، (١٩٣/٥).

(٥) إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

(٦) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (١٣٠٨/٥).

(٧) وينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٣٧٥/٥)؛ وإعراب القرآن، للنحاس، (١٩٣/٥)؛ والتبيان في إعراب القرآن،

﴿حَبْلٌ﴾ ويجوز أن يرتفع حبل بالظرف؛ لأنه قد اعتمد^(١)، وأن يكون حالا من ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ على كونها فاعلة، وأن يكون مبتدأ مؤخر^(٢)، والجمله إما أن تكون حالية أو خبر المتدأ^(٣).

﴿مِّن مَّسِدٍ﴾ صفة لحبل^(٤).

المبحث الخامس:

الأساليب البلاغية.

ورد في الآية الكريمة عدد من الوجوه الدالة على بلاغة القرآن الكريم، ومنها:

١- براعة الاستهلال وذلك بافتتاح السورة بالتبَاب مشعر بأنها نزلت لتوبيخ ووعيد^(٥).

٢- في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] مجاز مرسل^(٦): حيث أسند الفعل إلى اليدين مجازاً، وأطلق الجزء وأراد الكل؛ لأن أكثر الأفعال تُزاوَلُ بهما، وإن كان المراد جملة المدعو عليه^(٧).

للعكبري، (١٣٠٨/٥)؛ الدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤٦/١١)؛ وإعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

(١) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (١٣٠٨/٥).

(٢) الدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤٦/١١).

(٣) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (١٣٠٨/٥)؛ و الدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤٦/١١)؛ وإعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

(٤) ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤٦/١١)؛ وإعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٦١١/١٠).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٦٠٠/٣٠).

(٦) المجاز: خلاف الحقيقة، ونقل الألفاظ من معنى إلى آخر. ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، (١٤٥٦/٢)؛ و معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، لأحمد مطلوب، (١٩٣/١).

(٧) ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي، (١٤١/١١)؛ والتفسير المنير، للزحيلي، (٤٥٥/٣٠)؛ وحدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين الهرري، (٤٣٢/٣٢).

٣- في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] استعارة مكنية^(١): حيث شبه اليد بإنسان يخسر ويهلك، وحذف المشبه به، ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو التب والخسارة والهلاك^(٢).

وفي قوله: ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ كنايةان^(٣):

الأولى: كناية عن موصوف، وهو عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والثانية: كناية عن صفته وهي التهاب وجهه من الاحمرار والإشراق^(٤).

٤- الكنية^(٥) في قوله: ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ للتصغير والتحقير فليس المراد تكريمه، بل تشهيره^(٦).

٥- التهكم والسخرية من امرأة أبي لهب في قوله: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥]، فقد صورها تصويراً فيه منتهى الخسة والقمأة، حيث أخبر عنها بأنها تحمل تلك الحزمة وتربطها في جيدها تحسيساً لخالها، وتصويراً لها بصورة بعض الخطابات من المواهن وهي الخدم؛ لتمتعض من ذلك ويمتعض زوجها، وهما في بيت العز والشرف، وفي منصب الثروة والجدّة^(٧).

٦- ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ استعارة^(٨)؛ أستعير هذا التعبير للنميمة بين الناس - لمن قال أن

(١) التي اختفى فيها لفظ المشبه واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، لأحمد مطلوب، (١/ ١٤٥)، وينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، (١/ ١٦٤).

(٢) قراءة بلاغية في سورة المسد (٦)، لجمال عبدالعزيز أحمد، متاح على:

<http://www.alukah.net/sharia/0/42931/ixzz4x8Rk87h9>

(٣) الكناية: هي أن يعبر عن شيء معين بلفظ غير صريح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض كالإيهام على السامعين، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، (٢/ ١٣٨٤)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، لأحمد مطلوب، (٣/ ١٥٤).

(٤) المرجع السابق.

(٥) علم صدر بآب أو أم أو ابن أو بنت، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، (٢/ ١٢١٧).

(٦) حدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين الهري، (٣٢/ ٤٣٢).

(٧) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (١٠/ ٦١٢)؛ وحدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين الهري، (٣٢/ ٤٣٢).

(٨) نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارضة من خصائص المعار إليه، معجم المصطلحات البلاغية

معنى حمالة الحطب أي تمشي بالنميمة - (١).

٧- ﴿أَبَى لَهَبٍ﴾، ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ بينهما جناس (٢)، فالأول كنية له، والثاني وصف للنار (٣).

٨- ﴿وَتَبَّ﴾، ﴿كَسَبَ﴾، ﴿لَهَبٍ﴾، ﴿الْحَطْبِ﴾، ﴿مَسِدٍ﴾ توافق الفواصل مراعاة

لرؤوس الآيات (٤).

المبحث السادس:

أقوال المفسرين بالدراية.

أورد المفسرون في المراد باليد في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] أقوال، منها:

١- ذكر اليد وأراد به هو نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله كقوله

سبحانه: فبما كسبت أيديكم، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] أي نفسك (٥).

٢- المراد بها ماله وملكه وأرباحه يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به المال (٦).

٣- المراد بها عمل أبي لهب، وإنما نسب العمل إلى اليد لأنه في الأكثر يكون بها فهما آلتا

العمل والحركة، والأخذ والعطاء وما أشبه ذلك (٧).

وتطورها، لأحمد مطلوب، (١/١٣٦).

(١) التفسير المنير، للزحيلي، (٣٠/٤٥٥).

(٢) الجناس: هو من المحسنات اللفظية وهو أن يتشابه اللفظان في النطق، ويختلفا في المعنى. ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٣٠/٤٥٥)؛ وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، (١/٥٨٨)؛ ومعجم المصطلحات البلاغية

وتطورها، لأحمد مطلوب، (٢/٤١٤).

(٣) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٣٠/٤٥٥)؛ وحدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين الهرري، (٣٢/٤٣٢).

(٤) التفسير المنير، للزحيلي، (٣٠/٤٥٥).

(٥) ينظر: تفسير السمرقندي، للسمرقندي، (٣/٦٣٢)؛ الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/٣٢٣)؛ النكت والعيون، للماوردي، (٦/٣٦٤)؛ التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢/٣٤٩)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/٢٣٥).

(٦) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/٣٢٤)؛ التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢/٣٤٩).

(٧) ينظر: النكت والعيون، للماوردي، (٦/٣٦٤)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/٢٣٥)؛ تفسير جزء عم، لابن

٤ - المراد به يده على الحقيقة لما يروى أنه أخذ حجرا ليرمي به رسول الله (١).

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال - والله أعلم - بأن المراد باليدين هو صاحب اليدين نفسه ومما يدل على ذلك: ما جاء بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَبَّ﴾، أي: أبو لهب نفسه، ولم يؤثر أن يدا أبي لهب قطعتا قبل موته، لكن ما جاء من أخباره يوضح أن أبا لهب أهلك نفسه بفساد اعتقاده وسوء فعالة، ولما كان الهلاك والخسران غالبا بما تكسبه الجوارح، واليد أشد اختصاصا في ذلك أسند إليها البت (٢)، وإنما اخترت هذا لوجود قرينه في السياق تؤيده وهي قوله تعالى: ﴿وَتَبَّ﴾ (٣).

كما أورد المفسرون عددا من الأسباب لذكر كنية (٤) أبي لهب دون اسمه، وهي:

- ١ - اسمه (عبد العزى) ولهذا ذكره بالكنية ولم يذكر اسمه لأن اسمه كان منسوبا إلى صنم فسماه القرآن بكنيته دون اسمه لأن في اسمه عبادة العزى، وذلك لا يقره القرآن (٥).
- ٢ - كنيته كان اسمه، فقد تكون الكنية اسما، كما يقال: علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فإن هؤلاء أسماءهم كناههم (٦).
- ٣ - كان بكنيته أشهر منه باسمه (٧).

عثيمين، (ص ٣٤٦).

- (١) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢٢/٣٤٩)؛ الكشاف، للزمخشري، (٤/٨١٣).
- (٢) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢٢/٣٤٩)؛ الكشاف، للزمخشري، (٤/٨١٣).
- (٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، للحري، (ص ٢٩٩).
- (٤) ما صُدِّرَ بأب أو أم أو ابن أو بنت، التعريفات، للجرجاني، (ص ١٨٧).
- (٥) ينظر: تفسير السمرقندي، للسمرقندي، (٣/٦٣٢)؛ والكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/٣٢٤)؛ والنكت والعيون، للماوردي، (٦/٣٦٥)؛ والكشاف، للزمخشري، (٤/٨١٤)؛ والتفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢/٣٥٠)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/٢٣٦)؛ الدر المصون، للسمين الحلبي، (١١/١٤٣)؛ والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠/٦٠١).
- (٦) تفسير السمرقندي، للسمرقندي، (٣/٦٣٢)؛ الكشاف والبيان، للثعلبي، (١٠/٣٢٤)؛ التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢/٣٥٠).
- (٧) ينظر: النكت والعيون، للماوردي، (٦/٣٦٥)؛ الكشاف، للزمخشري، (٤/٨١٤)؛ الدر المصون، للسمين الحلبي، (١١/١٤٣)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/٢٣٦)؛ التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠/٦٠١).

٤- الاسم أشرف من الكنية ، لأن الكنية إشارة إليه باسم غيره ، ولذلك دعا الله أنبياءه بأسمائهم^(١).

٥- أَنْ وَجْهَهُ كَانَ مُشْرِقًا يَتْلَهُبُ جَمَالًا، وَكَانَتْ وَجْتَاهُ كَأَنَّهَا تَلْتَهِيَانُ^(٢).

٦- مَا يَأْوُولُ إِلَيْهِ مِنْ لَهَبٍ جَنَّهُمْ، كَقَوْلِهِمْ: أَبُو الْخَيْرِ وَأَبُو الشَّرِّ لَصُدُورِهِمَا مِنْهُ فَوَافَقَتْ حَالَهُ كُنْيَتُهُ^(٣).

وقد ذكر الرازي^(٤) أسبابا لطيفة في عدم أمر الله سبحانه وتعالى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرد على عمه، فلم يقل له: قل تبت يدا أبي لهب وتب، ومع أنه أمره في سورة الكافرون بذلك ﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]:

١- لأن قرابة العمومة تقتضي رعاية الحرمة فلهذا السبب لم يقل له: قل ذلك؛ لئلا يكون مشافها لعمه بالشتيم بخلاف السورة الأخرى فإن أولئك الكفار ما كانوا أعمامه.

٢- أن الكفار في تلك السورة طعنوا في الله فقال الله تعالى: يا محمد أجب عنهم: ﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] وفي هذه السورة طعنوا في محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال الله تعالى أسكت أنت فأنا أشتمهم: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١].

(١) ينظر: النكت والعيون، للماوردي، (٦/٣٦٥)؛ الدر المصون، للسمين الحلبي، (١١/١٤٣)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/٢٣٦).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، (٥/١٧١)؛ الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/٣٢٤)؛ النكت والعيون، للماوردي، (٦/٣٦٥)؛ التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢/٣٥٠)؛ الدر المصون، للسمين الحلبي، (١١/١٤٣)؛ التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠/٦٠١).

(٣) ينظر: الكشف، للزنجشيري، (٤/٨١٤)؛ التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢/٣٥٠)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/٢٣٦)؛ الدر المصون، للسمين الحلبي، (١١/١٤٣)؛ التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠/٦٠١)؛ تفسير جزء عم، لابن عثيمين، (ص٣٤٦).

(٤) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، توفي سنة ٦٠٦ هـ. ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٤/٢٤٨)؛ والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/٦٦)؛ طبقات المفسرين العشرين، للسيوطي، (ص١١٥).

٣- لما شتموك، فاسكت حتى تندرج تحت هذه الآية: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] فإذا سكت أنت أكون أنا المجيب عنك^(١).

وبين المفسرون رَحْمَهُمُ اللَّهُ وجوها عدة للمقصود بالمال في قوله تعالى: ﴿مَا آغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ [المسد: ٢]:

١- ما كسب بهاله يعني رأس المال والأرباح.

٢- أن المال هو الماشية وما كسب من نسلها، ونتاجها، فإنه كان صاحب النعم والنتاج.

٣- ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه.

٤- عمله الذي ظن أنه منه على شيء^(٢).

وظاهر أن كل هذه الوجوه تدخل في معنى المال الذي لم يغن عن أبي لهب شيئا، فتدخل كلها في معنى المال، وهذا عمل بالقاعدة التفسيرية: إذا احتمل اللفظ معاني ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها^(٣).

وفي معنى ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣] أورد المفسرون وجهين:

أحدهما: ذات ارتفاع وقوة واشتعال، فوصف ناره ذات اللهب بقوتها، لأن قوة النار تكون مع بقاء لهبها^(٤).

الثاني: ما في هذه الصفة من مضارعة كنيته التي كانت من نذره ووعيده^(٥).

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢/٣٥١).

(٢) ينظر: الكشف، للزنجشيري، (٤/٨١٤)؛ والتفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢/٣٥٢).

(٣) قواعد التفسير، لخالد السبت، (٢/٨٠٧).

(٤) تفسير السمرقندي، للسمرقندي، (٣/٦٣٢)؛ النكت والعيون، للهاوردي، (٦/٣٦٦).

(٥) النكت والعيون، للهاوردي، (٦/٣٦٦).

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ يعني: امرأته تدخل النار معه^(١).

وقد هلك أبو لهب بعد وقعة بدر بسبع ليال، بأن رماه الله بالعدسة^(٢) فقتلته، ولقد تركه ابنه ليلتين أو ثلاثا ما دفناه حتى أنتن في بيته، وكانت قريش تتقي العدسة وعدواها كما يتقي الناس الطاعون، وقالوا نخشى هذه القرحة، فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رمضوا عليه الحجارة^(٣).
وأما امرأته خنقها الله سبحانه وتعالى بحبلها^(٤) فقد كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه بالليل من بغضها لهم حتى بلغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شدة وعناء فحملت ذات ليلة حزمة شوك لكي تطرحها في طريقهم فوضعتها على جدار وشدتها بحبل من ليف على صدرها فأتاها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ومده خلف الجدار وخنقها حتى ماتت^(٥).

(١) تفسير السمرقندي، للسمرقندي، (٣/٦٣٢).

(٢) هي برة تشبه العدسة، تخرج في مواضع من الجسد، من جنس الطاعون، تقتل صاحبها غالبا.

محمد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، (بيروت - المكتبة العلمية، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) (ص ١٩٠).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢/٣٥٢)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/٢٤٣)، السيرة النبوية، لابن كثير، (٢/٤٧٨)؛ اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، (٢/٥٥٧)؛ السراج المنير، للشربيني، (٤/٦٠٨).

(٤) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، (٢/٥٥٧)؛ السراج المنير، للشربيني، (٤/٦٠٨).

(٥) تفسير السمرقندي، للسمرقندي، (٣/٦٣٢).

المبحث السابع:

أحكام القرآن.

حكم تكنية الكافر، أي: مناداته بكنيته:

جواز تكنية الكافر، وهذا له شروط:

١- يكنى الكافر على وجه التآلف لهم بذلك رجاء رجوعهم وإسلامهم أو لمنفعة عندهم.

٢- إذا كان لا يُعرف إلا بها.

٣- خيفَ من ذكره باسمه فتنة.

إذاً فالحكم جائز متى وجدت الشروط، فإن لم توجد، لم يزد على الاسم، لأننا أمرنا بالإغلاظ عليهم، فلا ينبغي أن تُكنيهم ولا نرقق لهم عبارة، ولا نلين لهم قولاً، ولا نظهر لهم ودّاً ولا مؤالفة. بل يلقون بالإغلاظ والشدة^(١).



(١) ينظر: شرح صحيح البخارى، لابن بطال (٣٥٦/٩)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١١/٢٠٠)؛ الأذكار، للنسوي، (ص٢٦٩).

المبحث الثامن:

الاستنباطات.

السورة الكريمة مليئة بالفوائد والعبر، ومن أهمها:

- ١- بيان حكم الله بأبي لهب وإبطال كيدته الذي كان يكيده لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).
- ٢- شدة القسوة تمنع القلب عن رؤية الحق وإنارة بصيرته^(٢).
- ٣- أوضحت السورة نوع عذاب أبي لهب وزوجته أم جميل، ومآلهما في الدارين وذلك لشدة عداوتهما لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣).
- ٤- لا يغني المال ولا الولد عن العبد شيئاً من عذاب الله إذا عمل بمساخطه وترك مرضيه^(٤).
- ٥- عدم التعلق بزينة الدنيا والانقطاع عن زينة الآخرة^(٥).
- ٦- تضمنت الآيات الأولى الإخبار عن الغيب^(٦) من ثلاثة أوجه:
أحدها: الإخبار عن أبي لهب بالتياب والخسار، وبوقوع ذلك فعلاً.
وثانيها: الإخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده، وبوقوع ذلك فعلاً.
وثالثها: الإخبار عنه بأنه من أهل النار، وقد كان كذلك لأنه مات على الكفر^(٧).

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للجزائري، (١/٦٢٧).

(٢) تأملات في سورة المسد (لا تكوني كحاملة الخطب)، لآمال ابراهيم أبو خديجة، متاح على:

<https://al-maktaba.org/book/31869/1753p8>.

(٣) التفسير المنير، للزحيلي، (٣٠/٤٥٩).

(٤) أيسر التفاسير، للجزائري، (١/٦٢٧).

(٥) تأملات في سورة المسد، آمال أبو خديجة:

<https://al-maktaba.org/book31869/1753/p8>.

(٦) يقصد به غيب المستقبل، وهو: تحدث القرآن عن مصير بعض المكذبين وأنهم سيموتون على الكفر ويخلدون في النار.

ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، (ص٢٧٧).

(٧) التفسير المنير، للزحيلي، (٣٠/٤٥٩)؛ وينظر: النكت والعيون، للماوردي، (٦/٣٦٧)؛ التفسير الكبير، للفخر الرازي،

٧- في السورة دلالة واضحة على نبوة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك أن الله سبحانه أخبر عن مصير أبي لهب وامرأته إلى النار بقوله: ﴿سَيَصَلَّى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (٣) وَاَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ [المسد: ٣-٥] وكانا من أحرص الناس على تكذيب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يحملها ذلك على اظهار الإيمان حتى يكذبا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل داما على كفرهما حتى علم أن وعيد الله سبحانه إياهما وإخباره عن مصيرهما إلى النار حق وصدق (١).

٨- في السورة تنبيه من الله تعالى على أن من لا يشافه السفیه كان الله ذابا عنه وناصر له ومعينا (٢) لذا رد الله عن نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استهزاء أبي لهب وامرأته وعداوتها.
٩- حرمة أذية المؤمنين مطلقا (٣).

١٠- أم جميل هي امرأة من أشرف قريش لكن لم يغن عنها شرفها شيئا لكونها شاركت زوجها في العداة والإثم، والبقاء على الكفر (٤).

١١- موقف أم جميل من دعوة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإرادته إيذائه فيه إشارة إلى دنو نظرتها، وأنها أهانت نفسها، فهي امرأة من أكابر قبائل قريش تخرج إلى الصحراء وتضع الحبل في عنقها، وهو من الليف مع ما فيه من المهانة، من أجل أذية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥).
١٢- الخبيثون للخبيثات والطيبون للطيبات (٦).

(٣٢/ ٣٥٢)؛ و الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/ ٢٤١)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨/ ٤٨٧).

(١) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (١٠/ ٣٢٩)؛ وأضواء البيان، للشنقيطي، (٩/ ١٤٥)؛ التفسير المنير، للزحيلي، (٣٠/ ٤٦٠).

(٢) التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣٢/ ٣٥١).

(٣) أيسر التفاسير، للجزائري، (١/ ٦٢٧).

(٤) تفسير جزء عم، لابن عثيمين، (ص ٣٤٧).

(٥) المرجع السابق.

(٦) تأملات في سورة المسد، آمال أبو خديجة :

- ١٣ - حاجة الإنسان إلى غيره، وبذلك يكون كماله، فهو بحاجة إلى الزوجة والمال والولد، وأن هذا الكمال الذي يحصل عليه لا يغني عنه في الوقت الذي هو أحوج ما يكون إليه^(١).
- ١٤ - الباطل يقوى بإعانة الظالمين للظالمين، بل إن لكل منهم دوراً في إشعال نار الفتنة ضد المسلمين، إلا أن الله تعالى يردُّ كيدهم وضلالهم ومكرهم، وينجي المؤمنين^(٢).
- ١٥ - عدم إغناء القرابة شيئاً مع الشرك والكفر إذ أبو لهب عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في النار ذات اللهب^(٣).
- ١٦ - الجزاء من جنس العمل، فحمالة الخطب تعذب يوم القيامة بحبل من مسد^(٤).



(١) مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، لمساعد الطيار، (ص ٢٨٩).

(٢) دلالات تربوية على سورة المسد، أحمد مصطفى نصير، متاح على:

http://www.alukah.net/sharia_/0/7123/ftn11.

(٣) أيسر التفاسير، للجزائري، (١/٦٢٧).

(٤) دلالات تربوية على سورة المسد، لأحمد مصطفى نصير،

http://www.alukah.net/sharia_/0/7123/



الفصل الثالث:
التفسير الجملي.

تبدأ السورة بالدعاء بالهلاك والخسران على عم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَكْنِيَّ بأبي لهب الذي كان من أسفه السفهاء على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشدهم عدوانا عليه، وأكثرهم أذى له، مع ما كانت تقضى به التقاليد العربية الجاهلية الانتصار للقريب، ظالما أو مظلوما، إلا أن أبا لهب كان شديد العداوة والأذية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا دين له، ولا حمية للقربة، لذا ذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة وهذا جزاء عداوته للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَّ لكَ سائر اليوم لهذا جمعتنا» فتبت وخسرت يداه، وشقى فلم يربح، ولم يغن عنه الذي كان عنده وأطغاه، ولا ما كسبه من ولد، بل إنَّ مَالَ أَبِي لهب وولده لا ينفعون ولا يردُّون عنه شيئا من عذاب الله، وسيدخل نارا تتوقد تشويه بحرَّها، وستدخل معه امرأته أم جميل حمالة الحطب التي كانت أيضا شديدة الأذية لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتحمل الأشواك لتلقيها في طريق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذا هي هالكة في الدنيا، وستصل في الآخرة نار جهنم وتذوق حرها وتلظى بلهبها، وتعذب بحبل من نار، وسلاسل من نار جهنم تطوقها، لإيذائها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كانت في غاية العداوة له.

وفي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يُسَلِّمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة^(١).

(١) تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص ٨٢٥)؛ تفسير المراغي، للمراغي، (٣٠ / ٢٦١)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص ٩٣٦)؛ التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب، (١٦ / ١٧٠٣)؛ وأيسر التفاسير، للجزائري، (٥ / ٦٢٦). صفوة التفاسير، للصابوني، (٣ / ٥٩١)؛ تفسير جزء عم، لمساعد الطيار، (ص ٢٦١).

الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى على ما أنعم علي به وتفضل، من شرف المشاركة في تفسير هذه الآيات الكريهات التي تحدثت عن عاقبة أبي لهب وزوجته حمالة الخطب، وأسأله سبحانه تقبل القصد والعمل، والعفو عن التقصير والزلل.

وقد ظهر في ثنايا هذا البحث المتواضع العديد من النتائج، منها:

- ١ - شدة القسوة تمنع القلب عن رؤية الحق وإنارة بصيرته.
- ٢ - لا يغني المال ولا الولد عن العبد شيئاً من عذاب الله إذا عمل بمساخطه وترك مرضيه.
- ٣ - عدم التعلق بزينة الدنيا والانقطاع عن زينة الآخرة.
- ٤ - تضمنت الآيات الأولى الإخبار عن الغيب.
- ٥ - في السورة دلالة واضحة على نبوة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك أن الله سبحانه أخبر عن مصير أبي لهب وامرأته، وصدق.
- ٦ - الخبيثون للخبيثات والطيبون للطيبات.
- ٧ - الجزاء من جنس العمل.

التوصيات:

- ١ - التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ هما حبل النجاة المتين، وبهما يصلح حال الدنيا والآخرة.
- ٢ - الاهتمام بحلق تفسير القرآن الكريم، وتدبر معانيه، لما يعود به من المنفعة على الفرد والمجتمع.

وأخيراً أحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على نعمه وفضله، فهو أهل الثناء والفضل، تفضل عليّ بإتمام هذا البحث المتواضع بعد مدة قضيتها بين جنباته، وجهد بذلته لإخراجه، فأسأله سبحانه وتعالى أن يبارك في هذا الجهد والعمل، وما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وعمل بسنته وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.



المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
٢. الأذكار، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٣. الإرشاد في معرفة علماء الحديث، خليل بن عبد الله الخليلي، تحقيق: محمد إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩ هـ.
٤. أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، عطية بن نوري الفقيه، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٥. الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي، ١٤٢٥ هـ.
٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير علي بن أبي الكرم، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
٨. أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة الدوسري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
٩. إعراب القرآن، أحمد بن محمد النَّحَّاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ.

١٠. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد درويش، دار ابن كثير - دار اليمامة، دمشق - بيروت، ط ٤، ١٤١٥ هـ.
١١. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥.
١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ.
١٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٥، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٤. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
١٥. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
١٦. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٧. البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
١٨. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
١٩. البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٢٠. تاريخ الثقات، أحمد بن عبد الله العجلي، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
٢١. تأملات في سورة المسد (لا تكوني كحاملة الخطب)، آمال ابراهيم أبو خديجة، ٢٠١٠، متاح على <https://al-maktaba.org/book/31869/1753#p8> تاريخ الدخول ٢٦ / ٢٠٢٠ / ٢.
٢٢. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٣. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.
٢٤. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٢٥. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، لبنان: دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٢٦. تفسير جزء عم، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ٨، ١٤٣٠ هـ.
٢٧. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة.
٢٨. تفسير السمرقندي، المطبوع باسم بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٢٩. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩ هـ.
٣٠. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٣١. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
٣٢. تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، ط٢، ١٤٣٣هـ.
٣٣. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
٣٤. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ.
٣٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
٣٦. التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢هـ.
٣٧. تقريب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٣٨. تهذيب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ.
٣٩. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن المزني، تحقيق: بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٤٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٤١. الثقات، ابن حبان محمد بن حبان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٤٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاکر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤٣. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
٤٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
٤٥. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط ٤، ١٤١٨ هـ.
٤٦. الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي، الهند - بيروت، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
٤٧. حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٤٨. الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط ٤، ١٤٠١ هـ.
٤٩. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الهرري، إشراف ومراجعة: هاشم مهدي، دار طوق النجاة بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٥٠. حدود الصفا والمروة التوسعة الحديثة دراسة تاريخية فقهية، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأزدي، مكة المكرمة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٥١. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٥٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: عبد الله التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الدكتور عبد السندي يامة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الدكتور عبد السندي يامة، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٥٣. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد بن أحمد الشربيني، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥ هـ.
٥٤. سنن ابن ماجه، عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، بيروت، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٥٥. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
٥٦. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٥٧. السيرة النبوية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
٥٨. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مصر.
٥٩. شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٦٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن العماد، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٦١. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٦٢. الضعفاء والمتروكون، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب: دار الوعي، ط١، ١٣٩٦ هـ.
٦٣. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٦٤. طبقات المفسرين العشرين، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦ هـ.
٦٥. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين محمد بن الجزري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٦٦. قراءة بلاغية في سورة المسد (١)، أحمد، جمال عبد العزيز، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، متاح على: <http://www.alukah.net/sharia/0/42931/#ixzz4x8Rk87h9>، تاريخ الدخول: ٢٠ / ٢ / ٢٠٢٠ م.
٦٧. قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٦٨. قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، القاهرة، ١٤٢١ هـ.
٦٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
٧٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
٧١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٧٢. اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٧٣. مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٧٤. المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٧٥. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
٧٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
٧٧. مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مُستدرَك أبي عبد الله الحاكم، سراج الدين أبو حفص بن الملقن، تحقيق: عبد الله بن حمد اللحيان، دار العاصمة، الرياض: ١٤١١ هـ.
٧٨. المستدرَك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٧٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المعروف بصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٨١. معاني القراءات، محمد بن أحمد بن المهروي الأزهرى، مركز البحوث في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
٨٢. معجم البلدان، ياقوت الرومى الحموي، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥ م.
٨٣. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ.
٨٤. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٨٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة، تركيا.
٨٦. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، أحمد بن عبد الله العجلي، تحقيق: عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٨٧. معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٨٨. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٨٩. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
٩٠. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - الدار الشامية، دمشق - بيروت، ١٤١٢ هـ.

٩١. مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار المحدث للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٥هـ.
٩٢. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الأردن، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٩٣. الموسوعة القرآنية، خصائص السور، شرف الدين جعفر، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٩٤. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م.
٩٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
٩٦. النشر في القراءات العشر، شمس الدين محمد بن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٩٨. النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، علي بن أبي الكرم بن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٠٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ



**التلازم الجوابي للاستفهام العقدي
في القرآن الكريم وأثره في تقرير التوحيد**
(دراسة تطبيقية لآيات من سورة الطور)

د. إنعام محمد عقيل

الأستاذ المساعد بقسم علوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
جامعة جدة - المملكة العربية السعودية.

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

مُلخَصُ البَحْثِ

موضوع البحث:

يعنى هذا البحث بإيضاح مفهوم التلازم الجوابي للسؤال الاستفهامي، وبيان أهميته في توجيه الاستدلال العقلي، وأثر ذلك في تقرير كثير من المسائل العقدية الأصولية.

هدف البحث:

بيان مفهوم التلازم الاستفهامي، وبيان أهميته في توجيه الجدل العقلي، وأثر ذلك في تقرير كثير من المسائل العقدية الأصولية التي قررها القرآن الكريم في سورة الطور.

مشكلة البحث:

تكمُن مشكلة البحث في ماهية مفهوم التلازم الجوابي للاستفهام العقدي، وما أثره وانعكاساته على الجوانب العقدية وتقريرها؟.

نتائج البحث:

وجود علاقة تلازمية للمسائل العقدية في سورة الطور جاءت على صور سؤالات استنكارية تقريرية، تدور في مجملها حول أبرز المسائل العقدية - الربوبية، الألوهية، الأسماء والصفات - وغيرها.

الكلمات الدالّة (المفتاحية):

التلازم الجوابي، الاستفهام العقدي، التوحيد، سورة الطور.



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قيماً، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هدى ونوراً للمؤمنين، وحسرة وندامة على الكافرين، والصلاة والسلام على خير البرية من عرب ومن عجم، محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

الجدل العقلي والمناظرة التقريرية من أنجع الطرق التي يُلتجأ إليها في تقرير الحقائق العقدية، والتكليفية، والعلمية، والتسليم لها، ولم يُغفل القرآن ذلك، فهو الكتاب الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد استنبط العلماء من أسراره ودرره ما يعجز العقل أن يحيط به، ومن أبرز الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في تقرير ذلك وبيان حقائقه مخاطبته للعقل البشري، وإلزامه إياه بالحجج الجليلة، والبيّنات الواضحة في تقرير العقيدة، وإفراد الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالوحدانية المستلزمة إخلاص العبادة له وإفراده بالألوهية، ابتداء بالتقارير الوجودية واستلزامها لوجود الخالق، ونحوها.

ومن هنا خطرت لي دراسة بعض التلازمات الجوابية للاستفهامات العقدية، في سورة الطور، ومحاولة إيضاح مدلولاتها المعنوية، والعقدية، وأثر ذلك في تقرير التوحيد، من خلال هذا البحث الذي أسميته: (التلازم الجوابي للاستفهام العقدي في القرآن الكريم وأثره في تقرير التوحيد) (دراسة تطبيقية لآيات من سورة الطور).

● مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تقرير التلازم الجوابي للاستفهام العقدي في القرآن الكريم، كأصل استدلالي، ومدى تأثير الأصول الفقهية، واللغوية، والمعنوية عموماً، والعقدية خصوصاً، بهذا التلازم، ويمكن إيضاح ذلك من خلال السؤال الآتي:

- ما مفهوم التلازم الجوابي للاستفهام العقدي؟
- ما أثره وانعكاساتها على الجوانب العقدية وتقريرها؟

● أهمية البحث وأسباب اختياره:

تبرز أهمية هذا البحث في أنه يتعرض لأصل من أصول الاستدلال العقلي وهو التلازم بين السؤالات وجواباتها، وخاصة في الجانب العقدي الذي قرره القرآن في كثير من المواضع على اعتباره المصدر الأول للتشريع، وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب عدة، من أبرزها:

- كثرة استعمال القرآن الكريم للتقرير الاستفهامي عموماً، والتلازم الاستفهامي وجواباته خصوصاً.
- تنوع أساليب القرآن الكريم في تقرير التلازم الجوابي للاستفهام العقدي، واختلاف صوره ومجالاته.
- سورة الطور من السور المكية التي عُنيت كثيراً بالجانب العقدي وتقريره، فوقع اختياري لها لهذا السبب، وأيضاً لتتابع السؤالات فيها وتلازم المتقررات العقدية في ضوء ذلك.
- وجود علاقة تلازمية للمسائل العقدية في سورة الطور جاءت على صور سؤالات استنكارية تقريرية، تدور في مجملها حول أبرز المسائل العقدية - الربوبية، الألوهية،

الأسماء والصفات-، وغيرها.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- بيان مفهوم التلازم الاستفهامي، وبيان أهميته في توجيه الجدل العقلي، وأثر ذلك في تقرير كثير من المسائل العقدية الأصولية.
- الإشارة إلى التلازم بين الأصول العقدية التي قررها القرآن الكريم في سورة الطور، ونظائرها في القرآن الكريم.
- التنبيه على أهمية التلازم الجوابي للاستفهام العقدي في القرآن الكريم، وأثره في تقرير العقائد، ونفيها.
- بيان أنواع التلازم والصور التدرجية التي استعملها القرآن في تقرير التوحيد، وبيان أثرها.
- بيان العلاقة التلازمية بين حقيقة القرآن، وتقرير العلاقة بين الخلق والخالق، وتفاوت الصفات بين الخالق والمخلوق، وكذلك التلازم بين توحيد الربوبية والألوهية.

الدراسات السابقة:

- لم يقع بين يدي الباحثة دراسة ذات صلة وثيقة بهذه الدراسة إلا أن هناك بعض الدراسات التي قرّبت في مضامينها من هذه الدراسة بصورة عامة، ولو بوجه من الوجوه، وسأذكر فيما يلي أقرب هذه الدراسات التي استعنت بها في استنشاء واستخلاص عنوان بحثي هذا، وهي:
- (التلازم بين الظاهر والباطن وأثره على الأسماء والأحكام)، د. أحمد بن محمد اللهيبي، جامعة الملك سعود، كلية التربية، السعودية، وهي دراسة عقدية، تناول فيها الباحث العلاقة التلازمية بين الظاهر والباطن لمسألتين خلافتين بين العلماء والباحثين، الأولى: تلازم الظاهر

والباطن بين الإيمان والأعمال، والثانية: بين إطلاق الأسماء - الإسلام والكفر، ونحوها - على مسمياتها، وبناء الأحكام عليها، وقد حصر الباحث حدود البحث في هاتين المسألتين.

• (دليل التلازم عند الأصوليين)، د. عبد الله بن أحمد بن عبد الله التوم، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، العدد (٢٠)، إبريل - يونيو، ٢٠١٤م. وهو بحث تأصيل له ارتباط وثيق بأصول الفقه، وقد تقصد الباحث من خلاله مناقشة التلازم الاستدلالي عند الأصوليين الفقهيين، فعرض الباحث إلى تعريف التلازم، وموقف العلماء منه، وضوابطه، والاعتراضات عليه، ومدى استعمالات الأصوليين له.

• (أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، قدمها الباحث: محمد إبراهيم محمد شريف البلخي، الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، ٢٠٠٧م. وقد تناولت الدراسة كما هو متَّجِّل من عنوانها الجوانب البلاغية لأساليب الاستفهام، وبعض الإجراءات التطبيقية لقواعدها من خلال النصوص القرآنية، واستخلاص الأغراض البلاغية التي أفادتها تلك الأساليب.

والفروق بين مضامينها وبين بحثي جلي وواضح جدا، فإن الأولى وإن كانت في ذات الاختصاص العقدي، إلا إن حدودها ومحتوها بعيدٌ جدا، عن مضمون بحثي، فهي مقصورة على التلازم بين الظاهر والباطن بين الإيمان والعمل وما يلحق بها، وبحثي يتمحور حول مسائل تقرير الجواب التلازمي للاستفهام العقدي في سورة الطور، وأثره في المسائل العقدية. وأما الثانية، فهي دراسة وثيقة بأصول الفقه، والثالثة في البلاغة واللغة.

● منهج البحث:

انتهجت الباحثة في سلوك هذا البحث، المنهج الوصفي، والاستقرائي.

وقد اكتفت بذكر التلازمات الجوابية للاستفهامات الظاهرة المجمع عليها عند الأصوليين،

مع اجتناب مواطن الخلاف، وخاصة ما له تعلق باختلافهم في معنى (أم) الاستفهامية في الآيات مظنة البحث.

وكذلك عند تخريج الأحاديث خرجتها مكثفة بالبخاري ومسلم، وإلا فمن غيرهما مع الحكم عليها، إلا حديثا واحدا لم أجده إلا عند البيهقي، فخرجه منه، لتفرده به.

● حدود البحث:

لاتساع الصور والشواهد التي استعملها القرآن الكريم، تعمدت حصر البحث في السؤالات الاستفهامية الواردة في سورة الطور، لاشتمالها على كثير من الصور والمحاور العقدية المتلازمة.

وقد اشتمل البحث على مقدمة، فيها هيكل البحث ولوازمه، وتمهيد، وثلاثة مباحث، ثم خاتمة فيها أبرز النتائج والتوصيات.

● هيكل البحث:

١. تمهيد: مفهوم التلازم الجوابي للاستفهام العقدي.
٢. المبحث الأول: التلازم بين حقيقة القرآن وما جاء به، وعجز المعارضين.
٣. المبحث الثاني: التلازم العقدي بين نشأة الخلق ووجوب وجود الخالق، وتفرده بالوحدانية، وفيه مطلبان:
 - المطلب الأول: تلازم التقرير بوجوب وجود الخالق، وانتفاء صفة الإيجاد عن غيره.
 - المطلب الثاني: التلازم العقدي بين توحيد الربوبية والألوهية.
٤. المبحث الثالث: تلازم جوابات السؤالات الاستفهامية لتوحيد الألوهية.

٥. الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج ، وأبرز التوصيات والمقترحات.

٦. فهرس المصادر والمراجع.



مَهَيِّدٌ

مفهوم التلازم الجوابي للاستفهام العقدي^(١):

أولاً: مفهوم التلازم الجوابي:

قال ابن فارس: " (لزم) اللام والنزاء والميم أصل واحد صحيح، يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائماً. يقال: لزمه الشيء يلزمه"^(٢).

ولزم الشيء لزوماً ثبت ودام، وكذا من كذا: نشأ عنه وحصل منه^(٣).

والتلازم، قياس الشيء على الشيء إذا نشأ عنه، وحصل منه، ولازمه في صورة من صورة أو حال من أحواله. وهو أيضاً الفصل في القضية، فكأنه من الأضداد^(٤). والالتزام الاعتناق^(٥).

وأركانه ثلاثة: الملزوم: وهو المُقتَضِي، أي: الحكم المثبت، واللازم: وهو: المُقتَضَى، أي: الحكم المراد ثبوته لثبوت الملزم، والتلازم: وهي العلاقة بينهما طرداً، أو عكساً^(٦).

(١) ينظر: التلازم بين الظاهر والباطن وأثره على الأسماء والأحكام، للدكتور أحمد بن محمد اللهيبي، جامعة الملك سعود، كلية التربية، السعودية، (ص ٣٠٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، القزويني، الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٥/٢٤٥).

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، لمجموعة من الباحثين، بإشراف: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة - القاهرة، (٢/٨٢٣).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد، الشيباني، ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤/٢٤٨).

(٥) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصباح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (٥/٢٠٢٩).

(٦) ينظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، الفراهيدي، البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٧/٣٧٢).

التلازم اصطلاحاً:

اختلف مفهوم التلازم عند الاصطلاحيين بحسب تنوع الاستعمال الأصولي للأصل اللغوي، فتنوعت مسميات التلازم على اعتبار اختلاف المجالات والتخصصات المستعملة فيها، كالتلازم بين الإيمان والإسلام، والتلازم بين الإيمان والعمل، والتلازم بين الظاهر والباطن، التلازم بين الكتاب والسنة، والتلازم بين العبادة والتقوى، والتلازم بين الشهادتين، والتلازم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، والتلازم العقلي، والتلازم بين الألفاظ ومعانيها، وغيرها^(١).

ومن أبرز التعريفات التي لها تعلق بالأصول العقدية والتفسيرية:

- (امتناع انفكاك أحد الشئيين عن الآخر)، أي: أن يكون أحد الأمرين مقتضياً الآخر في الحكم، بحيث لو رفع أحدهما رفع الآخر، ويسمى الأول: الملزوم، والثاني: لازم^(٢).
- (إثبات أحد موجبي العلة بالآخر؛ لتلازمهما)^(٣).

(١) ينظر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، لمحمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني (ت: ٧٤٩هـ) تحقيق: محمد مظهر بقا، دار المدني، السعودية، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، (٣/ ٢٤٩، ٢٦٦)؛ شرح حديث جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في الإسلام والإيمان والإحسان المعروف باسم كتاب (الإيمان الأوسط)، لأحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، د. علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - السعودية، ١٤٢٣هـ، (ص ٤٤٦)؛ التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ١٣٨٣هـ، (٢/ ٢٥٩).

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لأحمد بن عبد السلام، ابن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (٤/ ٢٠٢)؛ كتاب المواقف، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجليل - بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، (١/ ٤٤٧)؛ معجم مصطلحات أصول الفقه، للدكتور قطب مصطفى سانو، دار الفكر - بيروت - دمشق، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (ص ١٤٥)؛ دليل التلازم عن الأصوليين، للدكتور عبد الله بن أحمد بن عبد الله التوم، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، العدد (٢٠)، إبريل - يونيو، ٢٠١٤م، (ص ٧٤).

(٣) المصادر السابقة.

ويثبت التلازم إما بالطرْد^(١)، أو الاستدلال^(٢) بثبوت أثر أحد المتلازمين على الآخر^(٣). وهما - المتلازمان - إما أن يكونا ثبوتين أو نفيين، أو الأول ثبوت والآخر نفي، أو الأول نفي والآخر ثبوت^(٤).

ومنشأ التقسيم؛ أن التلازم إنما يكون بين حكمين، وكل واحد منهما إما مثبت أو منفي، وحاصله: إذا كان تلازم تساو فثبوت كل يستلزم ثبوت الآخر، ونفيه نفيه، وإن كان مطلق اللزوم، فثبوت الملزوم يستلزم ثبوت اللازم، من غير عكس، ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم من غير عكس "وأنه إذا كان بين الشئيين انفصال حقيقي فثبوت كل يستلزم نفي الآخر، ونفيه ثبوته، وإن كان منع جمع، فثبوت كل يستلزم نفي الآخر من غير عكس، وإن كان منع خلو فنفي كل يستلزم ثبوت الآخر من غير عكس"^(٥).

مفهوم التلازم الجوابي:

تقصد الباحثة من خلال هذا التركيب الإضافي الإشارة إلى أثر التلازم وثمرته في تقرير جواب أحد المتناظرين فيما تلازم من سؤال وجواب، وذلك أن كثيرا من الملحددين

(١) يراد به هنا: التلازم بين الشئيين في الوجود، فكلما وجد أحدهما وجد الآخر، ويقابله اصطلاح العكس، أي: انتفاء أحدهما بانتفاء الآخر، ينظر: كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (ص ١٤١)؛ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني، أبو البقاء، الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ص ١٤٠، ٥٢٩).

(٢) أي: قياس الدلالة؛ لأنه يستدل من وجود أحد المتلازمين على وجود الآخر. ينظر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، (٣/ ٢٤٩)، قال في الإبهاج في شرح المنهاج "يستعمل القياس على وجه التلازم ففي الثبوت يجعل حكم الأصل ملزوما وفي النفي نقيضه لازما"، ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنه ٧٨٥هـ)، لتقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي، السبكي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، (٣/ ١٦٤).

(٣) ينظر: موسوعة مصطلحات أصول الفقه، للدكتور قطب، (١/ ٤٩٣، ٤٩٤)؛ دليل التلازم عن الأصوليين، للدكتور التوم، (ص ٧٤).

(٤) ينظر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، للأصفهاني، (٣/ ٢٥٣، ٢٥٨).

(٥) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله، الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي - دمشق - كفرنطنا، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، (٢/ ١٧٢).

خصوصا والمشركون عموما يغالطون في الجدل مستغلين غفلة المناظر، لخروجه عن مقتضى سياق النصوص ذات الدلالات العقلية، وعدم انضباطه تحت محاورها، فينساقون إلى شبهاث المرجفين ويقعون فيها من غير إدراك.

ثانيا: الاستفهام العقدي في سورة الطور:

الاستفهام أحد أساليب الإنشاء عند البلاغيين، وأصله: (فهم) زيدت عليه الألف والسين والتاء، لغرض الطلب^(١).

ويراد به في الاصطلاح: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، بأدوات خاصة"^(٢).

وأدواته ثني عشرة أداة، وهي: الهمزة، وهل، ومن، وما، وكيف، وكم، وأين، وأيان، ومتى، وأي، وأنى، وأم^(٣).

ثالثا: سورة الطور:

سورة الطور مكية^(٤)، وهي سبع وأربعون آية على العد المدني، وثمان وأربعون آية على العد المكّي، وتسع وأربعون آية على العد الكوفي والشامي^(٥).

- (١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (٢٠٠٥/٥)؛ معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤/٤٥٧).
- (٢) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢ هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (ص ٧٨)؛ علم المعاني، لعبد العزيز عتيق، (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية - بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، (ص ٨٨)؛ مصطلحات في كتب العقائد، لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، دار بن خزيمة، ط ١، (ص ١٦٦).
- (٣) المراجع السابقة.
- (٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير، الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرون، دار هجر، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، (٢١/٥٦٠).
- (٥) ينظر: البيان في عدّ آي القرآن، لعثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤ هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، (ص ٢٣٣).

وسميت بسورة الطور، واشتهرت به؛ لافتتاحها بقسم الله تعالى بجبل الطور^(١)، ومن الشواهد على ذلك، ما رواه محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: «سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ: بِالطُّورِ فِي الْمَغْرِبِ»^(٢).

وهي من السور التي كثر فيه تحقيق الحقائق الغيبية من الخلق والبعث والنشور، وحقيقة ما في الجنة والنار وأهوالها، وتقرير المشركين بأصول التوحيد، ونواقضه، وستكتفي الباحثة بدراسة الجوانب التلازمية للاستفهامات العقدية في السورة، وجواباتها.



(١) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور المسمى (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى)، لإبراهيم بن عمر بن حسن، البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف - الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، (٣/٢٨).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: الجهر في المغرب: (١/١٥٣)، ح (٧٦٥)؛ ومسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب: الصلاة، باب: القراءة في الصبح، (١/٣٣٨) ح (٤٦٣).

المبحث الأول:

التلازم بين حقيقة القرآن وما جاء به، وعجز المعارضين

يتمثل التلازم اللفظي والعقدي في سورة الطور من خلال تقرير بعض الحقائق التقريرية التلازم ومن هذه المتلازمات حقيقة القرآن الذي هو أصل التشريع، إذ أن لزوم صدقه يستلزم ثبوت كل ما جاء به، ولزوم كذبه يستلزم نفي كل ما جاء به، لذلك حرص الشارع جَلَّ جَلَالُهُ على إثبات وتقرير هذه الحقيقة وما يلزمها من الفروع والتفصيلات من خلال الحقيقة التي تحدى بها الله جَلَّ جَلَالُهُ البشر وأعجزهم عن الإتيان بمثلها، وهي حقيقة أن القرآن كلامه ووحيه، وليس في مقدور البشر جميعاً أن يأتوا بمثله، بمن فيهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويمكن تفصل بعض صور التلازم الجوابي للسؤال الاستفهامي في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِئَلَاءِئُمْؤُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿﴾ [الطور: ٣٣-٣٤]، من خلال الآتي:

أولاً: التلازم اللفظي بين السؤال الاستفهامي ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾ وجواب الشرط ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

اللام في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا﴾؛ للتحدي، وقيل: للتعجيز، وكلاهما جائز لغة ومعنى^(١).
والفاء واقعة في جواب شرط مقدر، أي: فإن قالوا اختلقه فليأتوا، ومثله، صفة لحديث،

(١) ينظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إساعيل (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ، (٤/١٧٥)؛ البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي، ابن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ: (٧/١١١)؛ إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص، سوريا، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ط ٤، ١٤١٥ هـ، (٩/٣٣٨).

وإن شريطة، وكان واسمها وخبرها وجواب إن محذوف دلّ عليه ما قبله، أي: إن صدقوا في هذا القول فليأتوا^(١). و(أم) المتكررة في هذه الآية قيل: للاستفهام، وهو الأظهر، وقيل: بمعنى (بل). قال ابن عطية: "...وحكى الثعلبي عن الخليل أنه قال: ما في سورة (الطور) من (أم) كله استفهام، وليست بعطف"^(٢).

وغرض الاستفهام: التقرير، جاء على وجه التقييح والتويخ، واستفهام تعالى مع علمه بهم؛ تقيحاً عليهم، وتويخاً لهم؛ كقول الشخص لغيره: أجاهل أنت؟ مع علمه بجهله^(٣)، وقيل (أم) بمعنى: (بل) أي: أيدعون أن لهم إلهاً غير الله يحفظهم، ويرزقهم، وينصرهم. والمؤدى في المعنى والتقرير الجوابي واحد^(٤).

والتقول: التخلق، والتكلف، ولا يستعمل ذلك إلا في الكذب^(٥)، فهي عبارة عن كذب مخصوص^(٦)، أي: تَخَلَّقَ القُرْآنُ من تلقاء نفسه، وليس الأمر كما زعموا، وهذا ملزوم، واللازم منه أنهم هم الكاذبون، إلا أن يأتوا بحديث مثله بالجملة، في نظمه، وحسن بيانه^(٧)، أو على مراتب التحدي الست، أي: أن يأتوا بمثل كل القرآن، أو عشر سور مفتريات، أو سورة، أو بحديث مثله، أي: ككله أو جزء منه ولو آية، أو أن التحدي في تلك المراتب الأربع، كأن

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (٣٣٨/٩).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب، ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ، (١٩٢/٥).

(٣) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن، لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي (ت: ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخریجاً: نور الدين طالب، دار النوادر، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، (٤٢٨/٦، ٤٢٩).

(٤) ينظر: فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠ هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ، (١٢٢/٥).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١ هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م، (٦٥/٥)؛ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ، (٤١٤/٤).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، (١٩٢/٥).

(٧) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود، البغوي (ت: ٥١٠ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ، (٢٩٤/٤، ٢٩٥).

يطلب منهم أن يأتي بالمعارضة رجل يساوي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدم التلمذ والتعلم، أو أن التحدي يشمل الجميع، والذي تقوله - بزعمهم - واحد، فإن قدر محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نظمه كان مثله قادراً عليه، فيأتي بحديث كذلك المثل^(١)، فلزمهم جميعاً ما قدر عليه الواحد، وإلزام الجمع بما قدره الواحد ألزم، فلزمهم بالعجز الكذب من كل حال^(٢).

ويلزم من تكذيبهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعجزهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن، حالين:

• إما أن يكون هناك إله غير الله تعالى، وهو الذي قال هذا الكلام.

• وإما إن يكون صدودهم وتكذيبهم مع عجزهم منشؤه الجحود والطغيان.

فالأول: غير ملزوم ولا متقرر لا عندهم ولا عند غيرهم، قال ابن تيمية: "فإنه لم يكلفهم نفس الإحداث، بل طالبهم بالإتيان بمثله؛ إما إحداثاً، وإما تبليغاً عن الله، أو عن مخلوق، ليظهر عجزهم عن جميع الجهات"^(٣).

والثاني: لازم متقرر؛ لذلك قال تعالى: ﴿...فَأَنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَابَتِ اللَّهُ بِجَحْدُونَ﴾

[الأنعام: ٣٣]^(٤).

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري، (٤/٤١٤)؛ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، وآخرون، دار العاصمة - السعودية، ط ٢، ١٩٩٩ م، (٦/٢٧٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ، (١٧/٢٥٥).

(٣) النبوات، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف - الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (٢/١٠٧٢).

(٤) المرجع السابق، (١/٦٠٥).

ثانيا: التلازم العقدي، والتقرير الجوابي اللازم من تقرير حقيقة القرآن:

يلزم من عجز المشركين والملحدين عن تكذيب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنكار أن هذا القرآن كلام الله ووحيه، متلازمات كثيرة، منها، مناقضة الإيمان بالله تعالى ووجوب وجوده، وتكذيب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتكذيب بالكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزيبور، وغيرها، وهذا الإنكار يلازمه إنكار وجود التوراة والإنجيل، التي تقرر للمشركين أن اليهود والنصارى كانوا عليها، وأنها منزلة من عند الله وإن كان قد شابهها التحريف والتبديل.

وهذا في عمومها مناف للفطرة، ومخالف لمدلولات العقل، إذ أنهم يقرون بإنزال الكتب على موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وفي ذات الوقت ينكرون نزول القرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخالفوا الفطرة المستوجبة للزوم إرسال الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ، وإنزال الكتب عليهم، ولذلك قرر القرآن نتيجة التلازم بين حقيقة القرآن وصدقه في جميع ما أخبر من خلال تقرير بعض المتلازمات، منها:

• ما دام أن القرآن كلام الله ووحيه، فإنه ليس بمقدور أحد غيره أن يأتي بمثله ولو بسورة، أو آية، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْإِنْسُ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]. فقرر عدم استطاعتهم، فلزمهم الجواب على هذه النداءات ابتداءً، ولزمننا طلب الجواب عنها، أو تقريرهم بأن:

• القرآن شرع الله وحكمه، فلزوم تقرير ذلك يستوجب تقرير صدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما جاء به وبلغنا إياه من الكتاب والسنة، وعدم الفصل بينهما.

• القرآن كلام الله جَلَّ جَلَالُهُ، وليس بمقدور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإتيان بمثله، ولا ينبغي

له ذلك، فهذا ملزوم، قرره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصرح به، ولم يرو عنه أنه زعم أنه من عند نفسه، ولا أن بقدرته الإتيان بمثله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِفِرْعَانَ عَيْرٍ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]، فالزامهم إياه بالتقول على الله وأنه جاء به من جهة نفسه مع أنه كلام عربي، وهم رؤوس العرب وفصحائهم والممارسون لجميع الأوضاع العربية من نظم ونثر، يلزمهم الإتيان بمثله وهم الجمع، وهو الذي لبث فيهم ثلاثا وعشرين سنة، تحداهم فيها جميعا أن يأتوا بمثله وهم جمع كثير، جنٌ وإنس، ولهم أجل غير مسمى، وقد مرت عليهم العصور والدهور من غير استجابة، وقد تبدى عجزهم، فمن بعدهم من باب أولى ومن سواهم كذلك^(١).

• أن تقرير جميع ما سبق، ولزومه، يستلزم على المؤمنين الاستمسك بالقرآن والعض عليه بالنواجذ، في أحكامه وتشريعاته، وأوامره ونواهيه، وحتى في أساليبه الحوارية والخطابية، والجدلية. قال الأمدى: "وحيث التزموا ما ذكرناه من المضار الموافقة والمخالفة دل على عجزهم عن المعارضة قطعاً؛ نظراً إلى العادة. وإذا ثبتت هذه القواعد، واستقرت هذه المقدمات؛ لزم أن يكون محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولا"^(٢). وذلك أنه جعل القرآن دليلاً على نبوته، والدليل متى عورض بمثله بطل عمله فيسقط الاحتجاج به، وليس لهم ذلك^(٣).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/٤٢٣)؛ فتح القدير، للشوكاني (٥/١٢٠)؛ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، (٣/١١٠٠)؛ شرح العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر - الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ، (١/٥٣٩).
(٢) أبكار الأفكار في أصول الدين، لعلي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، الأمدى (ت: ٦٣١هـ)، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، (٤/٨٦).
(٣) ينظر: استخراج الجدل من القرآن الكريم، لعبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي (ت: ٦٣٤هـ)، تحقيق: د. زاهر بن عواض الألعوي، مطابع الفرزدق التجارية، ط ٢، ١٤٠١هـ، (ص ١١٧).

بل إنه قد أثر عنهم أجوبة تقريرية على صدق القرآن، وأنه ليس من كلام البشر، فعن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة - وكان زعيم قريش في الفصاحة - أنه قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقرأ علي، فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾» [النحل: ٩٠]، قال: أعد، فأعاد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر، ثم قال لقومه: والله، ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته»^(١).

فهؤلاء من نقل عنهم الجواب التقريري مع كفرهم وجحودهم، وأما الذي أدركوا الحق وصدقوا به من فصحاء العرب وبلغائها فأكثر من أن يحصروا، بل إن صدق التعبير فإن أكثر من أسلم في أول أمر الإسلام من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما أسلم لسماعه القرآن، وتقديره بعدم القدرة على منازعته، والإتيان بمثله، وسأضرب لذلك ثلاثة أمثال لمثل هؤلاء، وهي:

• حادثة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قدم مكة وأقنعه كبراء قريش بأن لا يسمع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكان الطفيل رجلاً، شريفاً، شاعراً، لبيباً - ولكنه عند الكعبة سمع بعض القرآن فتبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته وسمع منه المزيد، وقال: «فلا والله

(١) رواه البيهقي في الاعتقاد، (ص ٢٦٨)؛ وقال العراقي: "قال العراقي: ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد، ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة وكذا ذكره ابن إسحاق في السيرة بنحوه"، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، استخراج: أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد (١٣٧٤هـ)، دار العاصمة - الرياض، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، (٢/٦٨٧)؛ وصححه الحاكم في المستدرک، قال: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي؛ المستدرک على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١ - ١٩٩٠ م، (٢/٥٥٠).

وينظر: أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، ط ٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، (ص ٤٤٧).

ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت...»^(١).

• حادثة إسلام جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وفيها قوله: «سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْفُونَ ﴾^(٣٥) أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾^(٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ ... ﴾ [الآيات ٣٥-٣٧] من سورة الطور. كاد قلبي أن يطير»^(٢).

• حادثة إسلام أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وفيها أن أخاه أنيساً قال له: «لقيت رجلاً بمكة يزعم أن الله أرسله، يقولون، شاعر، كاهن، ساحر - وكان أنيس أحد الشعراء - لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون، فأتى أبو ذر مكة وسمع من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلم»^(٣).

فهذه الحوادث - وأشباهاها كثير - ملزومات، ومتقررة بالإجماع، فيلزم منها نفي وإنكار تكذيب المشركين والملحدين لحقيقة القرآن وما جاء به، فإن تسليم الغالبية المطلقة من فصحاء العرب وانقيادهم للقرآن ملزمة للأصوات الشاذة التي كانت تدعو إلى إنكاره وتكذيب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بقريضة عجزهم عن الإتيان بمثله من جهة، ومن جهة أخرى تهافت محاولات بعضهم الإتيان بمثله، حتى بلغ الحال بهم أن استقبح تلك المحاولات أنصارها، فيكم بفصحاء العرب وبلغائهم.

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة، (٥/ ٣٦١)، تحقيق: د. عبد المعطي قلجى، دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٢) سبق تحريجه.

(٣) أصل هذه الحادثة حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: قصة إسلام أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، (٣/ ١٢٩٤) ح (٣٣٢٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، باب: من فضائل أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، (٤/ ١٩١٩) ح (٢٤٧٣).

المبحث الثاني:

التلازم العقدي بين نشأة الخلق ووجوب وجود الخالق

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تلازم التقرير بوجوب وجود الخالق، وانتفاء صفة الإيجاد عن غيره:

تعرضت النصوص القرآنية لعقائد بعض أهل الشرائع والعقائد السابقة بأساليب متنوعة، ومن أكثرها شيوعاً التلازم بين الملزوم واللازم، فخاطب القرآن الملاحدة المعطلة الذين ينكرون الخالق بأسلوب مجمل في مواضع ومفصل في مواضع أُخر، ومن أكثر الآيات التي تلازمت فيها الدلالات العقدية ما جاء من السؤالات الاستفهامية في سور الطور، حيث تعددت صور التلازم بين الملزومات الفطرية وبين لوازمها العقلية، ومن أبرز هذا ما كان فيه تلازم الخلق، والتفاوت بين الخالق والمخلوق، في الملك والسيطرة، والتدبير، والتفرد، والعلم، والحكمة، والربوبية، واستحقاق الألوهية، وهي على النحو الآتي:

أولاً: تلازم الخلق ووجود الخالق: كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾

[الطور: ٣٥].

فالخلق موجودون، مشاهدون، فهذا ملزوم فطرة وعقلا، فلزم من ذلك وجود خالق،

وهذا التلازم على وجهين^(١):

(١) ينظر: الرد على المنطقيين، لأحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت: ٧٢٨هـ)، دار المعرفة - بيروت، لبنان، (ص ٢٥٢-٢٥٣)؛ منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، للدكتور مصطفى محمد حلمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ، (ص ٢٤٠).

الأول: أن يكونوا قد خلُقوا من غير خالق، أو من غير مادة يخلقون منها.

والثاني: أن يكونوا هم الخالقين، فخلقوا أنفسهم ابتداءً قبل أن يوجدوا.

والوجهان يستحيلان فطرة وعقلا، فإنه لازم لكل مُحَدَّث من مُحَدِّث، فلزم ذلك أن يكون لهذه العوالم خالقا مقتدرا. قال ابن أبي العز: "...ومعلوم أن الشيء المحدث لا يوجد نفسه، فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجودا بنفسه، بل إن حصل ما يوجد، وإلا كان معدوما، وكل ما أمكن وجوده بدلا عن عدمه، وعدمه بدلا عن وجوده، فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم له"^(١).

وقال ابن تيمية: "ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكاري ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية، بديهية، مستقرة في النفوس، لا يمكن إنكارها. فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول هو أحدث نفسه"^(٢).

ثانيا: تلازم تنافي التعدي في الخلق:

بعد أن قرر القرآن تلازم عجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قررههم أيضا بحقيقة وجودهم ولزوم وجود خالق لهم، وانتفاء ذلك كله عنهم، ثم أردف هذين التلازمين بتلازم آخر أكبر منهما، فنقل الخطاب الاستفهامي التقريري إلى خلق السموات والأرض، فقال جل جلاله: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٦]، غير أنه قررههم في هذه الآية بحقيقتين:

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لمحمد بن علاء الدين علي بن محمد، ابن أبي العز الأذري (ت: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط ١، ١٤١٨ هـ، (ص ٦٦).

(٢) الرد على المنطقيين، لابن تيمية، (ص ٢٥٢، ٢٥٣)؛ منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، للدكتور مصطفى محمد حلمي، (ص ٢٤٠).

الأولى: عجزهم عن خلق السموات والأرض، إذ العجز عن خلقها أظهر منه في عجزهم عن خلق أنفسهم.

والثانية: يقينهم وتقريرهم بهذا العجز، وهم في ذلك على قسمين، مقرين بخلق الله تعالى للسموات والأرض، وربوبيته، ومنكرين لذلك^(١).

فأما المقرين بذلك من المشركين، فقد نص القرآن على تقريرهم، فقال: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٤ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٨٥ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ٨٦ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِقُ﴾ ٨٧ ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٨ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، وقال: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]. وقال: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]. ولم يؤثر عنهم أنهم كذبوا القرآن في هذا التقرير، أعني ما نقله القرآن من حقائق أنفسهم وتقريرهم بأن الله تعالى هو الخالق لهم وللسموات والأرض ومن فيهن. فلزم من ذلك صدقه من هذه الجهة، وكذبهم في الادعاء.

وأما المنكرين، فتقرر إقرارهم بذلك عقلا، وتلازما مع الدليل: قال ابن تيمية "فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول هو أحدث نفسه"^(٢). والإنسان والسموات والأرض، وما بينهما محدثات، فيبقى اللازم أن لهن خالقا حكيما عليهما، إلى أن تقوم الحجة على خلاف ذلك، ولا حجة لهم في ذلك ابتداء وانتهاء^(٣).

(١) يرى ابن تيمية أن الحقيقة المتعبرة في كل دليل هو (اللزوم)، فمن عرف أن هذا لازم لهذا استدل بالملزوم على اللازم بغير ذكر لفظ اللازم ولا تصور معنى هذا اللفظ. ينظر: الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا، مكتبة -الرشيد الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، (١/٧٠٤، ٧٠٥).

(٢) الرد على المنطقيين، لابن تيمية: (ص ٢٥٢، ٢٥٣)؛ منهج علماء الحديث، للدكتور مصطفى، (ص ٢٤٠).

(٣) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، للدكتور غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية - جدة، السعودية، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، (٢/١٠٩١).

قال ابن تيمية: "... فالإمكان والحدوث متلازمان، فكل محدث ممكن، وكل ممكن محدث، والفقر ملازم لهما، فلا تزال مفتقرة إليه، لا تستغني عنه لحظة عين، وهو الصمد الذي يصمد إليه جميع المخلوقات، ولا يصمد هو إلى شيء، بل هو - سبحانه - المغني لما سواه"^(١).

وقال ابن القيم: "وإذا بطل القسمان - أنهم لم يخلقوا من العدم ولم يخلقوا أنفسهم - تعين أن لهم خالقاً وفاطراً فطرهم؛ فهو الإله الحق الذي يستحق عليهم العبادة والشكر، فكيف يشركون به إلهاً غيره وهو وحده الخالق لهم"^(٢).

وهذه المتلازمات الثلاث - أم خلقوا من غير شيء، أم هم الخالقون، أم خلقوا السماوات والأرض - أمور مرتبة كل واحد منها يمنع من إنكارها القول بالوحدانية والحشر، فقرره بها لعلتين، الأولى: كثرة تعللهم بهذه العلل لإنكار البعث والنشور. والثانية: تلازم هذه الثلاث، فانتفاء الواحدة يلزمه نفي الجميع، ولزوم الواحدة منها يلزمه ثبوت الجميع، بل وجميع متقررات التوحيد ولوآزمه، ويدل على ذلك أن الله تعالى ختم الاستفهامات التي في هذه السورة بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]^(٣).

(١) شرح الأصبهانية، لأحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج - الرياض، ط ١، ١٤٣٠ هـ، (ص ٦٢)؛ وينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية، لأبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨ هـ)، مؤسسة الخافقين ومكبتها - دمشق، ط ٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، (١/٤٤، ١١٨).

(٢) الشرك في القديم والحديث، (٢/١٣٤٦)؛ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لطاهر بن محمد الأسفراييني أبو المظفر (ت: ٤٧١ هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان، ط ١، ١٩٨٣ م، (ص ١٥٤)؛ معارج القبول بشرح سلم الوصول، (١/١٠٠، ٩٩)؛ تقريب التدمرية، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١ هـ)، دار ابن الجوزي - الدمام، السعودية، ط ١، ١٤١٩ هـ، (ص ٣٤).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، (٢٨/٢١٦، ٢١٧).

ثالثاً: تلازم التفاوت بين صفات الخالق والمخلوق، في الملك، والتدبير، والسيطرة

وغيرها:

بعد تقرير الدلالات التلازمية لعدم قدرة الإنسان على ابتداء خلق نفسه، ولزوم ذلك عدم قدرتهم جميعاً على خلق السموات والأرض، وخصص من الأشياء السموات والأرض لعظمها، ثم حكم عليهم بأنهم لا يوقنون ولا ينظرون نظراً يؤديهم إلى اليقين، انتقل الاستدلال العقلي في السورة إلى تقرير حقيقة عظيمة وركن من أركان التوحيد، وهي حقيقة التفاوت والاختلاف وعدم التماثل في الصفات بين الخلق والخالق على العموم^(١)، فقال تعالى:

﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُمٌّ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلِيَاتٌ مُسْتَمِعَةٌ يَسُلْطَنُ مِنْهَا ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الطور: ٣٧-٤٢]، فبيّن أن وجود الخالق ملزوم، والقدرة على الخلق والإعادة، وحاجة المحدث إلى محدث، لازم، وهذا الأصل معلوم بضرورة العقل؛ فالمحدث لا بُدَّ له من محدث لا يفتقر إلى غيره؛ وهو الله تعالى.

يقول ابن تيمية: "...معلوم بضرورة العقل أن المحدث لا بُدَّ له محدث، وأنه يمتنع تسلسل المحدثات باتِّفاق العقلاء؛ وذلك بأن يكون للمحدث محدث، وللمحدث محدث إلى غير غاية، وهذا يسمى تسلسل المؤثرات، والعلل، والفاعلية، وهو لا يزول إلاّ بمحدث أزلّ لا يحتاج إلى غيره"^(٢).

فلزم من هذا أن يتفرد الخالق عن المشابهة والمماثلة من جميع النواحي في كل شيء وخصوصاً في الصفات العليا، كما تقرر هنا من تفرد بالسيطرة، وامتلاكه خزائن كل شيء، وغلبته لكل مخلوق، واستغنائه عما سواه، وكذلك تفرد بالوحدانية، والصمدية، وانتفاء الأولاد والبنات

(١) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، (١٩٢/٥).

(٢) ينظر: آثار المثل الأعلى، للدكتور عيسى بن عبد الله السعدي، مجلة جامعة أم القرى، ج(١٥) ع(٢٦)، صفر، ١٤٢٤هـ، (ص ٨).

عنه؛ لانتفاء حاجته إلى ذلك لزوماً، وانتفاء التسلسل فهو الأول والآخر، لم يتخذ صاحبة ولا ولد، ولا ينبغي له ذلك، وكذلك علمه للغيب، وإحاطته بكل شيء، ونحوها من الصفات التي أثبتها الله جلّ جلاله لنفسه، وأثبتها له نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسيأتي بيان بعض صور ذلك في المطلب التالي^(١).

● المطلب الثاني: التلازم العقدي بين توحيد الربوبية والألوهية:

من خلال لوازم السؤالات الاستفهامية وجواباتها، وما تقرر من التلازمات العقدية، وتبيين عجز البشر عن تقرير أي لازم من لوازم الربوبية، على وجه الخصوص، توجه الخطاب القرآن إلى التدرج في تقرير لوازم أخرى، كتلازم قدرة الخالق وما يجب أن يكون عليه، في إشارة إلى انتفاء عامل الصدفة في الإيجاد، ولزوم ذلك لعدم التدبير والسيطرة، حيث إن الصدفة - عند القائلين بها - قد أوجدت كل هذه المخلوقات، فلزم من ذلك وجهين: إما أنها أوجدت ذلك، فهي تسيره وتدبر أمره، وهذا منتف فطرة وعقلا ولزوماً.

وإما أنها ليس لها القدرة على تدبيره وتصريفه، فلزم ذلك أن هذا الكون المنتظم له من ينظم شؤونه، ويدبر الأقدار والأرزاق فيه، فلزم ذلك أن يكون هو الخالق وليس الصدفة أو العدم، وفيما يأتي بيان سياق الآيات وما فيها من متلازمات:

● السيطرة على هذا الكون الفسيح وما فيه، وتملك خزائن ملكوت كل شيء واستغناء الخالق عن غيره، قال تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ﴾ [الطور: ٣٧]، قيل: معنى ذلك الأرباب، وقيل: المتولون لأمر الكون، أي: المسلطون، المتسلطون، الجبارون، المتكبرون على الله المحاسبون للخلائق؛ وذلك أن المسيطر في كلام العرب الجبار، المتسلط، وقيل: من يسطرون

(١) ينظر: شرح الأصبهانية، لابن تيمية، (ص ٦٢)؛ لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (١/٤٤، ١١٨).

المقادير والأرزاق، فهم يتصرفون في الملك، ويدهم مفاتيح الخزائن^(١).

وقال أهل المعاني: هذا عام في جميع مقدرات الخالق، وضرب لها المثل بالخزائن؛ لأن الخزانة بيت مهياً لجمع أنواع مختلفة، ومقدوراته كالخزائن التي فيها من كل أجناس المعاني لا نهاية له^(٢). وقيل: أم عندهم الاستغناء عن الله في جميع الأمور؛ لأن المال والصحة والقوة وغير ذلك من الأشياء، كلها من خزائن الله^(٣).

فهذه المقررات ملزومة، دل عليها العقل والحس والشرع، فلزم من انتفائها عنهم، انتفاء الخلق عنهم، وانتفاء الربوبية، ولزم أيضاً من انتفاء ذلك عنهم انتفاء الألوهية كذلك. فإذا أقروا بذلك لزمهم الحجة، وهم لا يدعون ذلك، فلزمهم الحجة لعللة التلازم، ولهذا أعرض عنهم فقال: ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٦]، أي: ليسوا على يقين من الأمر، وإنما يجبطون في ظلمات الشك^(٤).

• انتفاء علم الغيب عنهم بجميع صورته، الواجب والمكتسب، أي: انتفاء صفة العلم عنهم لضعف خلقتهم، وانتفاء علم الغيب بملكوت الأشياء وأسرارها، فإنهم لا يستطيعون بلوغ السماء والاستماع إلى الملائ الأعلى، فيأتوا بمثل ما أتى به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُمُّوا يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَاتِ مُسْتَعِيمُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [الطور: ٣٨]، وفي الآية صورتان من صور التلازم:

الأولى: تلازم عجزهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن ولو اجتمعوا له، مما يتوافق عليه لسان شعرائهم وبلغائهم، وقد سبق بيان ذلك في مطلع هذا البحث.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٤٨٢/٢٢)؛ معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٦٦/٥)؛ معالم التنزيل، للبخاري، (٢٩٥/٤).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، (١٩٢/٥)؛ معالم التنزيل، للبخاري، (٢٩٥/٤).

(٤) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (١٢١/٥).

والثانية: إقرارهم أنه من عند الله فلزمهم لمعارضته أن يرتقوا إلى السماء فيأتوا بمثله يعارضه، فإن من اللوازم أن المعارض لا يقل رتبة عن المعارض، وإلا لم تقم به الحجة. والثالثة: إن عجزهم عن الصورتين - الأولى والثانية - يستلزم أن القرآن وكل ما أخبر به دلائل على نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والرابعة: إن عدم قدرتهم على ذلك وتكذيبهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجحودهم البيّنات الواضحات، يستلزم استحقاق المولى جل جلاله وتقديس أسماؤه للتفرد بالربوبية والألوهية، ولذلك انتقل الخطاب بعدها إلى تقرير استغناء الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن الولد من البنين والبنات، كما سيأتي.

• تلازم التفرد بالربوبية والألوهية مع الاستغناء عن البنين والبنات:

انتفاء جميع ما قرره النص القرآني من الملزومات في هذه السورة وما جاء من تفصيلاته في مواضع أخرى من القرآن، ابتداء بتقرير حقيقة القرآن، وحقيقة تفرد سبحانه وتعالى بخلق الإنسان، وتلازم عجزهم عن ذلك؛ لعجزهم عن خلق السموات والأرض، وعدم امتلاكهم خزائن ملكوت كل شيء، وجهلهم بالمغيبات، الظاهرة والباطنة، قرره سبحانه وتعالى بعدة متلازمات تدل على خرصهم وكذبهم، ومن أبرز هذه المتلازمات العقدية ادعائهم أن له البنات - سبحانه - ولهم البنون، فتلازم مع هذا الادعاء لوازم أخرى، وهي كالآتي:

الأولى: احتياجه سبحانه وتعالى لغيره ولو بصورة من الصور، كاحتياج الناس والخلائق للوالد والولد، ونحوها.

فلزمهم بهذا الادعاء الإتيان بسلطان مبین، وقد ثبت وتقرر عجزهم، فلزم ذلك كذبهم، من هذه الجهة.

• تلازم احتياج الولد - البنات - للوالدة، والله جَلَّ جَلَالُهُ لم يتخذ صاحبة ولا ولد، وهو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

فلزمهم من هذه الصورة ما لزمهم من البينة في التي من قبلها، وقد تقرر كذبهم وبطلان حجتهم، من هذه الجهة.

والثانية: أن يكون بينه سبحانه وتعالى وبين الجنة نسبا، كما نص القرآن على ذلك في سورة الصافات^(١) وغيرها، فلزم من ذلك انتفاء صفة القدم عن الجن، ورفعهم إلى منزلة الخالق، أو تنزيل قدر الخالق إلى منزلتهم، والأول: باطل قطعاً، والثاني: أشد بطلاناً، فإن اللازم أن يتفرد الخالق عن النظير والشبيه والكفؤ، وهذا ما تقرر من سياق السؤالات الاستفهامية هنا، ولوازم جواباتها، ونظائرها في مواضع أخرى من القرآن.

المبحث الرابع:

تلازم جوابات السؤالات الاستفهامية لتوحيد الألوهية

بعد أن نبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى تَقْرِيرَاتِ الْحَقَائِقِ السَّابِقَةِ وَجَوَابَاتِهَا التَّبَكِّيَّةِ^(٢)، تدرج إلى حقيقة عظيمة هي مقصد ذلك كله، وهي إفراده تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْأَلُوْهِيَّةِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ، إِذْ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَقْرُونَ بِرَبُّوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ مَا فِي مَعْتَقَدَاتِهِمْ مِنْ شَوَائِبِ الشَّرْكِ فِي ذَلِكَ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ فِي نِهَايَةِ الْآيَاتِ الْاسْتِفْهَامِيَّةِ فِي السُّورَةِ: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣].

(١) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨].

(٢) ينظر: المباحث السابقة من هذا البحث.

فأنكر عليهم ذلك أشد الإنكار بعد أن بيّن لهم بطلان كل احتمال يرد في الخاطر^(١)، ثم تلا ذلك كله بتنزيه نفسه سبحانه وتعالى عن إشراكهم في ألوهيته خصوصا، وجميع الافتراءات التي قرّروها عموما، فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣] ^(٢). قال ابن عطية: "ثم نزه تعالى نفسه عما يشركون به من الأصنام والأوثان، وهذه الأشياء التي وقّفهم تعالى عليها حصرت جميع المعاني التي توجب الانتخاء والتكبر والبعد من الائتثار، فوقّفهم تعالى عليها، أي: ليست لهم ولا بقي شيء يوجب ذلك إلا أنهم قوم طاغون"^(٣).

ويلزمه عن هذا التنزيه لوازم أخرى، قال أهل اللغة: (سبحان) اسم علم على التسييح، و (ما)^(٤) إما مصدرية، بمعنى: أي: عن إشراكهم، وإما: خبرية، أي: عن الذين يشركون. فلزم على هذا احتمالان:

الأول: إما أن يكون تنزيها له سبحانه عن الولد؛ لأنهم كانوا يقولون: له البنات، فنزه نفسه عن البنين والبنات جميعا.

والاحتمال الثاني: أن يكون عن مثل الآلهة، أي: سبحانه الله عن مثل ما يعبدونه^(٥). وكلا الاحتمالين ملازم للآخر.

وأما ملازمة التنزيه للخالق، وإعادة ذكر التوحيد، وتخصيصه بالألوهية أن ما يشركون معه من الآلهة إما ناقص لا يملك ضرا ولا نفعا؛ فهو لا يصلح للألوهية لنقصه، أو كامل

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، (٧/٤٣٨).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي، ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ (٤/١٨١)؛ الشرك في القديم والحديث (٢/١٤٢٣، ١٤٢٤).

(٣) المحرر الوجيز، لابن عطية، (٥/١٩٣).

(٤) في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي بن عادل، النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ، (١٨/١٤٦).

مساو للإله الحق - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - من كل وجه، فيلزم فساد العالم بدليل التمانع أو تركيب، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وكلاهما باطل؛ فيأذن لا شريك له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا كَامِلًا وَلَا نَاقِصًا، والآية إنما دلت على تنزهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الشريك^(١).

فكان هذا التقرير آخر ما تقرر من اللوازم؛ وذلك أن الإشراف بالله أجمع الضلال فينطوي تحته ما دونه، وما يسوق إليه، أو يستلزمه^(٢).

قال ابن عاشور: "... فلما كان ما نعي عليهم من أول السورة ناقضا لأقوالهم ونواياهم، وكان ما هم فيه من الشرك أعظم لم يترك عد ذلك عليهم من اشتهاره بعد استيفاء الغرض المسوق له الكلام لهذه المناسبة، ولذلك كان هذا المنتقل إليه بمنزلة التذييل لما قبله؛ لأنه ارتقاء إلى الأهم في نوعه والأهم يشبه الأعم فكان كالتذييل"^(٣).



(١) ينظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، لسليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم، الطوفي (ت: ٧١٦ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م، (ص ٦٠٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية - تونس، ١٩٨٤ هـ، (٧٨ / ٢٧).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٧٨ / ٢٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد أن من الله علي بإتمام هذه الصفحات التي أسأل الله العظيم ثوابها فيما أحسنت، وعفوه فيما غفّلت عنه وأخطأت، تبتدى لي أن أدون أبرز ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات وهي كالاتي:

أولاً: أهم النتائج:

- وجود علاقة تلازمية للمسائل العقديّة في سورة الطور جاءت على صور سوّالات استنكارية تقريرية، تدور في مجملها حول أبرز المسائل العقديّة - الربوبية، الألوهية، الأسماء والصفات -، وغيرها.
- تلازمت صور التقرير الجوابي للاستفهام العقدي تلازماً تدرجياً، مبتدئة بتقرير حقيقة القرآن، ومن ثم بناء الاستدلال العقلي على ما قرره السياق القرآني من جوابات السوالات المتلاحقة.
- كان هناك تلازمات كثيرة مترابطة ارتباطاً وثيقاً بعضها ببعض، وخاصة التقريرات العقديّة، وتقرير العلاقة بين الخلق والخالق، وتفاوت الصفات بين الخالق والمخلوق، وكذلك التلازم بين توحيد الربوبية والألوهية.
- كان للتقرير الجوابي الملازم للاستفهام العقدي أثر كبير في تقرير التوحيد، فأسلم على إثر ذلك كثير من الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك من لاحقهم إلى يومنا هذا.

- تنوع المنهج العقلي في القرآن لتقرير مسائل العقيدة، ومن تلك المناهج التلازم الجوابي للاستفهام العقدي إما بالطرْد والعكس، أو الاستدلال بثبوت أثر أحد المتلازمين على الآخر ثبوتاً أو نفيًا، أو ثبوت أحدهما ونفي الآخر.

ثانياً: أبرز التوصيات والمقترحات:

- دراسة صور التلازم الاستفهامي وأنواعه وأقسامه وأساليبه في جميع القرآن الكريم، وكذلك في السنة النبوية.
- دراسة الدلالات الاحتمالية للتلازمات العقلية في القرآن الكريم، وأثرها العقدي والفقهية.
- دراسة التلازمات المعنوية واللفظية والفقهية للنصوص القرآنية، من خلال أفرادها بدراسات تطبيقية موسعة.
- التأصيل والتفصيل للمنهج الاستدلالي العقلي وفق المنهج التلازمي الاستفهامي وغيره، إذ إن مجاله ما زال يحتاج إلى كثير بحث ودراسة.
- الاستفادة من منهج القرآن الكريم في التقرير والجدل العقلي نظرياً وتطبيقياً.
- تأهيل الدعاة وتمهيتهم لاستعمال المنهج العقلي في المناظرة، وفق أساليب القرآن ومنهجه، وخاصة أسلوب الإلزام بما يقتضيه النص من ملزوم.
- إعداد مؤلف من مناظرة تفصيلية عقلية تقوم على أسلوب الاستفهام التلازمي يستفيد منه الدعاة في دعوتهم، خاصة مع تيار الإلحادية المعاصرة.
- أن يتم تدريس الأسلوب التلازمي كمقرر عملي يستفيد منه الطلبة في حياتهم، على الصعيد الفردي في الحوار مع أنفسهم، وكذلك على الصعيد الاجتماعي في الحوار مع الغير.



المصادر والمراجع

- ١ . أبكار الأفكار في أصول الدين، لعلي بن محمد بن سالم التغلبي أبو الحسن سيف الدين الأمدي (ت: ٦٣١ هـ)، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ط ٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٢ . الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي) (ت: ٧٨٥ هـ)، لتقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٣ . آثار المثل الأعلى، للدكتور عيسى بن عبد الله السعدي، مجلة جامعة أم القرى، صفر ١٤٢٤ هـ.
- ٤ . إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠ هـ)، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي - دمشق - كفر بطنا، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٥ . أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٦ . استخراج الجدل من القرآن الكريم، لعبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي أبو الفرغ ناصح الدين ابن الحنبلي (ت: ٦٣٤ هـ)، تحقيق: د. زاهر بن عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، ط ٢، ١٤٠١ هـ.
- ٧ . الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، لسليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٨. إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ط ٤، ١٤١٥هـ.
٩. إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
١٠. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
١١. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، لمحمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد أبو الثناء شمس الدين الأصفهاني (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد مظهر بقا، دار المدني - السعودية، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
١٢. البيان في عدّ آي القرآن، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٣. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لطاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٤. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.

١٥. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، استخراج: أبي عبد الله محمود بن محمد الحدّاد (١٣٧٤هـ)، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
١٦. التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ١٣٨٣هـ.
١٧. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٨. تقريب التدمرية، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية - الدمام، ط١، ١٤١٩هـ.
١٩. التلازم بين الظاهر والباطن وأثره على الأسماء والأحكام، للدكتور أحمد بن محمد اللهيبي، جامعة الملك سعود، كلية التربية، السعودية.
٢٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرون، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام النميري الحراني المشهور باسم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن، وآخرون، دار العاصمة - السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢٢. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية - بيروت.
٢٣. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام النميري الحراني المشهور باسم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٤. دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوُجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطى قلعجي، دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٥. دليل التلازم عن الأصوليين، للدكتور عبد الله بن أحمد بن عبد الله التوم، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، العدد (٢٠)، إبريل - يونيو، ٢٠١٤م.
٢٦. الرد على المنطقيين، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام النميري الحراني المشهور باسم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، دار المعرفة - بيروت - لبنان.
٢٧. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٨. شرح الأصبهانية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام النميري الحراني المشهور باسم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج - الرياض، ط ١، ١٤٣٠هـ.
٢٩. شرح العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر - الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ.
٣٠. شرح العقيدة الطحاوية، لمحمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي الأذري الصالحي الدمشقي (ت: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط ١، ١٤١٨هـ.
٣١. شرح حديث جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في الإسلام والإيمان والإحسان المعروف باسم كتاب (الإيمان الأوسط) لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام النميري الحراني المشهور باسم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، دراسة وتحقيقا: الدكتور علي بن بخيت الزهراني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

٣٢. الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٣٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٣٤. صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري (ت: ٢٥٦)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط ٣، ١٩٨٧ م.
٣٥. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٦. علم المعاني، لعبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٣٧. فتح الرحمن في تفسير القرآن، أبو اليمن العُلَيْمي لمجير الدين بن محمد العلمي المقدسي الحنبلي (ت: ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، دار النوادر، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٣٨. فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠ هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ.
٣٩. كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت: ٨١٦ هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٠. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٤١. كتاب المواقف، لعضد الدين الأيجي أبو الفضل عبد الرحمن بن ركن الدين أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي البكري المطرزي الشيرازي الشافعي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
٤٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣ - ١٤٠٧هـ.
٤٣. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء القريني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
٤٤. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤٥. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية، لأبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكبتها - دمشق، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٤٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٤٧. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، للدكتور غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية - جدة - السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٤٨. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي، المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٤٩. مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور المسمى (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى)، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ) مكتبة المعارف - الرياض، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
٥٠. مصطلحات في كتب العقائد، لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، دار بن خزيمة، ط ١.
٥١. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت: ١٣٧٧ هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٥٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
٥٣. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج البغدادي (ت: ٣١١ هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م.
٥٤. المعجم الوسيط، لمجموعة من الباحثين، بإشراف: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة - القاهرة.
٥٥. معجم مصطلحات أصول الفقه، للدكتور قطب مصطفى سانو، دار الفكر - بيروت - دمشق، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٦. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥٧. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
٥٨. منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، د. مصطفى محمد حلمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ.
٥٩. النبوات، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني المشهور باسم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف - الرياض - السعودية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٦٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

**منهج ابن هشام (ت: ٢١٨هـ)
في تفسير غريب القرآن وشواهده في تهذيبه
لسيرة ابن إسحاق (ت: ١٥٠هـ)**

د. نايف بن سعيد بن جمعان الزهراني

الأستاذ المشارك بقسم علوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

جامعة جدة – المملكة العربية السعودية.

aaly999@gmail.com

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

ملخص البحث

موضوع البحث:

دراسة منهج تفسير (غريب القرآن) عند ابن هشام في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق مع تحقيق ألفاظ الغريب، وتحرير شواهدها، وإبراز ما تميّزه في هذا الباب.

أهداف البحث:

- بيان منهج ابن هشام في تفسير ألفاظ غريب القرآن، وتميّزه في هذا الباب.
- تحقيق ألفاظ الغريب، وتحرير شواهدها.

مشكلة البحث:

- هل لابن هشام أثر في علم غريب القرآن؟ وما مقدار ذلك الأثر؟
- بماذا تميّز علم ابن هشام بالغريب؟ وما منهجه في تفسيره؟

نتائج البحث:

- برزت إمامة ابن هشام إضافةً إلى (علم السيرة) في ثلاثة أمور: علمه بغريب اللغة، وحفظه لشواهدها، ومعرفته بالأنساب.
- فسّر ابن هشام في كتابه (١١١) لفظة من ألفاظ غريب القرآن الكريم.
- استشهد عليها بـ (٢٠٢) شاهداً، من القرآن وقراءاته، والسنة وأقوال السلف، وكلام العرب شعراً ونثراً.

الكلمات الدالة (المفتاحية):

ابن هشام - ابن إسحاق - غريب القرآن - الشواهد الشعرية.



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

المقابلة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه .. وبعد:

فهذا بحثٌ بعنوان:

(منهج ابن هشام (ت: ٢١٨هـ) في تفسير غريب القرآن وشواهد في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق (ت: ١٥٠هـ))

فيه دراسةٌ للأصول العلمية التي أقام عليها ابن هشام تفسيره لغريب الألفاظ القرآنية، في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق، بعد جمعها، وتحقيقها، وتحرير شواهدها، وسردها على ترتيب المصحف الشريف، ثم تأليف جميع ما فسّره من ألفاظ الغريب والشواهد في معجم لغوي بحسب موادّها^(١).

وهدفُ البحث إضافة مادة مهمة لعلم (غريب القرآن) لم يسبق العناية بها، مع تقدّمها، ودقّتها، وأصالتها في المنهج، وضمّها إلى مرتبتها العالية بين كتب غريب القرآن، والاستفادة ممّا حقّقه ابن هشام من المعاني، وما حفظه من الشواهد، وبعضها - كما سيّتين للقارئ - لم تُنقل إلا عنه، وقد تميّز في كلّ ذلك وأبان عن علم متين.

وحسبك أن ترى فيما فسّره ابن هشام من غريب القرآن النقل المباشر عن أئمة اللغة؛ كيونس بن حبيب النحوي (ت: ١٨٢هـ)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠هـ)، والأصمعيّ (ت: ٢١٣هـ)، وأبي زيد الأنصاري (ت: ٢١٥هـ)، وهم أعلم أهل اللغة بالغريب، وأشعار العرب، وأيامهم، وأنسابهم.

(١) أتمت ذلك بحمد الله في بحث مستقل مُجاز للنشر في (مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية).

وأن تجد في شواهد ابن هشام الشعرية قرابة ثلاثين شاهداً لا تجدها عند غيره، ولا تُنقل إلا عنه.

مع تصحيحه رواية كثيرٍ من الآيات، وذكر روايات أخرى لعدد من الشواهد، وشدة تحريه وضبطه لألفاظ الآيات، وتفسيرها والاستشهاد لها.

مع عنايته الظاهرة بنسبة الآيات لقائلها، وذكر أنسابهم، وعدد أبيات قصائدهم، ومناسبتها عند الحاجة.

ثم تراه مع استشهاده بأشعار العرب مكثراً من الاستشهاد بالقرآن الكريم، والقراءات، والحديث النبوي، وأقوال السلف، لتفسير غريب الألفاظ القرآنية، مسنداً في كل ذلك إلى رواته وناقله.

ومع تقدّم ابن هشام في علم اللغة، وسعة معرفته بالنحو والشعر والغريب والأنساب، واشتهاره في البصريين، إلا أنه لم أطلع على دراسة تجمع علمه بالغريب وشواهد، وتعرّف به، مع إفراده له بالتصنيف كما سيأتي في مصنّفاته، إلا ما كان من بحث الدكتور يحيى بن صالح الطويان، وفقه الله، والذي نشر في مجلة الجامعة الإسلامية عدد (١٦٩)، بعنوان: (تفسير ابن هشام لغريب القرآن من خلال كتابه السيرة النبوية، جمعاً ودراسةً)، وقد اطلعت عليه بعد فراغي من هذا البحث، واستفدت منه في مراجعة ما جمعته، وظهرت لي فيه الملاحظات الآتية:

١- ذكر الباحث أن الألفاظ الغريبة بلغت: (أكثر من تسعين لفظة قرآنية غريبة)^(١)، ولم يرقمها الباحث أثناء بحثه، في حين بلغت الألفاظ أثناء جمعي لها وتحقيقها في بحثٍ مستقلّ: (١١١) لفظة، والفرق بينهما ليس بقليل.

٢- تعرض الباحث في أول بحثه لـ: (منهج ابن هشام في تفسيره ومصادره فيه)، وجاء

مختصراً للغاية، ومجمالاً في (٥) صفحات، لم يزد الباحث فيها على ذكر عنوان المطلب وشاهد أو شاهدين عليه^(١)، أمّا بحثنا هذا ففي منهج ابن هشام في تفسير (غريب القرآن) فقط وليس التفسير بعامة، وجاء - بشيء من الاختصار - في أكثر من (٥٠) صفحة.

٣- ذكر الباحث: أن (الشواهد الشعرية بلغت أكثر من تسعين شاهداً)^(٢)، في حين بلغت الشواهد الشعرية في بحثنا هذا: (١٤٢) شاهداً، ولا مقارنة بين العديدين.

٤- أدخل الباحث في الغريب ما ليس منه، ونقل نصوصاً عن ابن هشام ليس فيها شيء من الغريب، وقد تكرر هذا منه في خمسة مواضع^(٣)، منها ما أورده عند قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا ءَمَنَتِكُمْ ؕ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، حيث قال: "قال ابن هشام: وأنزل الله تعالى في أبي لبابة، فيما قال سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي قتادة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا ءَمَنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]"^(٤).

٥- وفي مقابل ذلك ترك ما هو من الغريب قطعاً، وذلك في ثلاثة مواطن من الكتاب:

أولها: ﴿وَيَسْتَعِذْنَ فَرِيْقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الأحزاب: ١٣]: "قال ابن هشام: عَوْرَةٌ: أي مُعْوَرَةٌ للعدوّ وضائعة. وجمعها: عَوْرَات. قال النابغة الذبياني^(٥):

متى تلقهم لا تلق للبيت عورة
ولا الجار محروماً ولا الأمر ضائعاً.

وهذا البيت في آيات له. والعورة أيضاً: عورة الرجل، وهي: حرمة. والعورة أيضاً:

السوءة"^(٦).

(١) (ص ٢٢، ٢٦).

(٢) (ص ٢٢).

(٣) تنظر في: (ص ٥٢، ٥٩، ٦٨، ٧٩، ٩١).

(٤) (ص ٥٩).

(٥) ديوانه (ص ١٦٢).

(٦) السيرة النبوية، (١/ ٥٢٤).

ثانيها: ﴿عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ [القلم: ١٣]: "والزَّيْمُ: العَدِيدُ للقوم. وقد قال الحَطِيمُ التميمي في

الجاهلية^(١):

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كما زِيدَ فِي عَرَضِ الأَدِيمِ الأَكَارِعُ"^(٢).

ثالثها: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]: "قال ابن هشام: وَكَوْثَرٌ أَرَادَ: الكثير. ولفظه

مشتقٌّ من لفظ الكثير.

قال الكُمَيْتُ بن زَيْدٍ يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان^(٣):

وأنت كثيرٌ يا ابنَ مروان طيِّبٌ وكان أبوك ابنُ العقائلِ كَوْثِراً.

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له. وقال أمية بن أبي عائذٍ الهذلي يصف حمارة وحش^(٤):

يُجَامِي الحَقِيقَ إِذَا ما احتدمن وَحَمَحَمَنَ فِي كَوْثَرٍ كالجِلالِ.

يعني بالكَوْثَرِ: الغبار الكثير، شَبَّهه لكثرتِه عليه بالجِلالِ. وهذا البيتُ في قصيدةٍ له^(٥).

وبهذا تبين الإضافة الهامة التي تميّز بها بحثنا هذا، ودعت إلى إتمامه والانتفاع بهادته بإذن

الله، على أنّي قد استفدت من البحث المذكور لفظةً فاتتني، فأضفتها إلى ما جمعته، فأنا لصاحبه

شاكراً على ما أحسن، وجزاه الله خيراً على ما اجتهد.

وقد اشتمل هذا البحث على:

١ . مقدمة فيها: بيان أهمية الموضوع، وخطة بحثه، ومنهج دراسته.

(١) أقدم من ذكره ابن هشام، وينظر: لسان العرب، (٢٧٧/١٢).

(٢) السيرة النبوية، (١/٣٦١).

(٣) ديوانه (ص ١٧٧).

(٤) ديوان الهذليين، (٢/١٨١). وفيه اختلافٌ عن رواية ابن هشام.

(٥) السيرة النبوية، (١/٣٩٤).

٢. ثم تمهيد فيه تعريف موجز بابن هشام، وكتابه في السيرة.

٣. ثم يتلوه المبحث الأول: مسائل من منهج ابن هشام في تفسير غريب القرآن وشواهد. وفيه عرض لمسائل عامّة من طريقة ابن هشام في تفسيره للغريب، وأساليب إirاده، واستشهاده عليه إجمالاً.

٤. ثمّ المبحث الثاني: وفيه سردٌ لأنواع شواهد تفسير غريب القرآن عند ابن هشام في كتابه "السيرة النبوية"، وتفصيلُ الكلام فيها، وهي:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: القراءات.

ثالثاً: السنة النبوية.

رابعاً: أقوال السلف.

خامساً: كلام العرب.

وفي كلّ قسم منها: تعريف موجز، مع ذكر مقدار استعمالها، وأمثلة كافية منها، وبيان مدى صحّة الاستشهاد بتلك الشواهد في تفسير الغريب، ثمّ بيان الأصول العلمية من ضوابط ومسائل سار عليها ابن هشام في استعماله لتلك الشواهد.

٥. ثم الخاتمة متضمنةً أبرز نتائج البحث وتوصياته، فالمصادر والمراجع.

أما منهج البحث فيتلخص في الآتي:

١- كرّرت قراءة كتاب: (السيرة النبوية) لابن هشام، واستخرجت جميع المواضع التي

ذكر فيها "غريب القرآن" وبيانه له.

٢- التزمت نصّ كلام ابن هشام بلا تغيير.

- ٣- اعتمدت لكتاب (السيرة النبوية) طبعة شركة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ٥٧٣١ هـ، بتحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي.
- ٤- رجعت في توثيق الشواهد إلى المجاميع الشعرية، كالأغاني، ومنتهى الطلب في أشعار العرب، والدواوين المطبوعة بمختلف طبعتها، وشروح الدواوين، وتراجم الشعراء وطبقاتهم، وكتب الشواهد وشروحها، كخزانة الأدب، ومعاجم الشواهد الشعرية، كمعجم عبد السلام هارون، وعبد الرحمن العلمي، وحنّا جميل حداد، وإميل يعقوب، ومعاجم اللغة، وعامة كتب الأدب، والبلاغة، وكتب غريب القرآن والتفسير، ثم البحث الإلكتروني في جميع كتب المكتبة الشاملة، وموسوعة الشعر العربي.
- ٥- لم أشرح غريب الشواهد الشعرية التي أوردها ابن هشام؛ لكثرتها الظاهرة، ولأن ذلك مُخرَجٌ للبحث إلى حدّ الشرح والتعليق، وذلك ليس من مقاصده.
- ٦- لا أذكر اختلاف الروايات في الشاهد عند ابن هشام وعند غيره إلا إذا كان في اللفظة المفسّرة من الغريب.
- وفيما عدا ذلك التزمت المنهج العلمي المتّبَع في كتابة البحوث العلمية، سائلًا الله تعالى توفيقه وهدايته والقبول، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.



تهذيبك

أولاً: التعريف بابن هشام وكتابه (السيرة النبوية):

هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الذهلي السدوسي، أبو محمد البصري، إمام اللغة والنحو والأدب والأخبار والأنساب^(١)، قدم مصر، وحدث بها بالمغازي وغيرها، (وكان ثقةً)^(٢).

قال المزيّ (ت: ٢٦٤هـ): "قدم علينا الشافعي، وكان بمصر عبد الملك بن هشام صاحب (المغازي)، وكان علامة أهل مصر بالعربية والشعر، ف قيل له في المصير إلى الشافعي، فتثاقل، ثم ذهب إليه، فقال: ما ظننت أن الله يخلق مثل الشافعي"^(٣)، وقال عنه السهيلي (ت: ٥٨١هـ): "مشهورٌ بحمل العلم، مُتقدِّمٌ في علم النَّسب والنَّحو"^(٤)، وقال أبو ذرّ الحُشني (ت: ٦٠٤هـ): "كان من أهل المعرفة باللُّغة والغريب والتاريخ والأنساب"^(٥)، وقال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): "كان ابن هشام نحوياً أديباً إخبارياً فاضلاً"^(٦).

لقِيَ من أئمة اللغة يونس بن حبيب النحوي (ت: ١٨٢هـ)^(٧)، وخلف الأحمر (ت: ١٨٠هـ)^(٨)، وأبازيد الأنصاري (ت: ٢١٥هـ)^(٩)، والشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، وقال عنه: "الشافعي حجة في اللغة"^(١٠)، وقال: "طالت مجالستنا محمّد بن إدريس الشافعيّ، فما سمعت منه لحنَةً قطّ،

(١) ينظر: تاريخ ابن يونس المصري، (٢/١٣٧)؛ وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٠/٤٢٨).

(٢) تاريخ ابن يونس المصري، (٢/١٣٧).

(٣) سير أعلام النبلاء، (١٠/٤٢٩).

(٤) الروض الأنف، (١/٤٣).

(٥) الإملاء المختصر في شرح غريب السير، (ص ٣).

(٦) تاريخ الإسلام، (٥/٣٨٨).

(٧) ينظر: السيرة النبوية، (١/٥٥، ٧٠، ٩٠، ٥٣٨).

(٨) ينظر: السيرة النبوية، (١/١٩).

(٩) ينظر: السيرة النبوية، (١/١٣، ٥٦).

(١٠) تاريخ الإسلام، للذهبي، (٥/٣٨٧).

ولا كلمةً غيرها أحسنُ منها»^(١).

وأخذ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠هـ)^(٢) وأكثر عنه، بل عامة مادة الغريب في كتابه السيرة مستفادةً منه، وفي طبقاته من الأئمة سيويه (ت: ١٦١هـ)، والكسائي (ت: ١٨٩هـ)، والفراء (ت: ٢٠٧هـ)، والأصمعيّ (ت: ٢١٣هـ)، ونحوهم.

وكان ابنُ هشام مقدّمًا في علمه بالشعر وغريب اللغة، مشهودًا له فيه، ولعل ذلك من أثر علم أهل البصرة بهما، كما قال ابن سلام الجُمحي (ت: ٢٣١هـ): "وكان لأهل البصرة في العربيّة قُدْمَةٌ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عنايةً"^(٣). قال الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) عن ابن هشام (ت: ٢١٨هـ): "كان عالم مصر بالغريب في الشّعْر"^(٤)، وصنّف فيه: (شرح ما وقع في أشعار السيرة من الغريب)^(٥)، وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "اجتمع به الشافعيّ حين ورد مصر، وتناشدا من أشعار العرب شيئًا كثيرًا"^(٦).

صنّف: (السيرة النبويّة)، وهذّبها ولخصّها من: (المغازي والسير) لابن إسحاق، وهي أشهر كتب السيرة وأوثقها، وإليه تُنسب، قال القفطي (ت: ٦٤٦هـ): "وهذه السيرة التي يرويها عن ابن إسحاق قد هذّب منها أماكن مرّة بالزيادة، ومرّة بالنقصان، وصارت لا تعرف إلا بـ(سيرة ابن هشام)، وللمصريّين بها فرطٌ غرام، وكثرةٌ رواية، وعن المصريّين نُقلت إلى سائر الآفاق"^(٧)، وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "وإنما نُسبت إليه فيقال (سيرة ابن هشام) لأنه هذّبها وزاد فيها ونقص منها، وحرّر أماكن واستدرك أشياء"^(٨).

(١) المقفى الكبير، للمقريزي، (٥/٢١٠).

(٢) نقل عنه في "السيرة النبوية" في قرابة خمسين موضعًا، منها: (١/٥٥، ١٠١، ١١٤، ٣٦٣، ٦٣٦)، (٢/١٥١).

(٣) طبقات فحول الشعراء، (١/١٢).

(٤) الوافي بالوفيات، (١٩/١٤٣).

(٥) المرجع السابق.

(٦) البداية والنهاية، (١٠/٣٠٨).

(٧) إنباه الرواة على أنباه النحاة، (٢/٢١٢).

(٨) البداية والنهاية، (١٠/٣٠٨).

وقد روى ابن هشام (كتاب السيرة) من طريق: أبي محمد زياد بن عبد الله البكائي الكوفي (ت: ١٨٣هـ)^(١)، عن محمد بن إسحاق المظلي.

وله (التيجان في أنساب حمير وملوكها) مطبوع^(٢)، و(شرح ما وقع في أشعار السيرة من الغريب) مفقود، وهو شديد الشبه بموضوع هذا البحث، وعسى أن يكون فيما جمعناه أداءً لبعض ما حرره فيه.

توفي رَحْمَةُ اللَّهِ بِمِصْرَ، سنة (٢١٨هـ) على الصحيح، كما ذكره ابن يونس (ت: ٣٤٧هـ) في (تاريخه لمصر)^(٣)، وذكر السهيلي (ت: ٥٨١هـ) أنه توفي سنة (٢١٣هـ)^(٤)، قال القفطي (ت: ٦٤٦هـ): "وهذا الذي قاله السهيلي على سبيل الحُدْسِ، والمعول على نسبه الأول، ووفاته الأولى؛ فإن الناقل لذلك هو أبو سعيد عبدالرحمن بن يونس المصري، إمام مصر في الحديث والتاريخ، ذكره في (تاريخ الغرباء القادمين على مصر)"^(٥).

ثانياً: منهج ابن هشام في كتابه (السيرة النبوية):

بيّن ابن هشام منهجه في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق في أول كتابه، فقال: "قال ابن هشام: وأنا إن شاء الله مبتدئٌ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولد رسول الله

(١) وهو أثبت من روى السيرة عن ابن إسحاق، وأملاها عليه ابن إسحاق مرتين، قال يحيى بن معين: "زياد البكائي في ابن إسحاق ثقة"، وقال صالح بن محمد: "ليس كتاب (المغازي) عند أحد أصح منه عند زياد البكائي، وهو من أثبت الناس في هذا الكتاب". وتنظر ترجمته في: تهذيب الكمال، للمزني، (٩/٤٨٥)؛ وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (٩/٥).

(٢) بمطبعة دائرة المعارف العثمانية، ولكن الهند، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧هـ، والنسخة المخطوطة التي طبع عنها الكتاب سقيمة جداً، وفيها نصوصٌ مُقحمة ليست من كلام ابن هشام، كما في (ص ١١، ١٧) من المطبوعة. ثم طبع الكتاب عن مركز الدراسات والبحوث اليمني، وقوبل على نسخة أخرى متأخرة عن الأولى بأربع سنوات، ومحفوطة في المتحف البريطاني بلندن، برقم (٢٩٠١).

(٣) (١٣٧/٢).

(٤) الروض الأنف، (١/٤٣).

(٥) إنباه الرواة على أنباء النحاة، (٢/٢١٢)؛ وينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، (٥/٣٨٧).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَلَدِهِ، وَأَوْلَادِهِمْ لِأَصْلَابِهِمْ، الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، مِنْ إِسْمَاعِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَعْرُضُ مِنْ حَدِيثِهِمْ، وَتَارَكَ ذَكَرَ غَيْرِهِمْ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، عَلَى هَذِهِ الْجِهَةِ لِلِاخْتِصَارِ، إِلَى حَدِيثِ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَارَكَ بَعْضَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، مِمَّا لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِيهِ ذِكْرٌ، وَلَا نَزَلَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ، وَلَيْسَ سَبَبًا لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَلَا تَفْسِيرًا لَهُ، وَلَا شَاهِدًا عَلَيْهِ، لِمَا ذَكَرْتُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ، وَأَشْعَارًا ذَكَرَهَا لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَعْرِفُهَا، وَأَشْيَاءَ بَعْضُهَا يَشْنَعُ الْحَدِيثُ بِهِ، وَبَعْضُ يَسُوءُ بَعْضَ النَّاسِ ذِكْرُهُ، وَبَعْضٌ لَمْ يُقَرَّرْ لَنَا الْبُكَائِيُّ بِرَوَايَتِهِ، وَمُسْتَقْصٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْهُ بِمَبْلَغِ الرِّوَايَةِ لَهُ، وَالْعِلْمِ بِهِ"^(١)، فَظَهَرَ مِنْ مَنْهَجِهِ:

١. قصد الاختصار في كتابه.

٢. ترك كل ما لا ذكر فيه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا صلة له به.

٣. ترك ما لا يتصل بتفسير شيء من السيرة النبوية، وما كان مشتقاً على تفسيرها فإنه يذكره من القرآن أو الشعر أو غيرهما.

٤. ترك ذكر أشعار أوردها ابن إسحاق، لسبب مما يأتي:

الأول: أن أهل العلم بالشعر ينكرونها.

الثاني: لاشتغالها على ما يشنع ذكره من المعاني.

الثالث: ما فيه مساءة لبعض المسلمين.

الرابع: ما لم يثبت من رواية البُكَائِيِّ (ت: ١٨٣ هـ) لكتاب ابن إسحاق.

٥. استقصاء كل ما تدعو إليه الحاجة مما ذكره ابن إسحاق، أو بلغ ابن هشام رواية له أو رأياً منه.

ومن هذا النص يتبين مقدار عناية ابن هشام بالشواهد في كتابه، وفحصه لها، وتمييزه بين ما يقبل منها وما لا يقبل، سواء من جهة نقلها والثبوت، أو من جهة ما تضمنته من المعاني^(١).

وتبين من ذلك أيضاً أن ابن هشام لم يكن مجرد ناقل لما أورده ابن إسحاق، أو متابعاً له فيه لما اشتهر في الناس من إمامته في علم السير والمغازي والأنساب، بل كان ناقدًا بصيرًا، مميّزًا من كلام ابن إسحاق ما ظهرت فيه إمامته من (علم السيرة)، وما كان فيه دون ذلك من (علم الشعر) رواية ودراية.

فجاء تهذيب ابن هشام لجانب (السيرة) خفيًا يسيرًا؛ لأنه من خاصّة علم ابن إسحاق، أما جانب (الشعر) فاتسع فيه تصرّفه، وبان فيه جليل علمه، وجاء كثيرًا ظاهرًا؛ لأنه من خاصّة علم ابن هشام، مع قلة علم ابن إسحاق به.

وقد أكثر ابن سلام الجمحي (ت: ٢٣١هـ) من بيان حال ابن إسحاق في الشعر، وحال ما نقله منه في كتبه، وكان بعضه شديدًا، فكان مما قال: "وكان ممن أفسد الشعر وهجّنه وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحاق بن يسار، مولى آل مخرمة بن المطلّب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير، قال الزهري: لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة. وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك، فقبل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر، أتينا به فأحمله. ولم يكن ذلك له عذرًا، فكتب في السير أشعار الرجال

(١) تتبّع الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه الفريد: (مصادر الشعر الجاهلي)، (ص ٣٣٧) مأخذ ابن هشام على ابن إسحاق في الشعر، وحصرها في أربعة وجوه. وأبان فيما كتب عن مبلغ علم ابن هشام بأشعار العرب، ومهارته في جمعها وفهمها ونقدتها، وسعة تصرّفه فيها.

الذين لم يقولوا شعراً قطّ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثمّ تجاوز ذلك إلى عادٍ وثمود، فكتب لهم أشعاراً كثيرة وليس بشعر، إنما هو كلامٌ مؤلّفٌ معقودٌ بقوافٍ، أفلا يرجعُ إلى نفسه فيقول: مَنْ حملَ هذا الشعر؟ وَمَنْ أدّاه منذ آلافِ من السنين؟ والله تبارك وتعالى يقول:

﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥]، أي: لا بقيّة لهم. وقال أيضاً: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودًا﴾ [النجم: ٥٠-٥١]، وقال في عادٍ: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨]، وقال: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]، وقال: ﴿الْمُرَايَاتُ كَمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩]،^(١) وقال: "فلو كان الشعر مثل ما وُضع لابن إسحاق، ومثل ما روى الصُّحُفِيُّون، ما كانت إليه حاجةٌ، ولا فيه دليلٌ على علم"^(٢)، وقال: "ولسنا نُعدُّ ما يروي ابنُ اسحاقٍ له ولا لغيره شعراً، ولأنّ لا يكون لهم شعراً أحسنُ من أن يكون ذلك لهم"^(٣).



(١) طبقات فحول الشعراء، (٧/١).

(٢) المرجع السابق، (١١/١).

(٣) المرجع السابق، (٢٤٧/١).

المبحث الأول:

مسائل من منهج ابن هشام في تفسير غريب القرآن وشواهد

يشتمل هذا المبحث على مسائل عامّة من منهج ابن هشام في تفسيره لغريب الألفاظ القرآنية، ومنهج استشهاده عليها، ممّا لا يندرج تحت نوع خاص من الشواهد الآتي ذكرها في المبحث التالي بإذن الله، وهذا أو أن بيانها:

أولاً: استوعب ابن هشام في كتابه تفسير (١١١) لفظاً من غريب ألفاظ القرآن الكريم، وذلك عند ورود آية اللفظة في أول موضع لها من كلام ابن إسحاق، واستشهد فيها بـ (٢٠٢) شاهد.

ثانياً: في جميع شواهده يقدم قوله: (قال ابن هشام)، ليميّز كلامه من كلام ابن إسحاق قبله، إلا في لفظة (الزيم)^(١)، فقد شرع في تفسيرها بدون ذلك، ولكنه فيها على نفس طريقته في تفسير الغريب وذكر الشواهد.

ثالثاً: طريقته في تفسير الغريب هي: ذكر اللفظة من الغريب، ثم تفسيرها، ثم ذكر قائل الشاهد، ثم إيراد الشاهد. كما في قوله عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]: "قال ابن هشام: الأنداد: الأمثال، واجدهم ندد.

قال ليبد بن ربيعة^(٢):

أحمدُ الله فلا ندد له بيديهِ الحَيْرُ ما شاءَ فعَل " (٣).

(١) السيرة النبوية، (١/ ٣٦١).

(٢) شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري، إحسان عباس (ص: ١٧٤).

(٣) السيرة النبوية، (١/ ٥٣٣)؛ وينظر: (١/ ٥٣٥، ٥٤٢، ٥٨٣)، (٢/ ١٧٥).

رابعًا: يعرف بنسب القائل في كثير من المواضع، كما في قوله عند قوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]: قال ابن هشام: "شطره: نحوه وقضده". قال عمرو بن أحمَر الباهلي، وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، يصف ناقته^(١):

تعدو بنا شطر جمع وهي عاقدة
قد كارب العقد من إيفادها الحقب^(٢).

خامسًا: يتطرق أحيانًا إلى شرح الشاهد، وبيان سببه وقصته، وتفسير ما فيه من الغريب، ويستشهد عليه، كما في قوله عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]: "قال ابن هشام: تَسْفِكُونَ: تَصْبُونَ. تقول العرب: سفك دمه: أي صبه. وسفك الزق: أي هراقه. قال الشاعر^(٣):

وكنّا إذا ما الضيف حلّ بأرضنا
سفكنا دماء البدن في تربة الحال.

قال ابن هشام: يعني (بالحال): الطين الذي يُخالطه الرمل. وهو الذي تقول له العرب: السهلة. وقد جاء في الحديث: «أن جبريل لما قال فرعون: ﴿ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] أخذ من حال البحر وحماته ف ضرب به وجه فرعون^(٤)، والحال مثل الحمأة^(٥). وقال في قوله تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثِيُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦]: "قال ابن هشام: واحد الريثيين: ريبي.. وواحدة الرباب: ربة وربابة. وهي جماعات قِداح أو عصي ونحوها، فشبهوها

(١) مجاز القرآن، لأبي عبيدة، (٦٠/١).

(٢) السيرة النبوية، (٥٥٠/١)؛ وينظر: (١٤/١)، (٥٣٤، ٥٥٧، ٦٦٣).

(٣) أقدم من ذكره ابن هشام، وينظر: لسان العرب، (١١/١٩١).

(٤) ينظر: مسند أحمد، (٨٢/٤)، ح (٢٢٠٣)؛ وجامع الترمذي، (٥/٢٨٧)، ح (٣١٠٧).

(٥) السيرة النبوية، (١/٥٣٩).

بها.. ، وقال أمية بن أبي الصلت^(١):

حَوْلَ شَيَاطِينِهِمْ أَبَابِيلُ رَبِّيَّ
وَن شَدَّوْا سَنَوْرًا مَدَّسُورًا.

وهذا البيت في قصيدة له. قال ابن هشام: والرِّبَابَةُ أَيضًا: الخِرْقَةُ التي تُلْفُ فيها القِدَاحُ. قال ابن هشام: والسَّنَوْرُ: الدرُوعُ. والدُّسْرُ: هي المسامير التي في الحِلْقِ. يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وُدُسْرٍ﴾ [القمر: ١٣]، قال الشاعر وهو أبو الأَخْزَرِ الحِمَّاني، من تميم^(٢):

دَسْرًا بِأَطْرَافِ القَنَا المَقُومِ^(٣).

سادسًا: ربما وهم في نسبة الشاهد، كما في قوله عند قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ [البقرة: ٥٧]: "والسَّلْوَى: طَيْرٌ، واحدها: سَلْوَاةٌ، ويُقال إنها: السَّمَانَى، ويُقال للعسل أَيضًا: السَّلْوَى. وقال خالد بن زهير الهذلي:

وقاسمها بالله حقًا لأنتم
ألذ من السَّلْوَى إذا ما نُشورُها^(٤).

ولعله سبق قلم منه؛ لأن القصيدة قالها أبو ذؤيب الهذلي في ابن عمه خالد بن زهير الهذلي^(٥)، ولم أقف له على وهم غيره.

سابعًا: أكثر ابن هشام النقل عن شيخه أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠هـ)، فقد نقل عنه (١٣) نقلًا، بعضها سماعًا وليس في كتب أبي عبيدة المطبوعة، وستأتي الإشارة إلى ذلك. وقد يزيد عليه ما لا يذكره من المعاني أو الشواهد^(٦)، وربما نقل عنه المعنى وخالفه

(١) لم أجده عند غير ابن هشام.

(٢) لم أجده عند غير ابن هشام.

(٣) السيرة النبوية، (١١٢/٢)؛ وينظر: (١/٣٩٣، ٥٣٦)، (٢/١٩٣، ٢٤٨).

(٤) السيرة النبوية، (١/٥٣٥).

(٥) ينظر: ديوان الهذليين، (١/١٥٨)؛ وشرح ديوان الهذليين، للسكري، (١/٢٧).

(٦) ينظر: السيرة النبوية، (١/١٤، ٣٦٣، ٥٨٣)، (٢/٢٤٨).

بذكر شاهد آخر له^(١)، وربما سمى من أهمله أبو عبيدة من الشعراء^(٢)، وربما خالفه في ترتيب بعض الأبيات، كما في قوله عند قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩]:
"قال علقمة بن عبدة، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم^(٣):"

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَيْبٌ.

وفيها:

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ سَقَتِكَ رَوَايَا الْمَزْنِ حَيْثُ تَصُوبُ.

وهذان البيتان في قصيدة له^(٤)، والقصيدة من اختيارات المفضل الضبي (ت: ١٦٨ هـ)، وترتيب البيت الأول فيها: (٣٧)، وترتيب الثاني: (٥)، وذكر ابن هشام البيت الأول ثم قوله: "وفيها" يشعر بوجود أبيات بينهما، ولعله قدّم الأول لمناسبته معنى الآية. والبيتان في (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ت: ٢١٠ هـ) بنفس ترتيب ابن هشام بلا فصل بينهما^(٥).

وقد ذكر نصاً مهماً في بيان نقل أبي عبيدة (ت: ٢١٠ هـ) عن العرب في تفسير القرآن، فقال: "قال ابن هشام: عن أبي عبيدة ويونس أنّهما تأوّلا ذلك عن العرب في قول الله عزَّ وجلَّ. حدّثني أبو عبيدة بذلك".

ثامناً: ربما فسّر الغريب بلا شاهد، كما في قوله عند قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]:

"وَحِطَّةٌ: أَي حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا"^(٦)، وعند قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الرعد: ١١]

(١) السيرة النبوية، (٢/٢٤٨، ٢٤٩).

(٢) ينظر: السيرة النبوية، (١/١٤)؛ ومجاز القرآن، (٢/١٤٧).

(٣) المفضليات، (ص ٣٩٢).

(٤) السيرة النبوية، (١/٥٣٢).

(٥) (١/٣٣)؛ وفي الاختيارين المفضليات والأصمعيات، للأخفش الصغير تقديم وتأخير أيضاً (ص ٦٤٨).

(٦) السيرة النبوية، (١/٥٣٥).

قال: "المُعَقَّبَات: هي من أمر الله يحفظون محمداً" (١)، ولم يذكر فيها شاهداً، وذلك قليل في كتابه (٢).

تاسعاً: نقل ابن هشام نقولاً مهمةً عن أئمة اللغة، ليست في كتبهم المطبوعة، ومنها ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]: "قال ابن هشام: عن أبي عبيدة: إلا أمانِي: إلا قراءة؛ لأنَّ الأُمِّيَّ: الذي يقرأ ولا يكتب. يقول: لا يعلمون الكتاب إلا أنهم يقرؤونه. قال ابن هشام: عن أبي عبيدة ويونس أنَّهما تأوَّلا ذلك عن العرب في قول الله عَزَّجَلَّ، حدَّثني أبو عبيدة بذلك. قال ابن هشام: وحدثني يونس بن حبيب النَّحْوِي وأبو عبيدة: أن العرب تقول: تمَنَّى، في معنى: قرأ. وفي كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، قال:

وأنشدني أبو عبيدة النَّحْوِي (٣):

وَأخْرَهُ وَافِي حِمَامِ الْمَقَادِرِ.

تمنَّى كتابَ الله أوَّلَ لَيْلِهِ

وأنشدني أيضاً (٤):

تمنَّى داوَدَ الزَّبُورَ على رِشْلِ.

تمنَّى كتابَ الله في الليلِ خالِياً

وواحدةُ الأمانِي: أُمْنِيَّة. والأمانِيُّ أيضاً: أن يتمنَّى الرجلُ المالَ أو غيره (٥)، وهذا النقل عن

أبي عبيدة (ت: ٢١٠هـ) ليس في كتابه (مجاز القرآن)، ولا في كتبه المطبوعة.

(١) السيرة النبوية، (٢/٥٦٩).

(٢) تنظر في: السيرة النبوية، (١/٥٥، ٣١٠، ٥٧٠)، (٢/٥٦٩).

(٣) البيت بلا نسبة في عاثة كتب اللغة، ينظر: العين، للخليل بن أحمد، (٨/٣٩٠)؛ ومقاييس اللغة، لابن فارس، (٥/٢٧٧)؛ ولسان العرب، لابن منظور، (١٥/٢٩٤).

(٤) البيت بلا نسبة في عاثة كتب اللغة، ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، للأبباري، (٢/١٥١)؛ والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، (١٠/٥١١)، ولسان العرب، لابن منظور، (١٥/٢٩٤).

(٥) السيرة النبوية، (١/٥٣٧).

عاشراً: يذكر كثيراً من تصاريف الألفاظ، من مثل قوله: "وجمع بحيرة: بحائر وبُحُر. وجمع وصيلة: وصائل ووُصل. وجمع سائبة الأكثر: سوائب وسُيب. وجمع حام الأكثر: حُوم"^(١)، وقوله عند قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَّرَعْدٌ وَّرَقٌّ﴾ [البقرة: ١٩]: قال ابن هشام: "الصَّيْب: المطر. وهو من صاب يَصُوب، مثل قولهم: السَّيِّد، من ساد يَسُود. والميِّت، من مات يَمُوت. وجمعه: صيائب"^(٢).

المبحث الثاني:

شواهد غريب القرآن عند ابن هشام في كتابه (السيرة النبوية)

قال ابن الطيب الفاسي (ت: ١١٧٠ هـ): "المراد بالشواهد عند علماء اللسان: الجزئيات التي تُذكر لإثبات القواعد من كلام الله تعالى، أو كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو كلام العرب العرباء الثابتة فصاحتهم، الموثوق بعربيتهم"^(٣)، وقد تنوعت الشواهد عند ابن هشام (ت: ٢١٨ هـ) في كتابه في السيرة إلى ما يأتي:

أولاً: القرآن الكريم:

هو: كلام الله المنزل على نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المثبت في المصاحف، المعجز بنفسه، المتعبد بتلاوته^(٤).

(١) السيرة النبوية، (١/٨٩).

(٢) السيرة النبوية، (١/٥٣٢)؛ وينظر: (١/٥٣٢، ٥٣٥).

(٣) شرح كفاية المتحفظ، (ص ٩٥).

(٤) ينظر: جامع البيان، لابن جرير، (١/٩٠)؛ وجمال القراء، للسخاوي، (ص ٨٤)؛ والبرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١/٢٧٧).

وهو من أجل الشواهد التي استعملها ابن هشام في تفسير الغريب، وقد تكرر استعماله له (٢٧) مرة، وذلك يمثل من مجموع شواهد البالغ عددها (٢٠٢) شاهد، ما نسبته: (٤، ١٣٪). ومن أمثلة تلك الشواهد قوله في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩]: "قال ابن هشام: يستفتحون: يستنصرون. ويستفتحون أيضاً: يتحاكمون. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]"^(١)، وقال في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧]: "قال ابن هشام: الأفَّاك: الكذاب. وفي كتاب الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ [الصفات: ١٥١-١٥٢]"^(٢).

والآيات في نزول القرآن بلغة العرب عديدة ظاهرة، من نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣]، قال الشافعي (ت: ٢٠٤هـ): "والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب"^(٣).

وقد انعقدت كلمة أئمة اللغة على أن القرآن الكريم أجل وأصح وأفصح ما ثبت به اللغة بإجماع^(٤)، قال الفراء (ت: ٢٠٧هـ): "والكتاب أعرب وأقوى في الحجّة من الشعر"^(٥)، وقال السيوطي (ت: ٩١١هـ): "أما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية؛ سواء كان متواتراً أم أحاداً أم شاذاً"^(٦)، وقال ابن الطيّب الفاسي (ت: ١١٧٠هـ): "لاخلاف بين العلماء في الاستدلال بالقرآن العظيم، والاحتجاج به في جميع الفنون العلمية على اختلافها وكثرتها، ولا سيما علوم اللسان؛ لغةً و صرفاً ونحواً وبيانياً بأنواعه الثلاثة"^(٧).

(١) السيرة النبوية، (١/٢١٢).

(٢) السيرة النبوية، (١/٣٥٨)؛ وينظر: (٢/١٠٧).

(٣) الرسالة، (ص ٤٢).

(٤) ينظر: الاقتراح في أصول النحو، للسيوطي، (١/٤١٦)؛ وشرح كفاية المتحفظ، لابن الطيب الفاسي، (ص ١٠٠)؛ وفي أصول النحو، لسعيد الأفغاني، (ص ٢٨).

(٥) معاني القرآن، (١/١٤).

(٦) فيض نشر الانشراح، (١/٤١٦)؛ وينظر: خزائن الأدب، (١/٩).

(٧) شرح كفاية المتحفظ، (ص ٩٦).

وابن هشام في جميع مواضع استشهاده بالقرآن يصدره بقوله: "وفي كتاب الله عزَّجَلَّ" إلا ما ندر، ويقدمه على ما سواه من الشواهد، كما عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخَصَّاصِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]: قال ابن هشام: الألدُّ: الذي يشغَب فتشتدُّ خصومته. وجمعه: لُدٌّ. وفي كتاب الله عزَّجَلَّ: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، وقال المهلهل بن ربيعة التغلبي، واسمه امرؤ القيس، ويُقال: عدي بن ربيعة^(١):

إن تحت الأحجارِ حدًّا ولبناً
وخصيماً ألدًّا ذا مِعلاقٍ^(٢).

وقد يكتفي بذكر الشاهد من القرآن عن ذكر غيره من الشواهد؛ اكتفاءً به واستغناءً، أو اختصاراً، من نحو قوله عند قوله تعالى: ﴿وَكَاؤُا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩]: قال ابن هشام: "يستفتحون: يستنصرون. ويستفتحون أيضاً: يتحاكمون. وفي كتاب الله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]"^(٣)، ولم يذكر له شاهداً آخر.

وقد جاء استشهاده بالقرآن لبيان الألفاظ حيناً، وليبيان الأساليب حيناً آخر، وعامة ما سبق من أمثلة هو في بيان الألفاظ، ومثال بيان الأسلوب قوله عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ [النور: ٢٢]: "فمعنى "أن يؤتوا" في هذا المذهب^(٤): أن لا يؤتوا. وفي كتاب الله عزَّجَلَّ: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، يريد: أن لا تضلوا. ﴿وَيَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥]، يريد: أن لا تقع على الأرض"^(٥)، وقال في قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧]: "فليدع أهل ناديه.

كما قال تعالى: ﴿وَسَّالِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، يريد: أهل القرية"^(٦).

(١) مجاز القرآن، لأبي عبيدة، (١٣/٢).

(٢) السيرة النبوية، (١٧٤/٢)؛ وينظر: (١٠٧/٢، ٥٤٧).

(٣) السيرة النبوية، (٢١٢/١).

(٤) أي ما ذكره قبل ذلك من أن معنى (يأتل)؛ يحلف.

(٥) السيرة النبوية، (٣٠٤/٢).

(٦) السيرة النبوية، (٣١٢/١).

ثانياً: القراءات:

وهي: كيفية أداء الكلمات القرآنية اتِّفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجه لناقله^(١).

وقد استعملها ابن هشام في تفسيره للغريب مرتين في موضع واحد، وذلك يمثل من مجموع شواهد البالغ عددها (٢٠٢) شاهد، ما نسبته: (١٪).

وذلك الموضع في تفسيره غريب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، حيث قال: "والسَّلْمُ أيضاً: الصُّلح. وفي كتاب الله عزَّجَلَّ: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ﴾ [محمد: ٣٥]، ويُقرأ: (إلى السَّلْمِ)^(٢)، وهو ذلك المعنى، قال زهير بن أبي سُلمى^(٣):

وقد قُلتما إن نُدرك السَّلْمَ واسعاً
بِمالٍ ومَعروفٍ من القَوْلِ نَسَلِمَ.

وهذا البيت في قصيدة له. قال ابن هشام: وبلغني عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه كان يقول: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال: ٦١] للإسلام^(٤). وفي كتاب الله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ويُقرأ: (في السَّلْمِ)^(٥)، وهو: الإسلام. قال أمية بن أبي الصلت^(٦):

فما أنابوا لِسَلْمٍ حين تُنذرهم
رُسلُ الإله وما كانوا له عَضداً.

وهذا البيت في قصيدة له. وتقول العربُ لِدَلْوٍ تُعْمَلُ مُسْتطيلةً: السَّلْم. قال طرفة بن العبد، أحد بني قيس بن ثعلبة، يصف ناقه له^(٧):

لها مرفقان أفتلان كأنها
تَمُرُّ بِسَلْمِي دالِحٍ مُتَشَدِّدٍ.

- (١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (٣١٨/١)؛ ومنجد المقرئين، لابن الجزري، (ص ٤٩)؛ ولطائف الإشارات، للقسطاني، (١/١٧٠).
- (٢) قراءة حمزة وشعبة عن عاصم. ينظر: السبعة، لابن مجاهد، (ص ٦٠١).
- (٣) ديوانه، (ص ١٠٦).
- (٤) لم أجده عن الحسن، ويشبهه قول ابن عباس: للطاعة. ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٢٣٥/٨).
- (٥) قراءة ابن كثير ونافع والكسائي. ينظر: السبعة، لابن مجاهد، (ص ١٨٠).
- (٦) لم أجده عند غير ابن هشام.
- (٧) ديوانه بشرح الأعلام الشتمري، (ص ٣٣)، وفيه: "أَمراً بِسَلْمِي دالِحٍ".

ويروى: دالِحٌ^(١). وهذا البيت في قصيدة له^(٢).

والقراءات متواترها وشاذها حجة في العربية مُطلقاً، وهي أقوى في عربيتها من أقوال السلف زمن الاحتجاج، فضلاً عن نقلة اللغة من أهل العربية؛ لأنَّ منها ما قرأ به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زمناً، ثم قرأ به أصحابه الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، حتى أجمعوا على مصحف عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قراءةً ورسماً، قال ابن جنِّي (ت: ٣٩٢ هـ): "لكنَّ غرضنا أن نري وجه قوَّة ما يُسمَّى الآن شاذاً، وأنَّه ضاربٌ في صحَّة الرواية بجرانه، أخذ من سمَّت العربية مهلة ميدانه؛ لئلا يري مري^(٣) أنَّ العدول عنه إنما هو غضُّ منه، أو تهمة له. ومعاذ الله! وكيف يكون هذا والرواية تُنميه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله تعالى يقول ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وهذا حكمٌ عامٌّ في المعاني والألفاظ، وأخذه هو الأخذ به. فكيف يسوغ مع ذلك أن ترفضه وتجتنبه! فإن قَصُر شيءٌ منه عن بلوغه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلن يقصُر عن وجه من الإعرابِ داعٍ إلى الفسحة والإسهاب، إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه، وتتابع من يتبع في القراءة كلَّ جائز رواية ودراية، فإننا نعتقد قوَّة هذا المسمى شاذاً، وأنَّه مما أمر الله تعالى بتقبُّله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيبٌ إليه، ومرضيٌّ من القول لديه. نعم، وأكثر ما فيه أن يكون غيره من المجتمع عندهم عليه أقوى منه إعراباً، وأنهُ قياسيًّا؛ إذ هما جميعاً مرويان مسندان إلى السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ^(٤).

فربية القراءات ثابتة قطعاً، مقدَّمة إجمالاً، وهي جهةٌ مُنفكة عن القراءة بها، قال السيوطي (ت: ٩١١ هـ): "وقد أطبق النَّاسُ على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية، إذ لم تُخالف قياساً معروفاً، بل ولو خالفته يُحتجُّ بها في مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يُجزَّ القياس

(١) هي رواية الديوان، كما في المرجع السابق.

(٢) السيرة النبوية، (١/ ٦٧٤).

(٣) المري: هو الرَّجُلُ المقبولُ في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ. ينظر: لسان العرب، (٢٠/ ١٤٨).

(٤) المحتسب، (١/ ١٠٣).

عليه ..، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة"^(١)، وقال البغدادي (ت: ١٠٩٣ هـ): "فكلامه عز اسمه أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه"^(٢).

وقد جمع ابن هشام مع استشاده بالقراءات توجيهها، كما في قوله: "والسلم أيضاً: الصلح. وفي كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَهْتَبُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]، ويُقرأ: (إلى السلم)^(٣)، وهو ذلك المعنى"، وقال: "وفي كتاب الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ويُقرأ: (في السلم)^(٤)، وهو: الإسلام"^(٥).

ثالثاً: السنة النبوية:

وهي: مطلق آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ): "السنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسنة تفسر القرآن"^(٦). وقد استعملها ابن هشام في تفسيره للغريب مرتين، وذلك يمثل من مجموع شواهد البالغ عددها (٢٠٢) شاهد، ما نسبته: (١٪).

وهذان الموضعان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]: "قال ابن هشام: تَسْفِكُونَ: تُصَبِّون. تقول العرب: سَفَكَ دَمَهُ: أي صَبَّهُ. وَسَفَكَ الزُّقَّ: أي هَرَّاقَه.

(١) فيض نشر الانشراح، (٤١٦/١).

(٢) خزانة الأدب، (٩/١)؛ وينظر: في أصول النحو، للأفغاني، (ص ٤٥)؛ وضوابط الفكر النحوي، للخطيب، (١/٢٩٦).

(٣) قراءة حمزة وشعبة عن عاصم. ينظر: السبعة، لابن مجاهد، (ص ٦٠١).

(٤) قراءة ابن كثير ونافع والكسائي. ينظر: السبعة، لابن مجاهد، (ص ١٨٠).

(٥) السيرة النبوية، (١/٦٧٤).

(٦) طبقات الحنابلة، لأبي يعلى، (١/٢٢٦).

قال الشاعر^(١):

وَكُنَّا إِذَا مَا الضَّيْفُ حَلَّ بِأَرْضِنَا
سَفَكْنَا دِمَاءَ الْبُدْنِ فِي تُرْبَةِ الْحَالِ.

قال ابن هشام: يَعْنِي (بالحال): الطَّيْنُ الَّذِي يُحَالِطُهُ الرَّمْلُ. وهو الذي تقول له العرب: السَّهْلَةُ. وقد جاء في الحديث: «أَنَّ جَبْرِيلَ لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنَ: ﴿ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] أَخَذَ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ وَحَمَّاتِهِ فَضْرَبَ بِهِ وَجْهَ فِرْعَوْنَ»^(٢)، والحال مثل الحمأة^(٣)، وعند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]: "قال ابن هشام: الصَّعِيدُ: الأرض. وجمعُه: صُعْدٌ. قال ذو الرُّمَّةِ يصفُ ظبيًا صغيرًا^(٤):

كَأَنَّهُ بِالضُّحَى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ
دَبَابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومٌ.

وهذا البيت في قصيدة له. والصَّعِيدُ أَيضًا: الطَّرِيقُ. وقد جاء في الحديث: «إِيَاكُمْ وَالْقَعُودَ عَلَى الصُّعَدَاتِ»^(٥) يريدُ الطَّرِيقَ^(٦).

والسنة النبوية أجلُّ ما تثبتُ به اللغة بعد كتاب الله تعالى، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفصحُ العرب قاطبةً، ولا يتقدَّم كلامه في الفصاحة والبيان كلامُ بشرٍ بإجماع^(٧)، قال الشافعي (ت: ٢٠٤هـ): "ولسان العرب أوسعُ الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسانٌ غيرُ نبيٍّ"^(٨).

(١) أقدم من ذكره ابن هشام، ولم ينسبه، وينظر: لسان العرب، (١٩١/١١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (٨٢/٤)، ح (٢٢٠٣)؛ والترمذي في الجامع، (٢٨٧/٥)، ح (٣١٠٧).

(٣) السيرة النبوية، (٥٣٩/١).

(٤) ديوانه، (٣٨٩/١).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، (١٣١/١٨)، ح (١١٥٨٦)؛ وينظر: شرح السنة، للبغوي، (٣٠٥/١٢).

(٦) السيرة النبوية، (٣٠٣/١).

(٧) ينظر: المزهر، (١٦٥/١)؛ وفيض نشر الانشراح، (٤٤٦/١)؛ وفي أصول النحو، (ص ٤٧).

(٨) الرسالة، (ص ٤٢)؛ وينظر: الصَّاحِبِي، (ص ٢٤).

وقد سار على الاحتجاج بحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اللغة والنحو عامة أئمة اللغة، ولا يُعلم عن أحدهم التوقف في ذلك، حتى ظهر بعض علماء اللغة المتأخرين^(١) ومنع من الاستشهاد بالحديث لتصحيح قواعد العربية وأحكامها؛ لبعض العِلل^(٢)، ولم يلتفت الأئمة المحققون إلى ذلك القول، بعد أن بينوا خطأه، بل انعقد إجماعهم العملي على خلافه، قال ابن الطيّب الفاسي (ت: ١١٧٠هـ): "ما رأيت أحداً من الأسيخ المحققين إلا وهو يستدل بالأحاديث على القواعد النحوية والألفاظ اللغوية، ويستنبطون من الأحاديث النبوية الأحكام النحوية والصرفية واللغوية، وغير ذلك من أنواع العلوم اللسانية، كما يستخرجون منها الأحكام الشرعية"^(٣).

وبحسب ما حققته إحدى الباحثات^(٤) فقد بلغ ما استشهد به أئمة النحو الأوائل من الحديث (٨٧) حديثاً شريفاً، و(٢٩) أثراً عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(٥). ولعل من سبب قلة تلك الشواهد بالنسبة إلى غيرها ما نعلمه من تهيئهم من نسبة شيء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون العلم بثبوته، ولم يكن من شأن أهل اللغة الفحص عن ذلك، ولم تظهر مجاميع الحديث المعتمدة، كالصحيحين والسُّنن الأربعة ومسند أحمد إلا بعد استتمام البناء لأصول كلام العرب وقواعده بسنين طويلة^(٦).

(١) أوّل من أظهر هذا القول أبو الحسن ابن الضائع (ت: ٦٨٠هـ)، وتبعه أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ).

(٢) تعرّض لهذه المسألة بشيء من التفصيل السيوطي (ت: ٩١١هـ) في الاقتراح في أصول النحو، (٤٤٦/١)، والبغدادي (ت: ١٠٩٣هـ) في خزنة الأدب، (٩/١)؛ وأوفي من تكلم عنها وأجاد ابن الطيّب الفاسي؛ (ت: ١١٧٠هـ) في كتابه: شرح كفاية المتحفّظ، (ص ٩٦)، وفيض نشر الانشراح، (٤٤٦/١)؛ وفي ضوابط الفكر النحوي، (٣٣٩/١) تحرير جيد لأقوال العلماء، وجمع وافٍ للأبحاث المعاصرة فيها.

(٣) شرح كفاية المتحفّظ، (ص ١٠٠).

(٤) هي د. خديجة الخديشي، في كتابها: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف (ص ٨٨)، وقد جمعت إحصائهما كما ذكره أبو عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ)، والخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ)، وسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، والفراء (ت: ٢٠٧هـ)، والمبرّد (ت: ٢٨٥هـ)، والزجاج (ت: ٣١١هـ)، وغيرهم من أئمة اللغة المتقدمين.

(٥) وينظر: النحاة والحديث النبوي الشريف، (ص ٩٣، ٣٣٥)، ففيهما إحصاءات وشواهد لبناء أئمة اللغة قواعدهما على الحديث النبوي الشريف.

(٦) رجّح بعض الباحثين أن البخاري فرغ من تأليف كتابه الصحيح سنة (٢٣٣هـ)، وذلك بعد أن دوّن النحو في كتاب

وابن هشام كما رأيتَ يقدّم استشهاده بقوله: "وقد جاء في الحديث"، وتلك عادة عامّة أهل اللغة المتقدمين: إيراد الحديث مباشرة في الاستشهاد، دون التقديم بذكر راويه، أو من أخرج عنه^(١)، وذلك أنه في أقلّ أحواله يُعامل معاملة كلام العرب الذي يؤخذ عمّن جاء به من ثقات النّقلة، دون النظر إلى ما سوى ذلك، على ما سيأتي بيّنه في شواهد (لغة العرب) بإذن الله.

رابعاً: أقوال السلف:

ويراد بهم: أهل القرون المفضّلة من الصّحابة والتّابعين وأتباع التّابعين، ممّن التزم الكتاب والسّنة^(٢).

وقد استعمل ابن هشام (ت: ٢١٨ هـ) أقوالهم في تفسيره للغريب في (٩) مواضع^(٣)، وذلك يمثل من مجموع شواهد البالغ عددها (٢٠٢) شاهد، ما نسبته: (٤، ٤ / %).

ومثال ذلك قوله في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]: قال ابن هشام: "أقلامهم: سهامهم، يعني: قد أحهم التي استهموا بها عليها، فخرج قدح زكريّا فضمّها. فيما قال الحسن بن أبي الحسن البصري^(٤)، وقال في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]: "قال ابن هشام: الجبّت عند العرب: ما عبّد من دون الله تبارك وتعالى. والطاغوت: كلُّ ما أضلّ عن الحق. وجمع الجبّت: جبوت. وجمع الطاغوت: طاغيت. قال ابن هشام: وبلغنا عن ابن أبي نجیح^(٦) أنه قال: الجبّت: السّحر.

سيبويه بما يزيد عن نصف قرن. ينظر: ضوابط الفكر النحوي، (١/ ٣٧٠).

(١) تنظر: المراجع السابقة في الاحتجاج بالحديث النبوي في النحو واللغة.

(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم، للنووي، (٦/ ٦٧)؛ وتنبه الرجل العاقل، لابن تيمية، (٢/ ٥٧٧).

(٣) ينظر: السيرة النبوية، (١/ ٥٥، ٣٦٣) (موضعان)، (٥٦٢، ٥٨٠، ٦٧٤)، (٢/ ١٠٧) (موضعان)، (٣٠٣).

(٤) جامع البيان، لابن جرير، (٥/ ٣٥٢).

(٥) السيرة النبوية، (١/ ٥٨٠).

(٦) هو عبد الله بن أبي نجیح يسار المكي. وهو راوي تفسير مجاهد، والأثر في تفسير مجاهد، (١/ ١٦١).

والطاغوت: الشيطان" (١).

وقد نصّ العلماء على أن الصحابة أعلم بالغريب من أهل الغريب، وأن الصواب في قولهم دونهم، ومن ذلك قول ابن جرير (ت: ٣١٠) في تعليقه على قول الراجز (٢):

غُدْوَةٌ حَتَّى دَلَكَّتْ بِرَاحٍ.

"ويروى: بِرَاحٍ. بفتح الباء، فمن روى ذلك (بِرَاحٍ) بكسر الباء فإنه يعني: أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها؛ لينظر ما بقي من غيابها. وهذا تفسير أهل الغريب؛ أبي عبيدة، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني (٣)، وغيرهم. وقد ذكرت في الخبر الذي رويت عن عبد الله بن مسعود أنه قال حين غربت الشمس: "دَلَكَّتْ بِرَاحٍ". يعني: ب(رَاحٍ) مكاناً. ولست أدري هذا التفسير - أعني قوله: بِرَاحٍ مكاناً - من كلام من هو في الإسناد، أو من كلام عبد الله؟ فإن يكن من كلام عبد الله، فلا شك أنه كان أعلم بذلك من أهل الغريب الذين ذكرت قولهم، وأن الصواب في ذلك قوله دون قولهم، وإن لم يكن من كلام عبد الله، فإن أهل العربية كانوا أعلم بذلك منه" (٤)، وقد نبّه ابن جنّي (ت: ٣٩٢هـ) إلى مثل هذا المعنى في قوله عن تأويل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اسْتَعْرَبَ ظَاهِرَهُ: "ينبغي أن يُحْسِنَ الظَّنُّ بَابْنِ عَبَّاسٍ، فيقال: إنّه أعلمُ بلُغَةِ الْقَوْمِ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ عُلَمَائِهِمْ" (٥).

والاستشهاد بأقوال السلف في مسائل اللّغة هو المطابق لأصول الاستدلال عند أهل اللّغة، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): "ويدخل في مادّة الاستعمال العربيّ ما يؤثّر عن بعض السلف

(١) السيرة النبوية، (١/٥٦٢).

(٢) هو في معاني القرآن، للفراء، (٢/١٢٩)؛ ومجاز القرآن، لأبي عبيدة، (١/٣٨٨).

(٣) إسحاق بن مرار الشيباني، أبو عمرو البغدادي، واسع العلم باللّغة والشعر، حافظ للغريب، صنّف: الجيم، والنوادر، ومات سنة (٢٠٦هـ). ينظر: مراتب النحويين، (ص ١١١)؛ بغية الوعاة، (١/٤٣٩).

(٤) جامع البيان، (١٥/٢٨)، وينظر منه: (٧/٦٢٦).

(٥) المحتسب، (٢/٤٠٣).

في فهم معاني بعض الآيات على قوانين استعمالهم^(١)، وإقلال أهل اللغة من الاستشهاد بها هو من جنس إقلالهم النسبي من الاستشهاد بالحديث النبوي^(٢)؛ ولعل من سبب ذلك أيضاً انصراف همّتهم إلى التلقي عن الأعراب، وتتبع القبائل والبوادي؛ لجمع لغات أهلها، وحفظها، وتدوينها، فانشغلوا بذلك عن استخراج مثله من كلام السلف، والذين قد دونت كثيراً من أقوالهم، مع ما لبعض أهل اللغة من الرأي في الأخذ عن المتأخرين من العرب؛ رعايةً للغة القديمة واهتماماً بها^(٣).

وقد أكثر ابن هشام النقل عن الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ)؛ إذ هو بليده، وموضعه من العلم والفصاحة لا يخفى، وبلغت شواهدة عنه ثلثي شواهد أقوال السلف، منها موضعين لم أجدهما عن الحسن (ت: ١١٠ هـ) إلا عند ابن هشام ولم أجدهما عند غيره، وهي:

١ - ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النور: ٢٢]: "ويقال: ولا يأتل أولو الفضل:

ولا يخلّف أولو الفضل. وهو قول الحسن بن أبي الحسن البصري^(٤)، فيما بلغنا عنه^(٥).

٢ - ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]: "وبلغني عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه

كان يقول: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾ [الأنفال: ٦١] للإسلام^(٦)"^(٧).

وهذه الآثار يستفيد منها المفسر في جمعه لأثار السلف، ويعتبر بها، وليست موجودة فيما

(١) التحرير والتنوير، (١/٢٣).

(٢) ينظر: الاستدلال في التفسير، لنايف الزهراني، (ص ٤٢٠).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص ٤٣٢).

(٤) لم أجده عن الحسن بهذا اللفظ، وهو معنى قراءته: (ولا يتأل) كما في القراءات الشاذة، لابن خالويه، (ص ١٠١)، ومقتضى سبب النزول الذي أخرجه عنه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور، (١٠/٧٠٥)، وفيه: أن أبا بكر منع نفقته على رجل من قرابته لما خاض في أمر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحلف ألا ينفق عليه، فنزلت الآية.

(٥) السيرة النبوية، (٢/٣٠٣).

(٦) لم أجده عن الحسن، ويشبهه قول ابن عباس: للطاعة. ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٨/٢٣٥).

(٧) السيرة النبوية، (١/٦٧٤).

جُمع من تفسير الحسن البصري^(١).

وعامة ما نقله ابن هشام من أقوال السلف بلاغات غير مُسندة، حالها حال ما استشهد به من الأحاديث النبوية، وقد سبقت الإشارة هناك إلى وجه ذلك.

خامساً: كلام العرب:

هو: ما تُعبرُّ به العرب عن مقاصدها؛ من ألفاظها، وأساليب معانيها التي تُوردُ بها^(٢). وينقسم إلى: شعر ونثر.

وقد استعمل ابنُ هشام كلامَ العرب في تفسيره لغريب القرآن في (١٦٢) موضعاً، وذلك يمثل من مجموع شواهد البالغ عددها (٢٠٢) شاهد، ما نسبته: (٢، ٨٠٪).

وكان منه (١٤٢) شاهداً شعرياً بنسبة (٧، ٨٧٪)، و(٢٠) شاهداً نثرياً بنسبة (٣، ١٢٪).

ومن أمثلة استشهاده به قوله في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]: "قال ابن هشام: وحدثني يونس بن حبيب النحوي وأبو عبيدة: أن العرب تقول: تمنى، في معنى: قرأ...، قال: وأنشدني أبو عبيدة النحوي^(٣):

تمنى كتاب الله أولَّ ليله
وآخره وافي حمم المقادير.

(١) ينظر: تفسير الحسن البصري، لمحمد عبد الرحيم، (١/٤٠٦)، (٢/١٥٦).

(٢) الخصائص، (١/٨٧)؛ وينظر: تاج العروس، (٣٩/٤٦٢)؛ والمعجم الوسيط، (ص ٨٣١).

(٣) البيت بلا نسبة في عامة كتب اللغة، ينظر: العين، للخليل بن أحمد، (٨/٣٩٠)؛ ومقاييس اللغة، لابن فارس، (٥/٢٧٧)؛ ولسان العرب، لابن منظور، (١٥/٢٩٤).

وأنشدني أيضًا^(١):

تمنى كتاب الله في الليل خاليًا
تمنى داود الزبور على رسل^(٢).

وقوله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبَّهْتَهُ لِمَنِ كُنْتُمْ تُغَلِّبُونَ الْكَلِمَةَ لِلَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]: "قال ابن

هشام: قال أبو عبيدة: نَبَّهْتُ: ندعو باللعنة. قال أعشى بني قيس ابن ثعلبة^(٣):

لا تقعدنَّ وقد أكلتها حطَبًا
نَعُوذُ من شرِّها يومًا ونَبَّهْتُ.

وهذا البيت في قصيدة له. يقول: ندعو باللعنة. وتقول العرب: بهلَّ الله فلانًا. أي: لعنه.

وعليه بهلَّة الله. قال ابن هشام: ويُقال: بهلَّة الله. أي: لعنة الله^(٤).

وكلام العرب أوسع وأشمل مصدرٍ ثبت به اللُّغَةُ، و"لا خلاف بين أئمة العربية في أن

كلام العرب كُلُّه؛ نظمه ونثره يُستدلُّ به على إثبات القواعد العربية مطلقًا؛ من لغةٍ، و صرفٍ،

ونحوٍ، وغير ذلك"^(٥).

ويشمل كلام العرب: الشُّعْرَ والنَّثَرَ. وإنَّما يُحتجُّ منهما "بما ثبت عن الفصحاء الموثوق

بعربيَّتِهِم"^(٦)، ولتحقيق ذلك سار ابن هشام في استشهاده بلغة العرب على أصولٍ علميةٍ

معتبرة، تضمن صححة تلك الشواهد، وسلامة منهج استعمالها في تفسير الغريب، وفيما يأتي

بيانها:

(١) البيت بلا نسبة في عاتة كتب اللغة، ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، للأبباري، (٢/١٥١)؛ والمحكم والمحيط

الأعظم، لابن سيده، (١٠/٥١١)؛ ولسان العرب، لابن منظور، (١٥/٢٩٤).

(٢) السيرة النبوية، (١/٥٣٧). وهذا النقل عن أبي عبيدة ليس في كتابه (مجاز القرآن)، ولا في كتبه المطبوعة.

(٣) ديوانه، (ص ٦١)، وفيه: "نَعُوذُ من شرِّها يومًا ونَبَّهْتُ"، وهو أشبهه بسباق القصيدة.

(٤) السيرة النبوية، (١/٥٨٣).

(٥) شرح كفاية المتحفظ، لابن الطيّب الفاسي، (ص ١٠١).

(٦) الاقتراح في أصول النحو، للسيوطي، (١/٥٢٦)؛ وينظر: لمع الأدلة، لابن الأبباري، (ص ٨١).

أولاً: التزم في من تُؤخذ عنهم اللغة: الثقة والعدالة. فلم يأخذ عن معروف بكذب، أو مجهول لا يُعرف، بل كان يصرح بمن ينقل عنه من أئمة اللغة وحفاظها، كما في قوله: "أخبرني أبو زيد الأنصاري" ^(١)، و"حدثني يونس بن حبيب النحوي" ^(٢)، و"أخبرني أبو عبيدة النحوي" ^(٣).

وقد نصّ العلماء على لزوم ذلك في نقل اللغة، فقال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "إنما تُؤخذ اللغة من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويُتقى المظنون" ^(٤)، وأفرد ابن جنّي (ت: ٣٩٢هـ) باباً في خصائصه بعنوان: (باب في صدق النقلة، وثقة الرواة والحاملة) ^(٥).

وما نقله ابن هشام من الشواهد غير معزو لناقله فليس بقادح في قبوله؛ فإن النقل عن الحجة حجة، لتوفر شرط العدالة، وقد علمت موقع شيوخه إمامة وعدالة، "وقد وقع ذلك لسيبويه كثيراً، يعني به الخليل وغيره، وكان يونس يقول: حدثني الثقة عن العرب. فقيل له: من الثقة؟ قال: أبو زيد. قيل له: فلم لا تُسميه؟ قال: هو حيُّ بعد، فأنا لا أُسميه" ^(٦).

ثانياً: التزم عزو الشواهد إلى قائلها، فقد سمى الشعراء في (١٢٧) شاهداً، ولم يتخلف عن ذلك إلا في (١٥) شاهداً هو في جميعها متفرد بالنقل؛ إذ لم أجدها عند غيره ^(٧).

على أن الجهل بقائل الشاهد لا يضرُّ إذا عُرف ناقله؛ فقد تقرّر عند أهل اللغة أن: المهم في الشاهد الراوي لا القائل؛ لأنه ما بمعرفته يُقبل الشاهد أو يُردّ، وقد اعتمد العلماء ما رواه

(١) السيرة النبوية، (١/٥٦).

(٢) السيرة النبوية، (١/٥٣٧).

(٣) السيرة النبوية، (١/٥٥).

(٤) الصّاحبي، (ص ٦٢) طبعة السيّد صقر.

(٥) الخصائص، (٢/٥٠٢)؛ وينظر: منه، (١/٤١١)؛ ولع الأدلة، للأنباري، (ص ٨٥)؛ والمزهر، للسيوطي، (١/٤٨).

(٦) الاقتراح في أصول النحو، للسيوطي، (١/٦٢٨)؛ وينظر منه، (١/٥٤٤).

(٧) وهذه مواضعها: السيرة النبوية، (١/٥٥، ٨٩، ٣٠٥، ٣١١، ٣٥٩، ٣٦٣ (موضعان)، ٥٣٧ (موضعان)، ٥٣٩، ٥٥٤، ٥٧١،

(٢/١٧٥، ٥٤٥، ٥٤٧).

سيبويه (ت: ١٨٠ هـ) عن العرب مما لا يُعرف قائله؛ ثقةً به، قال البغدادي (ت: ١٠٩٣ هـ):
"الشَّاهدُ المجهولُ قائلُه وتَمَّتْهُ إنْ صدرَ من ثقةٍ يُعتمدُ عليه قُبُل، وإلا فلا، ولهذا كانت
آياتُ سيبويه أصحَّ الشَّواهد، اعتمدَ عليها خلفٌ بعد سلفٍ، مع أنَّ فيها آياتاً عديدةً جهلَ
قائلوها، وما عيبَ بها ناقِلوها، وقد خرجَ كتابُه إلى النَّاسِ والعلماءِ كثيرٌ، والعنايةُ بالعلم
وكيدةٌ، ونُظِرَ فيه وفُتِّش، فما طعن أحدٌ من المُتقدِّمين عليه، ولا ادَّعى أنَّه أتى بشعرٍ مُنكرٍ"^(١).

وكان من أثرِ اهتمام ابن هشام بعزو الشواهد: تفرّده بنسبة جملةٍ منها إلى قائلها، وذلك
في (٦) مواضع، فنسبَ عدداً من الآيات هي عند غيره بلا نسبة، أو خالفه غيره في نسبتها،
وهي:

"قال ابن الزُّبَيْرِ في ذلك"^(٢):

زبانيةٌ غلبَ عِظامُ حُلومِها"^(٣).

مطاعيمُ في المقرئِ مطاعينُ في الوغى

"قال العَبَّسي، واسمُه: عُبَيْد بن وهب"^(٤):

عليٌّ ومَعروفٍي بها غيرُ مُنكرٍ"^(٥).

بأرضِ فِلاةٍ لا يُسَدُّ وصيْدُها

"وأَنشدني أبو عُبَيْدة النَّحوي"^(٦):

وآخرَه وافي حِمَامِ المَقادِرِ"^(٧).

تمنى كتابَ الله أوَّلَ ليلِه

- (١) خزانة الأدب، (١/١٦). وقد بلغت الآيات المجهولة في كتاب سيبويه (٣٤٢) بيتاً، بإحصاء صاحب: "بحوث ومقالات في اللغة" (ص ٩٠)، وبلغ ما عُرِفَتْ نسبته منها (٢٣٣)، والباقي (١٠٩) غيرُ معروفِة النسبة.
- (٢) أورده ابن الأَباري بلا عزو في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، (ص ٤٠٤).
- (٣) السيرة النبوية، (١/٣١٢).
- (٤) نسبة أبو زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب، (ص ١٧)، لزهير، وليس في ديوانه، وأورده ابن قتيبة بلا نسبة في تفسير غريب القرآن، (ص ٢٦٥).
- (٥) السيرة النبوية، (١/٣٠٥).
- (٦) البيت بلا نسبة في عمارة كتب اللغة، ينظر: العين، للخليل بن أحمد، (٨/٣٩٠)، ومقاييس اللغة، لابن فارس، (٥/٢٧٧)، ولسان العرب، لابن منظور، (١٥/٢٩٤). وهذا النقل عن أبي عبيدة ليس في كتابه (حجاز القرآن)، ولا في كتبه المطبوعة.
- (٧) السيرة النبوية، (١/٥٣٧).

"وأشدني أيضاً^(١):"

تمنى كتاب الله في الليل خالياً تمنى داود الزبور على رسل^(٢).

"قال الشاعر^(٣):"

قومٌ إذا سمعوا الصّراخ رأيتهم ما بين ملجمٍ مَهْرِهِ أو سافِعٍ^(٤).

"وقال الراجز^(٥):"

فصيّروا مثل كعصفٍ مأكول^(٦).

ثالثاً: لم يخرج في شواهد عن عصور الاحتجاج، كما لم يستشهد ببنت أحد من المولدين^(٧)، بل كان عامّة من استشهد بأشعارهم من الجاهليين، ثمّ المخضرمين، وختم بابن هرمة (ت: ١٧٦هـ)^(٨) الذي يتوقّف عند طبقته الاحتجاج بالشعر؛ وذلك أن العلماء حصروا زمن الاحتجاج بالمسموع ابتداءً من الجاهلية قبل الإسلام بنحو قرنين من الزمان، وانتهاءً بأواخر القرن الثاني لأهل الأمصار، ويمتدّ إلى نهاية القرن الرابع لأهل البادية^(٩)، قال أبو عبيدة

(١) أي: أبو عبيدة. وهذا النقل عنه ليس في كتابه "مجاز القرآن"، ولا في كتبه المطبوعة. والبيت بلا نسبة في عامّة كتب اللغة، ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، للأبباري، (١٥١/٢)؛ والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، (٥١١/١٠)، ولسان العرب، لابن منظور، (٢٩٤/١٥).

(٢) السيرة النبوية، (٥٣٧/١). وهذا النقل عن أبي عبيدة ليس في كتابه (مجاز القرآن)، ولا في كتبه المطبوعة.

(٣) يُنسب لعمر بن معد يكرب، كما في ديوانه (ص ٢٠٦)، والمتقدمون لا يعزونه كما عند ابن هشام، وتهذيب اللغة، للأزهري، (٦٥/٢)؛ والصّحاح، للجوهري، (١٢٣٠/٣).

(٤) السيرة النبوية، (٣١١/١).

(٥) نسبه صاحب خزنة الأدب، (١٨٩/١٠) لرؤبة بن العجاج.

(٦) السيرة النبوية، (٥٥/١).

(٧) المولّد: هو المحدث من كلّ شيء. ويراد بهم: من جاء بعد زمن الاحتجاج في العربية، فلا يُحتجّ بشيء من كلامهم. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٤٧٠/٣)؛ والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، (٢٤٢/١).

(٨) إبراهيم بن عليّ ابن هرمة القرشيّ المدنيّ، شاعرٌ فصيحٌ مجيدٌ، مات سنة (١٧٦هـ). ينظر: طبقات الشعراء، لابن المعتز (ص ٢٠)؛ والشعر والشعراء، لابن قتيبة، (ص ٧٥٣).

(٩) ينظر: الاحتجاج بالشعر في اللغة، لمحمد جبل، (ص ٨٣)؛ وضوابط الفكر النحوي، للخطيب، (٢٢٢/١).

معمر بن المثنى (ت: ٢١٠ هـ): "افتتح الشعرُ بامرئِ القيس، وختم بابنِ هرمة" (١).

وقد أجمع أهل اللغة على الاحتجاج بكلام الجاهليين والمخضرمين (٢)، وأجمعوا على عدم الاحتجاج بكلام المولدين والمحدثين (٣)، وهم "من جاء بعد عصر المائتين، وأولهم بشار بن بُرد (٤)، وأبو نَواس (٥)" (٦).

وأما الإسلاميون أو المتقدمون "فاختلفوا في الاستدلال بكلامهم، وأطبق المحققون على الاستشهاد به ولم يعبؤوا بالخلاف في ذلك" (٧).

رابعاً: اعتنى بروايات الأبيات، ونبّه إلى اختلافها، وأثر ذلك على صحة الاستشهاد ظاهر؛ فقد يكون الشاهد في رواية دون أخرى، وقد ترجح إحداها على الأخرى.

وقد أشار إلى اختلاف الروايات في (٥) مواضع، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]: "قال ابن هشام: حَصَبُ جَهَنَّمَ: كلُّ ما أوقدت به. قال أبو ذؤيب الهذلي (٨):

فأطفئ ولا توقد ولا تك محضاً
لنار العداة أن تطير شكاتها.

وهذا البيت في أبيات له. ويروى: ولا تك محصياً (٩)، فاختلف الرواية هنا مؤثراً في الاستشهاد بالبيت، إذ الحجة في رواية دون أخرى، وإن قاربتها في المعنى. ومثله في قوله تعالى:

(١) المزهر، (٢/ ٤١١).

(٢) نقل الإجماع ابن الطيب الفاسي في شرح كفاية المتحفظ، (ص ١٠١)؛ وينظر: الخصائص، لابن جني، (١/ ٧٩).

(٣) نقل الإجماع السيوطي في الاقتراح في أصول النحو، (١/ ٦١١)؛ وينظر: خزنة الأدب، للبغدادي، (١/ ٥).

(٤) رأس المحدثين من الشعراء والمقدم فيهم بإجماع الرواة، قتله المهدي سنة ١٦٧ هـ. ينظر: طبقات الشعراء، لابن المعتز (ص ٢١)؛ والأغاني، للأصفهاني، (٣/ ٩٤).

(٥) الحسن بن هانئ، شاعرٌ مجيدٌ مطبوعٌ، (ت: ١٩٥ هـ). طبقات الشعراء، (ص ١٩٣)؛ والشعر والشعراء، (ص ٧٩٦).

(٦) شرح أبيات مغني اللبيب، للبغدادي، (٣/ ٣٩١).

(٧) شرح كفاية المتحفظ، (ص ١٠١)؛ وينظر: الخصائص، لابن جني، (١/ ٧٩)؛ وخزنة الأدب، للبغدادي، (١/ ٧).

(٨) ديوان الهذليين، (١/ ١٦٣).

(٩) السيرة النبوية، (١/ ٣٥٩).

﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا﴾ [الأحزاب: ١٤]: "قال ابن هشام: الأقطار: الجوانب.

وواحدة: قطر. وهي: الأقتار، وواحدة: قتر. قال الفرزدق^(١):

كم من غنى فتح الإله لهم به
والخيل مُقْعِيَةٌ على الأقطارِ.

ويروى: على الأقتار. وهذا البيت في قصيدة له^(٢).

وقد علل أهل اللغة اختلاف روايات الأبيات بجملة من العلل^(٣)؛ والأصل العامُّ عندهم: قبول كلِّ الروايات التي وردت عن العرب والرواة الثقات. فالروايات لا تتدافع، ولا تُردُّ روايةٌ بروايةٍ إذا ثبتتَا عن ثقةٍ إلا لمعنى يقتضيه^(٤)، قال أبو علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ): "إذا اختلفت الروايةُ وكان أحدُ الفريقين أضبطاً، وعضدُ الضبطِ والثبَّتَ القياسُ وموافقةُ الأشباه، كان الأخذُ بما جمع هذين الوصفين أولى وأرجح"^(٥).

ومَّا أنشده ابن هشام مخالفاً فيه روايات الدواوين قوله: "قال عنتر بن عمرو ابن شداد العبسي:

ولربِّ قرْنٍ قد تركتُ مُجَدَّلاً
تمكُّو فريصته كشدقِ الأعلم"^(٦).

وهو في ديوانه برواية الأعلم الشتمري (ت: ٤٧٦هـ)، وكذا في شرح التبريزي (ت: ٥٠٢هـ)

له: "وحليل غانية تركتُ"^(٧)، ومثله قوله: "قال أبو خراش الهذلي:

إلى بيته يأوي الضريك إذا شتا
ومستنبح بالي الدريسين عائل"^(٨).

(١) ديوانه (ص ٢٦٥)، وفيه رواية: "الأقتار".

(٢) السيرة النبوية، (٢/٢٤٦).

(٣) تُنظر في شرح أبيات سيويه، للسيرافي، (٢/٩٦)؛ والاقتراح في أصول النحو، للسيوطي، (١/٦٢٤).

(٤) ينظر: شرح الجمل، لابن عصفور، (ص ٨٦٥)؛ وفيض نشر الانشراح، للفاسي، (١/٥١٦).

(٥) الحجَّة للقراء السبعة، (١/٢٨٩).

(٦) السيرة النبوية، (١/٦٧٠).

(٧) ديوان الفرزدق، (ص ٢٠٧)؛ وشرح التبريزي له، (ص ١٧٠).

(٨) السيرة النبوية، (١/٢٤٢).

وفي ديوان الهذليين: (يا أوي الغريب .. ومهتلك بالي)^(١)، وقال أيضاً: "وأشدني^(٢) لعلقمة بن عبدة، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم:

تسقي مذانب قد مالت عصيفتها
حدورها من أتى الماء مطموم^(٣).

ورواية ديوانه، وشرحه للأعلم الشنتمري (ت: ٤٧٦هـ): "قد زالت عصيفتها"^(٤).

خامساً: تفنن في ذكر معاني الأبيات، وموضوعاتها، ومناسباتها، وعدد أبياتها، وكثر ذلك منه كثرة ظاهرة، وذلك من تمام الاستشهاد بها على الغريب، وفيها خير معونة على إيضاح معاني الشواهد، وبيان مطابقتها للفظ الغريب في الآية، مع ضبط ألفاظها، وتحقيق نسبتها لقائلها.

فكان مما بينه من غريب ألفاظ الشواهد: "هرجت، مسجحا، السنور، الدسر، الأروية، المصدان، الصوى، هوبر، طخفة"^(٥).

ومما بين من موضوعات الأبيات: "يصف ظبياً صغيراً، يرثي أثيلة ابنه، يصف إبلاً، يصف بلدًا، يصف حماراً وحش، يصف ناقته، يصف الحرباء"^(٦).

أمّا ذكر عدد الأبيات فهو سمة عامة في كتابه، تميز بها عن كثير من رواة الغريب وحفاظه، فلا يكاد يدع بيتاً إلا ويذكر بعده: "وهذا البيت في قصيدة له"^(٧)، أو: "وهذا البيت

(١) ديوان الهذليين، (٢/١٤٩).

(٢) السيرة النبوية، (١/٦٧٠).

(٣) يعني أبا عبدة.

(٤) ديوانه (ص ٥٠)؛ وشرحه للأعلم الشنتمري، (ص ٣٥).

(٥) ينظر: السيرة النبوية، (١/٢٦٣، ٥٨١، ٥٦١، ٦٧٠)، (٢/١٠٧، ١١٢، ٢٤٨).

(٦) ينظر: السيرة النبوية، (١/٣٠٣، ٣٠٥، ٥٥٠، ٥٥٧، ٥٦١، ٦٧٤)، (٢/١٧٤).

(٧) ينظر: السيرة النبوية، (١/٥٣٠، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٦٩)، (٢/٢١٦، ٢٤٦، ٣٠٣).

في أبياتٍ له^(١)، أو يحدّد نوع الأبيات فيقول: "وهذا البيت في أرجوزة له"^(٢)، وربّما حدّد عدد أبيات القصيدة فقال: "وهذا البيت في ثلاثة أبياتٍ له"^(٣). وقد زاد فعله ذلك عن (٧٠) مرّة. ومن أمثلة احتفائه بذلك عند قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٦]: "قال ابن هشام"^(٤): قال سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ، وَبَنُو الْحَسْحَاسِ مِنْ بَنِي أَسَدِ بَنِ خَزِيمَةَ^(٥):

وأصبحت الثيرانُ صرعى وأصبحت
نساءُ تميمٍ يبتدرن الصياصيا.
وهذا البيت في قصيدة له.

والصياصي أيضاً: القرون. قال النابغة الجعدي^(٦):

وسادة رهطي حتى بقيت
ت فرداً كصيصة الأعضب.

يقول: أصاب الموت سادة رهطي. وهذا البيت في قصيدة له.

وقال أبو دؤاد الإيادي^(٧):

فدعزنا سحَم الصياصي بأيدي
هن نضح من الكحيل وقار.

(١) ينظر: السيرة النبوية، (١/١٠٦، ٥٢٤، ٥٥٠)، (٢/١١٢، ٣٠٣، ٣٠٤).

(٢) ينظر: السيرة النبوية، (١/٢٧٢، ٣٥٨، ٥٨١)، (٢/١٠٧، ١١٤).

(٣) ينظر: السيرة النبوية، (٢/٥٤٧).

(٤) قال ابن إسحاق (ت: ١٥٠هـ) قبل ذلك: "والصياصي: الحصون والآطام التي كانوا فيها". (٢/٢٤٩).

(٥) أقدم من ذكره ابن هشام، وهو في النكت والعيون، للماوردي، (٤/٣٩٣)؛ وفي ديوان النابغة الجعدي، (ص ١٩٢):

فأصبحت الثيرانُ غرقى وأصبحت نساءُ تميمٍ يلتقطن الصياصيا.

والأصح أنها رواية لبيت سُحَيْمٍ؛ فقد نسبّه له السهيلي في الروض الأنف، (٦/٣٤٠) وقال إنّ: "أحمد بن داود أنشده في كتاب (النبات) له فقال فيه: "يلتقطن الصياصيا"، ولم يقل: "يبتدرن"، ولم أجده فيما وصل إلينا من كتاب "النبات" لأبي حنيفة الدينوري أحمد بن داود (ت: ٢٨٢هـ)".

(٦) ديوانه، (ص ٣١).

(٧) لم أجده عند غير ابن هشام.

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له .

والصَّيَاصِي أَيضًا: الشوك الذي للنساجين . فيما أخبرني أبو عبيدة، وأنشدني^(١) لدريد بن الصَّمَّة الجُشَمِي، جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن^(٢):

نظرتُ إليه والرماحُ تنوُّشُه
كوقع الصَّيَاصِي في النَّسِيجِ الممدِّدِ .

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له "^(٣) .

سادسًا: ومن مظاهر عنايته بالشواهد وتحقيقتها: إكثاره من ذكر أنساب الشعراء، والتعريف بهم، وتمييزهم عند الاشتباه، فقد عرَّف بالشعراء في (٣١) موضعًا، منهم: الأعشى، وأمّية بن أبي الصَّلْت، والنَّابِغَة الجعدي، وأوس بن حجر، نهار بن تَوْسعة، والأجدع، والعجاج، وذو الرِّمَّة، والأخطل، وابن هرمة^(٤) .

سابعًا: تعرَّف في شواهدهِ عَمَّا يُتَأَثَّم منه من المعاني؛ ممَّا تَضَمَّن تنقُّصًا لمسلم، أو ما يُستحيا من ذكره من المعاني النازلة، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه، فقال: "وتاركٌ بعض ما ذكره ابنُ إسحاق في هذا الكتاب ..، وأشعارًا ذكرها لم أرَ أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرفُها، وأشياءَ بعضُها يَشْنَع الحديثُ به، وبعضُ يسوءُ بعضُ الناسِ ذِكرُه"^(٥)، كما ظهر ذلك أيضًا صريحًا في بعض تصرُّفاته في كتابه^(٦) .

(١) ينظر: مجاز القرآن، (١٣٦/٢). والبيتُ فيه: "وما راعني إلا الرماحُ تنوُّشُه".

(٢) ديوانه، (ص ٦٣).

(٣) السيرة النبوية، (٢/٢٤٩).

(٤) ينظر: السيرة النبوية، (١/١٤، ٤٣، ٣٦، ٣٠٩، ٥٦١، ٦٦٣)، (٢/٢٤٨، ٥٤٥).

(٥) السيرة النبوية، (١/٤).

(٦) ينظر: السيرة النبوية، (١/٢٦٨، ٣٦١، ٤١٣، ٥٦٧)، (٢/١١، ٣٢).

وهذا وإن كان مذهباً اختاره ابن هشام وسار عليه، غير أن عامة العلماء من أهل اللغة والغريب والتفسير وغيرهم على أنه: لا يُلتفتُ إلى ما في الشاهد من المعاني النازلة وما يُستحيا من ذكره؛ لأنَّ الغرض من إيرادها معرفة وجه كلام العرب، وما أرادوه من المعاني، دون ما سوى ذلك من قبيح الألفاظ والأغراض، وفي ذلك يقول الجرجاني (ت: ٤٧١هـ): "راوي الشعر حاكٍ، وليس على الحاكي عيب، ولا عليه تَبعة، إذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصرَ باطلاً، أو يسوءَ مسلماً، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار. فانظر إلى الغرض الذي روي له الشعر، ومن أجله أُريد، وله دُونَ ..، وقد استشهد العلماء لغريب القرآن وإعرابه بالأبيات فيها الفحش، وفيها ذكر الفعل القبيح، ثم لم يعبهم ذلك؛ إذ كانوا لم يقصدوا إلى ذلك الفحش ولم يريدوه، ولم يرووا الشعر من أجله" (١)، وقال الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "وقد ذمَّ العلماءُ جريراً والفرزدق في تهاجيها، ولم يذموا من استشهد بذلك على إعرابٍ وغيره من علم اللسان" (٢).

كما أن في ترك مثل تلك الشواهد فوتٌ ذخيرةٍ وافرةٍ من ألفاظ العرب وأساليب كلامها، وما يتبع ذلك من أحوالها، قال العسكري (ت: ٣٩٥هـ): "على أن العلماء لو تركوا رواية سخيِّ الشعر لسقطت عنهم فوائدٌ كثيرةٌ، ومحاسنٌ جمَّةٌ موفورةٌ، في مثل شعر الفرزدق وجريير والبعيث والأخطل، وغيرهم" (٣).

ثامناً: من جليل ما تميّز به ابن هشام فيما أورده من شواهد غريب القرآن: انفراده بذكر شواهد لم تنقل عن غيره. فقد وقفت له على (٢١) شاهداً لم أجد لها عند غيره، وهذا سردها:

١ - "قال الشاعر:

يا سَمِيَّ النَّبِيِّ أَصْبَحْتَ لِلدِّيِّ

نِ قِوَامًا وَلِلْإِمَامِ ظَهِيْرًا" (٤).

(١) دلائل الإعجاز، (ص ١٢).

(٢) روح المعاني، (١٩/٢٠١).

(٣) ديوان المعاني، (١/٤٣١).

(٤) السيرة النبوية، (١/٥٧١).

٢- "قال الشاعر:

منها الكلام ورباني أخبار^(١).

لو كنت مُرْتَهَنًا فِي الْقَوْسِ أَفْتَنَنِي

٣- "قال أبو الأَخْزَرِ الحِمَّانِي، واسمه قُتَيْبَةُ:

يَجْهَرُ أَجْوَافَ المِياهِ السُّدَمِ^(٢).

٤- "قال الشاعر:

ثُمَّ عَلَّ المُنُونِ بَعْدَ النَّهَالِ^(٣).

شَابَ بِالماءِ مِنْهُ مُهَلًّا كَرِيهًا

٥- "قال الشاعر:

يَشْوِي الوجوهَ فَهُوَ فِي بطنه صِهْرُ^(٤).

يَسْقِيهِ ربي حَمِيمَ المَهْلِ يَجْرَعُهُ

٦- "قال الشاعر:

وما كانَ لولا حَضًّا النارِ يَهْتَدِي^(٥).

حَضًّا تُلُه ناري فأبصرَ ضَوْءَها

٧- "قال الشاعر:

والحامياتُ ظهورَها والسُّيَّبُ^(٦).

حوَلِ الوصائلِ فِي شُرَيْفِ حِقَّةٍ

٨- "قال الكُمَيْتِ بنِ زِيدٍ:

فما عرفوا الدَّبِيرَ مِنَ القَبِيلِ^(٧).

تَفَرَّقَتِ الأُمورُ بِوَجْهَتَيْهِم

(١) السيرة النبوية، (١/ ٥٥٤).

(٢) السيرة النبوية، (١/ ٥٣٤).

(٣) السيرة النبوية، (١/ ٣٦٣).

(٤) السيرة النبوية، (١/ ٣٦٣).

(٥) نقله أبو سعيد السكّري (ت: ٢٧٥هـ)، في شرح أشعار الهذليين، (١/ ٢٢٣)، عن ابن هشام (ت: ٢١٨هـ)، وقد وقع فيه تصحيف، وصوابه ما أورده ابن هشام (ت: ٢١٨هـ).

(٦) السيرة النبوية، (١/ ٨٩).

(٧) السيرة النبوية، (١/ ٣١٠).

٩- "قال أمية بن أبي الصلت:

فما أنابوا لسلّم حين تُنذرهم
رُسلُ الإله وما كانوا له عَصدا" (١).

١٠- "قال أمية بن أبي الصلت:

حوَل شياطينِهِم أبابيلُ رَبِّي
حَوَن شَدَّوَا سَنَوْرًا مَدَسُورًا" (٢).

١١- "قال الشاعر وهو أبو الأخرز الحِماني، من تميم:

دَسْرًا بِأَطْرَافِ القَنَا المَقُومِ" (٣).

١٢- "قال الشاعر:

فقلْتُ لها لا تجزعي أُمَّ مالِكٍ
على ابْنَيْكَ إنَّ عبدٌ لئيمٌ شرَّاهُما" (٤).

١٣- "قال أبو زبيد الطائي، واسمه حرملة بن المنذر:

مُسْنَفَاتٌ كَأَتَّهَنَ قَنَا الهِنْدِ
دِ لِطُولِ الوَجيفِ جَدَبِ المَرُودِ" (٥).

١٤- "قال الفرزدق (٦):

وَإِذْ نَحَبَتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَيْنَا
على النَّحْبِ أعطى لِلجَزِيلِ وَأفْضَلُ" (٧).

١٥- "قال مالك بن نويرة اليربوعي:

وَمَا لِي نَحَبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنِّي
تَلَمَّسْتُ مَا تَبَغِي مِنَ الشُّدْنِ الشُّجْرِ" (٨).

(١) السيرة النبوية، (١/ ٦٧٤).

(٢) السيرة النبوية، (٢/ ١١٢).

(٣) السيرة النبوية، (٢/ ١١٢).

(٤) السيرة النبوية، (٢/ ١٧٥).

(٥) السيرة النبوية، (٢/ ١٩٣).

(٦) ليس في ديوان الفرزدق طبعة علي فاعور، ولا طبعة دار بيروت، ولا في شرح ديوانه لإيليا الحاوي.

(٧) السيرة النبوية، (٢/ ٢٤٨).

(٨) السيرة النبوية، (٢/ ٢٤٨).

١٦ - "قال أبو دؤاد الإيادي:

فدَعَرْنَا سُحْمَ الصَّيَاصِي بِأَيْدِيهِ
هَنَّا نَضْحُ مِنَ الكُحَيْلِ وَقَارٌ"^(١).

١٧ - "قال الشاعر:

فلا إلهَ مِنَ الآلَالِ بَيْنِي
وبَيْنَكُمْ فلا تَأْتُنَّ جُهْدًا"^(٢).

١٨ - "قال الأجدع بن مالك الهمداني، وهو أبو مسروق بن الأجدع الفقيه:

وكان علينا ذِمَّةٌ أن تُجَاوِزُوا
مِنَ الأَرْضِ مَعْرُوفًا إِلَيْنَا وَمُنْكَرًا"^(٣).

١٩ - "قال حسان بن ثابت^(٤):

هَمَزْتُكَ فَاخْتَضَعْتُ لُدْلُ نَفْسِي
بِقَافِيَةِ تَأَجَّجٍ كَالشُّوَاطِ"^(٥).

٢٠ - "قال الشاعر:

واعلَمَ بِأَنَّكَ قد جُعِلْتَ وَلِيَجَّةً
ساقوا إِلَيْكَ الحُتْفَ غَيْرَ مَشُوبٍ"^(٦).

٢١ - "قال حبيب بن خدرَةَ الخارجي، أحدُ بني هلال بن عامر بن صعصعة^(٧):

يا طَيْبُ إنا في مَعْشَرٍ ذَهَبَتْ
مَسْعَاتُهُمْ فِي التَّبَارِ وَالتَّبَبِ"^(٨).

(١) السيرة النبوية، (٢/٢٤٩).

(٢) السيرة النبوية، (٢/٥٤٥).

(٣) السيرة النبوية، (٢/٥٤٥).

(٤) في ديوان حسان، (ص ١٥٣) قصيدة يُشبه أن يكون هذا البيت منها.

(٥) السيرة النبوية، (١/٣٥٦).

(٦) السيرة النبوية، (٢/٥٤٧).

(٧) هذا مما فات د. إحسان عباس جمعه من شعر حبيب بن خدرَةَ في شعر الخوارج، (ص ٢١٠).

(٨) السيرة النبوية، (١/٣٥٢).

تاسعاً: ومما تفرّد به ابن هشام أيضاً: سَبَقَهُ في ذكر شواهد غريب القرآن ونقل من بعده عنه. وقد وقفت له من هذا على (٩) شواهد هو أقدم من ذكرها، ويغلب على الظن أنه المصدر فيها، وهذا بيانها:

١ - "قال الكُميت^(١):

قد تبوّأت مَضَجَعاً^(٢).

ليتني كُنْتُ قبله

٢ - "قال أمية بن أبي الصلت الثقفي^(٣):

وسجا الليل بالظلام البهيم^(٤).

إذ أتى موهنًا وقد نام صحبي

٣ - "قال الشاعر^(٥):

حتى أبيعوا وخَلَّوْا فَجْوَةَ الدارِ^(٦).

ألْبَسْتَ قومَكَ مَخْزَاةً وَمَنْقَصَةً

٤ - "قال تميم بن أبي مُقبل، أحد بني عامر بن صعصعة^(٧): مَذَاوَيْدٌ بِالْبَيْضِ الْحَدِيثِ صِقَالُهَا

عَلَى الرَّكْبِ أحيانًا إِذَا الرَّكْبُ أَوْجَفُوا^(٨).

٥ - "وقال صخر بن عبد الله الهذلي، وهو صخر الغي^(٩):

وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرٌ زَبَانِيَةٌ^(١٠).

(١) ينظر: المنتخب من كلام العرب، للهنائي، (ص ٦٨١)؛ وجمهرة اللغة، لابن دريد، (٢/ ١٠٩٤).

(٢) السيرة النبوية، (٢/ ١٠٦).

(٣) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، للأبباري، (١/ ٣٣٤).

(٤) السيرة النبوية، (١/ ٢٤٢).

(٥) أنشده ابن بري بلا نسبة، ينظر: لسان العرب، (١٥/ ١٤٨).

(٦) السيرة النبوية، (١/ ٣٠٥).

(٧) ينظر: أساس البلاغة، للزخشي، (١/ ٣٢٠).

(٨) السيرة النبوية، (٢/ ١٩٣).

(٩) ينظر: شرح أشعار الهذليين، للسكري، (١/ ٢٨٠).

(١٠) السيرة النبوية، (١/ ٣١٢).

٦- "وقد قال الحطيم التميمي في الجاهلية^(١):

زَيْمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زَيْدٌ فِي عَرَضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ"^(٢).

٧- "قال الشاعر^(٣):

وَكُنَّا إِذَا مَا الضَّيْفُ حَلَّ بِأَرْضِنَا سَفَكْنَا دِمَاءَ الْبُدْنِ فِي تُرْبَةِ الْحَالِ"^(٤).

٨- "وقال نهار بن توسعة، أحد بني تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي

بن بكر بن وائل. قال ابن هشام: هؤلاء موال بني حنيفة^(٥):

وَنَجَّى يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ رَكُضٌ دِرَاكٌ بَعْدَ مَا وَقَعَ اللَّوَاءُ

وَلَوْ أَدْرَكَنْهُ لَقَضَّيْنِ نَحْبًا بِهِ وَلِكُلِّ مُحْطَاةٍ وَقَاءُ"^(٦).

٩- "قال سحيم عبد بني الحسحاس، وبنو الحسحاس من بني أسد بن خزيمه^(٧):

وَأَصْبَحَتِ الثَّيْرَانُ صَّرْعَى وَأَصْبَحَتْ نِسَاءُ تَمِيمٍ يَبْتَدِرْنَ الصَّيَاصِيَا"^(٨).



(١) ينظر: لسان العرب، (٢٧٧/١٢).

(٢) السيرة النبوية، (٣٦١/١).

(٣) ينظر: لسان العرب، (١٩١/١١).

(٤) السيرة النبوية، (٥٣٩/١).

(٥) ينظر: المعارف، لابن قتيبة، (ص٣٩٦)؛ وأنساب الأشراف، للبلاذري، (٦/٢٩٢).

(٦) السيرة النبوية، (٢/٢٤٨).

(٧) أورده الماوردي في النكت والعيون، (٤/٣٩٣). وفي ديوان النابغة الجعدي، (ص١٩٢):

فَأَصْبَحَتِ الثَّيْرَانُ غَرْقَى وَأَصْبَحَتْ نِسَاءُ تَمِيمٍ يَلْتَقِطْنَ الصَّيَاصِيَا.

والأصح أنها رواية لبيت سحيم؛ فقد نسبته له السهيلي في الروض الأنف، (٦/٣٤٠) وقال إن: "أحمد بن داود أنشده في

كتاب (النبات) له فقال فيه: (يلتقطن الصياصيا)، ولم يقل: (يبتدرن)، ولم أجده فيما وصل إلينا من كتاب (النبات) لأبي

حنيفة الدينوري أحمد بن داود، (ت: ٢٨٢هـ).

(٨) السيرة النبوية، (٢/٢٤٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي يَسِّرُ تمام هذا البحث، وأسأله مزيد توفيقه، وقد أثمر من النتائج الآتي:

١- برزت إمامة ابن هشام إضافةً إلى (علم السيرة) في ثلاثة أمور: علمه بغريب اللغة، وحفظه لشواهدا، ومعرفة بالأنساب.

٢- أضاف ابن هشام إلى سيرة ابن إسحاق علمًا كثيرًا من غريب اللغة وشواهدا.

٣- فسّر ابن هشام في كتابه (١١١) لفظة من ألفاظ غريب القرآن الكريم.

٤- استشهد عليها بـ (٢٠٢) شاهدًا، جاءت موزعةً على الآتي:

• (٢٧) شاهدًا من القرآن الكريم بنسبة (٤, ١٣٪).

• (٢) شاهدان من القراءات بنسبة (١٪).

• (٢) شاهدان من السنة النبوية بنسبة (١٪).

• (٩) شواهد من أقوال السلف بنسبة (٤, ٤٪).

• (١٦٢) شاهدًا من كلام العرب بنسبة (٢, ٨٠٪)، وكان منها:

من الشعر (١٤٢) بنسبة (٧, ٨٧٪)، ومن النثر (٢٠) بنسبة (٣, ١٢٪).

٥- أكثر النقل عن أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠)، وله عنه نقول ليست في كتبه المطبوعة.

٦- سار ابن هشام في تحديد من تُؤخذ عنهم اللغة، وعزو الشواهد، والتزام عصور

الاحتجاج، على الأصول المشهورة لأهل اللغة، والمعتبرة عندهم قبله وبعده.

٧- اعتنى بروايات الآيات، وتفنّن في ذكر معانيها، وموضوعاتها، ومناسباتها، وعدد

أبياتها، وأكثر من ذكر أنساب الشعراء، والتعريف بهم.

٨- تعفّف في شواهدہ عمّا يُستحيا منه من المعاني، وذلك مذهبٌ يختار أكثر أهل اللغة خلافه.

٩- انفراد بذكر شواهد لم تُنقل عن غيره، وقد بلغت (٢١) شاهداً لم أجدّها عند غيره.

١٠- ومّا تفرّد به سبقه في ذكر شواهد غريب القرآن ونقل من بعده عنه، وله من هذا (٩) شواهد هو أقدم من ذكرها، ويغلب على الظنّ أنه المصدر فيها.

ومّا يوصى به في ختام هذا البحث:

١- متابعة استخراج (غريب القرآن) وشواهدہ من بطون كتب أئمة اللغة المبرزين الذين يرجع إليهم في علم الغريب وأشعار العرب.

٢- تخصيص الشواهد الشعرية عند ابن هشام بدراسة مفردة؛ لما له من التميّز في هذا الباب والتفرّد فيه.

وبالله تعالى التوفيق، وهو المسؤول أن يعيننا على السير في أقوم طريق، والحمد لله رب العالمين.



المصادر والمراجع

١. أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
٢. الأصمعيات، للأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت: ٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف - مصر، ط ٧، ١٩٩٣م.
٣. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي (ت: ٣٥٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، وآخرون، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.
٤. الإملاء المختصر في شرح غريب السير، لأبي ذر الخشني مصعب بن محمد (أبي بكر) بن مسعود الخشني الجياني الأندلسي، أبو ذر، ويعرف كأبيه، بابن أبي الركب (ت: ٦٠٤هـ)، تحقيق: بولس برونله، دار الكتب العلمية - بيروت.
٥. إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر - القاهرة، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٦. أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورفيقه، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.
٧. بحوث ومقالات في اللغة، لرمضان عبد التواب (ت: ١٤٢٢هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٣، ١٤١٥هـ.
٨. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ.

٩. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: ١٤٠٣ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٠. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار عالم الكتب، ١٤٢٤ هـ.
١١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - صيدا.
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥ هـ.
١٣. تاريخ الإسلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: عمر التدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٢، ١٤١٣ هـ.
١٤. تاريخ ابن يونس المصري، لعبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي، أبو سعيد (ت: ٣٤٧ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
١٥. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، نشر الدار التونسية.
١٦. تفسير الحسن البصري، لمحمد عبد الرحيم، دار الحديث، القاهرة.
١٧. تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المعروف بابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، ط ٣، ١٤١٩ هـ.
١٨. تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤ هـ) تحقيق: محمد عبد السلام، دار الفكر الإسلامي الحديثة - مصر، ط ١، ١٤١٠ هـ.

١٩. تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي محمد العمران، ومحمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٥هـ.
٢٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ.
٢١. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م.
٢٢. التيجان في ملوك حمير، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - بلكنو الهند، ط ١، ١٣٤٧هـ.
٢٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: عبد المحسن التركي، دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٤. جامع الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ.
٢٥. جمال القراء وكمال الإقراء، لعلي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: مروان العطية، ورفيقه، دار المأمون للتراث - دمشق، ط ١، ١٤١٨هـ.
٢٦. جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: علي البجادي، نهضة مصر للطباعة.
٢٧. الاحتجاج بالشعر في اللغة - الواقع ودلالاته، لمحمد حسن جبل، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٩٨٦م.

٢٨. الحجّة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجايي، دار المأمون - دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ.
٢٩. الاختيارين المفضليات والأصمعيات، لعلي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر (ت: ٣١٥هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
٣٠. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٤، ١٤١٨هـ.
٣١. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصل (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
٣٢. خلق أفعال العباد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: أسامة محمد الجمال، مكتبة أبو بكر الصديق، ط ١، ١٤٢٣هـ.
٣٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت.
٣٤. دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة، ط ٣، ١٤١٣هـ.
٣٥. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، لميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير (الأعشى الكبير)، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز.
٣٦. ديوان حسان بن ثابت، لحسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق: وليد عرفات، دار صادر - بيروت، ٢٠٠٦م.

٣٧. ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي برواية ثعلب، لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت: ٢٣١هـ) تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان - جدة، ط ١، ١٤٠٢هـ.
٣٨. ديوان زهير بن أبي سلمى، لزهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٣٩. ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلام الشتمري، للأعلم الشتمري يوسف بن سليمان بن عيسى الشتمري الأندلسي (ت: ٤٧٦هـ)، تحقيق: درية الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠م.
٤٠. ديوان علقمة بن عبدة، لعلقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم، تحقيق: سعيد نسيب مكارم، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
٤١. ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي، لعمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي (ت: ٢١هـ)، تحقيق: مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية - دمشق، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
٤٢. ديوان عنتر، لعنتر بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد العبيسي، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ.
٤٣. ديوان الفرزدق، لهمام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي أبو فراس الشهير بالفرزدق، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ. وطبعة دار بيروت.
٤٤. ديوان المعاني، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: أحمد سليم غانم، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٤هـ.
٤٥. ديوان النابغة الجعدي، لقيس بن عبد الله بن عُدس بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلي، تحقيق: واضح الصمد، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

٤٦. ديوان الهذليين، للشعراء الهذليون، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، ١٣٨٥ هـ.
٤٧. الرسالة، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي (ت: ٢٠٤ هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي - مصر، ط ١، ١٣٥٨ هـ.
٤٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: ١٢٧٠ هـ)، تحقيق: محمد الأمد، وعمر عبد السلام، إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
٤٩. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، ط ١، ١٤١٠ هـ.
٥٠. الزاهر في معاني كلمات الناس، لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨ هـ)، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٥١. السبعة، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤ هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط ٢، ١٤٠٠ هـ.
٥٢. الاستدلال في التفسير، لنايف بن سعيد الزهراني، مركز تفسير للدراسات القرآنية - الرياض، ط ٢، ١٤٣٦ هـ.
٥٣. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٣، ١٤٠٥ هـ.
٥٤. شرح أبيات سيبويه، ليوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي (ت: ٣٨٥ هـ)، تحقيق: محمد الرّيح هاشم، دار الجيل - بيروت، ١٤١٦ هـ.

٥٥. شرح أبيات مغني اللبيب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف دقاق، دار الثقافة العربية - دمشق، ط ٢، ١٤١٠ هـ.
٥٦. شرح أشعار الهذليين، للحسن بن الحسين أبو سعيد السكري، تحقيق: عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة - القاهرة.
٥٧. شرح الجمل، علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (ت: ٦٦٩ هـ)، تحقيق: فواز الشعار، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩ هـ.
٥٨. شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، للأعلم الشنتمري يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي (ت: ٤٧٦ هـ)، تحقيق: حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ.
٥٩. شرح ديوان عنتر، لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي وشهرته الخطيب التبريزي (ت: ٥٠٢ هـ)، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٦٠. شرح ديوان الفرزدق، لإيليا الحاوي (المحقق)، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط ١، ١٩٨٣ م.
٦١. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لإحسان عباس (المقدم والمحقق)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢ م.
٦٢. شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي - دمشق، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
٦٣. شرح صحيح مسلم، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦ هـ)، دار الخير - بيروت، ط ٣، ١٤١٦ هـ.
٦٤. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت: ٣٢٨ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف.

٦٥. شرح كفاية المتحفظ، لأبي عبد الله محمد بن الطيب الصميلي الشرقي الفاسي الإمام اللغوي الشهير بابن الطيب الشرقي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار العلوم - الرياض، ط ١، ١٤٠٣هـ.
٦٦. شعر الخوارج، إحسان عباس (ت: ١٤٢٤هـ)، دار الثقافة - بيروت، ط ٢، ١٩٧٤م.
٦٧. الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف - القاهرة.
٦٨. الصّاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ. وطبعة: السيّد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة.
٦٩. الصّحاح، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ.
٧٠. ضوابط الفكر النّحويّ، لمحمد عجاج الخطيب، دار البصائر - القاهرة.
٧١. طبقات الحنابلة، لأبي الحسين ابن أبي يعلى محمد بن محمد (ت: ٥٢٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.
٧٢. طبقات الشعراء، لعبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (ت: ٢٩٦هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف - مصر، ط ٣.
٧٣. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (ت: ٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة.
٧٤. طبقات النحويين واللغويين، لمحمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت: ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر، ١٩٧٦م.

٧٥. العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي ورفيقه، دار ومكتبة الهلال.
٧٦. غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٣٩٨هـ.
٧٧. في أصول النحو، لسعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٧هـ.
٧٨. فيض نشر الانشراح، لأبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي، دار البحوث للدراسات الإسلامية - دبي، ط ٢، ١٤٢٣هـ.
٧٩. الاقتراح في أصول النحو، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، مطبوع مع شرحه: فيض نشر الانشراح، لابن الطيب الفاسي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي، ط ٢، ١٤٢٣هـ.
٨٠. القراءات الشاذة، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: ٣٧٠هـ)، دار الكندي - اربد، الأردن، ٢٠٠٢م.
٨١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٨٢. لطائف الإشارات لفنون القراءات، لشهاب الدين ابى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ)، تحقيق: عامر السيد، ورفيقه، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مطابع الأهرام - مصر، ١٣٩٢هـ.
٨٣. لمع الأدلة في النحو، لعبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ١٣٧٧هـ.

٨٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨ هـ)، مؤسسة الخافقين - دمشق، ط ٢، ١٤٠٢ هـ.
٨٥. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٣٨١ هـ.
٨٦. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ.
٨٧. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١ هـ.
٨٨. مراتب النحويين، لعبد الواحد بن علي الحلبي أبي الطيب اللغوي (ت: ٣٥١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
٨٩. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨ هـ.
٩٠. مسند أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١ هـ) مؤسسة قرطبة - القاهرة، وطبعة: دار المعارف - القاهرة، ط ١، تحقيق: أحمد شاكر.
٩١. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، لناصر الدين محمد أحمد جميل الأسد، دار المعارف - مصر، ط ٧، ١٩٨٨ م.
٩٢. المعارف، لابن قتيبة، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ) تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٢ م.

٩٣. المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت: ١٦٨هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، ورفيقه، دار المعارف - القاهرة، ط ٦.
٩٤. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٩٥. المقفى الكبير، لأحمد بن علي المقرئ المعروف باسم تقي الدين المقرئ (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٢٧هـ.
٩٦. المنتخب من كلام العرب، لعلي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ "كراع النمل" (ت: بعد ٣٠٩هـ)، تحقيق: محمد العمري، معهد البحوث بجامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٩٧. منتهى الطلب من أشعار العرب، لمحمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: نبيل طريفي، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
٩٨. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد - مكة، ط ١، ١٤١٩هـ.
٩٩. موسوعة التفسير المأثور، لمركز المعلومات والدراسات القرآنية، معهد الإمام الشاطبي - جدة، ط ١، ١٤٣٩هـ.
١٠٠. موسوعة الشعر العربي، لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإصدار الإلكتروني الأول، ٢٠٠٩م.
١٠١. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، لخديجة الحديشي، دار الرشيد، ١٩٨١م.

١٠٢. النبات، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت: ٢٨٢هـ)، تحقيق: برنهارد لفين، فرانز شتاير - فيسبادن، ١٣٩٤هـ.
١٠٣. النُّحاة والحديث النبوي الشريف، لحسن موسى الشاعر، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٨٠م.
١٠٤. النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهرير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٠٥. الوافي بالوفيات، لصلاح الدين أبو الصِّفاء خليل بن أيك بن عبد الله الألبكي الفاري الصَّفديّ الدَّمشقيّ الشَّافعيّ (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط ورفيقه، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ.



صلى الله
عليه
وسلم

مسيرة تغير المفهوم الغربي لسيرة النبي بين العصور الوسطى والتاريخ الحديث (دراسة تحليلية للأسباب وتأثيرها)

د. إبراهيم بن خليل مظهر

الأستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

ibrahim_mazhar@hotmail.com

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

ملخص البحث

موضوع البحث:

مسيرة تغير المفهوم الغربي لسيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين العصور الوسطى والتاريخ الحديث دراسة تحليلية للأسباب وتأثيرها.

هدف البحث:

الوقوف على أسباب تغير وتطور مسيرة المفهوم الغربي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته في التاريخ الحديث .

مشكلة البحث:

ما الأسباب التي أسهمت في مسيرة التطور والتغير الغربي في موقفه من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته؟

نتائج البحث:

- 1- التأكيد على توظيف أوعية النشر العلمية والثقافية المؤثرة في الغرب والعالم بشكل عام في نشر الصورة الصحيحة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته باللغات العالمية.
- 2- تفعيل المواقف الإيجابية التي وقفها كبار كتاب الغرب ومفكره في نقد مواقف موروثات الكراهية والتطرف الغربية، وذلك بترجمة مؤلفاتهم، ونشر أقوالهم في مختلف منابر الحوار العالمية.

الكلمات الدالة (المفتاحية):

الغرب - الاستشراق - السيرة النبوية - العصور الوسطى.



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

المقدمة

تعدُّ معرفة سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدى غير المسلم عاملاً مهماً في فهم الإسلام والوقوف على تاريخه وأحكامه ومبادئه والواقع الاجتماعي للمجتمع المسلم، وبالتالي تتضح لديه معالم فكر الإسلام وأسسهِ وحضارته.

ولسيرة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهمية عالمية، فهي ليست مقصورة على المسلمين فقط، وذلك لسببين رئيسيين:

أولاً: لكونه خاتم الأنبياء والمرسلين فهو آخر صلة للأرض بالسماء في تلقي الوحي ودعوته، ولكون سيرته تأكيد وتجديد لدعوة إخوانه من الأنبياء السابقين في إفراد الله تعالى بالعبودية.

والسبب الثاني: هو ما أسسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحقق لأمته من بعده من حضارة إنسانية ملهمة، ذات تأثير بالغ في مسيرة الإنسان فكراً وحضارة.

وهذا التأثير وهذه الفاعلية العالمية جعلت مسألة سيرة هذا النبي العظيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قضية محورية ومسألة ذات أولوية وأهمية بالغة لدى الرأي العالمي والموقف الغربي تحديداً، إلا أن هذا الموقف لم يكن ثابتاً وإنما طرأت عليه العديد من المتغيرات.

فالعرب قبل التاريخ الحديث وفي أزمنة العصور الوسطى تحديداً وقف موقفاً عدائياً بحثاً من سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه، وقد أسهمت عوامل مختلفة في بناء وصناعة المفهوم الغربي لسيرته حتى يقف منها هذا الموقف العدائي البحث كعامل الاختلاف العقدي وما نتج عنه من اختلاف فكري متشعب وبالغ التعقيد، وعامل الكراهية والحقد لدى كثير من رجالات الكنيسة حينها، إضافة إلى أن رجالات الكنيسة وجدوا في هذا الموقف مصالِح ومكتسبات

متعددة الأوجه، ولعوامل أخرى رسخت موقف العدائية والكرهية في الذهنية الغربية.

لكن مع مرور الوقت وبتتبع سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكتابات الغربية من بداية التاريخ الغربي الحديث وحتى عصرنا هذا نجد تغيرا ملحوظا في المعرفة الغربية بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وهذا التغير وإن كان متفاوتا داخل النطاق الجغرافي الغربي الواسع ومتباينا بين العقول والمراكز البحثية الغربية إلا أنه بشكل عام نجد أن الموقف العدائي القديم قلت حدته، بل ظهرت العديد من الآراء والأقوال في الغرب التي دعت إلى مراجعة وتصحيح المواقف السابقة، ومنهم من نقد الموقف الذي صنعه أحقاد كنيسة العصور الوسطى، وبهذه المتغيرات نجد أن الغرب قد اتجه في كثير من الحالات نحو نوع من التقارب مع المفهوم الإسلامي لسيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونظرة أو مقارنة بسيطة بين الكتابات الغربية لسيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أزمنة العصور الوسطى والكتابات في التاريخ الغربي الحديث متتبعين التسلسل الزمني للكتاب والباحثين في العصور الوسطى والتاريخ الحديث خير شاهد على هذا التغير والتطور.

والتغير والتطور وتبدل المواقف وتعديل القناعات إنما هو أمر طبيعي في مسيرة الفكر البشري على مدى تاريخه الطويل، بل يكاد أن يكون أمرا فطريا يعكس الإنسان من خلاله طبيعة الحياة في هذا الكون التي لا تستقر على حال، من لون الشجر الذي يتبدل وفق تعاقب الفصول إلى الأرض الجرز الميتة يسوق خالقها إليها الماء فتضج بألوان الحياة، يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

هذا البحث إنما هو إجابة عن سؤال جوهري يتمحور حول ما هي الأسباب التي

أسهمت في التطور والتغير الغربي في موقفه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته؟

وسوف أتوجه في هذا البحث للوقوف على أسباب هذا التطور مستقرنا الشواهد والحوادث والمتغيرات التي كان لها الدور الفاعل في تطور المفهوم الغربي، ومستنطقا الغرب نفسه، فتفسيره وتعليله لأسباب وعوامل التطور له أهمية بالغة كونهم الأكثر دراية بحالهم، إذ كما قيل: أهل مكة أدرى بشعابها.

ويلحظ المتابع للفكر الغربي في التاريخ الحديث^(١) تغير وتطور مفهومه ورؤيته للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن هذا الفكر سواء على الصعيد الأكاديمي المتخصص المتمثل في الإنتاج الاستشراقي أو على الصعيد الأدبي الفكري الشمولي قد مر بمراحل متعددة ومختلفة في فهمه وتصوره لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، وقبل أن أبدأ بالحديث عن تطور وتغير المفهوم الغربي في التاريخ الحديث أذكر نبذة عن صورة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدى الغرب في العصور الوسطى ليظهر للقارئ مدى التغير مع بقاء تأثير العصور الوسطى على كثير من علماء ومفكري التاريخ الحديث ممن لم يستطيعوا الخروج من دائرة جهالات العصور الوسطى، وذلك بعد الحديث عن الدراسات السابقة.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في دراسات الاستشراق وتحليل خطابه، وبخاصة تحليل الخطاب الاستشراقي المختص بالسيرة النبوية لم أقف على دراسة تناولت هذا الموضوع الدقيق بالبحث، وذلك أن الباحثين في الشأن الاستشراقي غالباً ما يفضلون الوقوف على مناقشة النص الاستشراقي أو الغربي المعرب عن آرائه، وبيان موضوعيته من عدمها، والرد عليه إن لزم.

(١) يقصد بالتاريخ الحديث الفترة الزمنية الممتدة من أواخر القرن الخامس عشر الميلادي زمن اختراع الطباعة واكتشاف أمريكا إلى زماننا.

انظر: تاريخ الحضارة، لشارل سنيوبوس، تعريب: محمد كردعلي، (ص ٤)، مطبعة الظاهر - القاهرة.

أما قضية دراسة الخلفية الغربية المرتبطة بموقف نحو الإسلام أو نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأسباب التاريخية والاجتماعية ومتغيرات طريقة تفكير العقل الغربي المرتبطة بالموقف محل الدراسة والبحث مما تم تصنيفه وتسميته حديثاً بعلم (الاستغراب) فإن ذلك من الأمور التي لم تلق العناية الكافية وتتطلب التوجه لها بالبحث والدراسة وفق أسس منهجية تحقق الفائدة من الوقوف على الداخل الغربي وتحليله^(١).

وقد وقفت على نصوص متفرقة حول موضوع البحث والمتعلق بأسباب متغيرات مسيرة الموقف الغربي من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته مما ورد في المصادر العربية والغربية وأفدت منها، إلا أنها كانت حديثاً عابراً أو التفاتة جانبية، فجمعت ما تفرق في هذه المصادر ونظمتها في سلسلة من الأسباب أمل أن تكون انطلاقة لأبحاث أخرى تتعمق في هذه الأسباب أو غيرها، وكل سبب مما سيرد في هذا البحث يستحق أن ينال دراسة وافية تبحر في أعماقه.

● المفهوم الغربي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته في العصور الوسطى :

عندما نطالع تاريخ العصور الوسطى^(٢) وتأمل المفهوم الغربي في تلك الأزمنة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال الكتابات الغربية وما سطره أبناء الغرب أنفسهم نجد أن صورة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد شوهتها دعاية الكنيسة الغربية المتطرفة بشكل كامل، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعايتهم - وحاشاه - الساحر الذي هدم الكنيسة في إفريقيا وفي الشرق بالسحر والخديعة، وأنه أباح الاتصالات الجنسية^(٣)، كما وصفوه بأنه المسيح الدجال، وأنه صاحب ديانة وثنية، وأنه أداة الشيطان، إلى غيرها من الاتهامات التي يترفع أي منصفٍ أو سويٍ عن ذكرها ولم أورد

(١) انظر: الاستغراب المنهج في فهمنا الغرب رؤية تأصيلية، لـ د. علي النملة، المجلة العربية - الرياض، ١٤٣٦ هـ.

(٢) يقصد بالعصور الوسطى الفترة الزمنية من القرن الخامس الميلادي إلى القرن الخامس عشر. المرجع نفسه، (ص ٤).

(٣) الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية، لـ مكسيم رودنسون، ضمن مجموعة تراث الإسلام التي وضعها المستشرق شاخ (١/ ٣٤)، بتصرف، المجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون، ١٩٨٨ م.

بعضها إلا للتوضيح والبيان^(١).

وتعد كتب ومؤلفات اللاهوتي يوحنا الدمشقي (Damascus of John) (٦٧٦-٧٤٩م) التي امتلأت بالحقد والكراهية والتي تُرجمت للغات الأوروبية، أحد أهم مصادر التصور الغربي تلك الفترة لنبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما لا تزال آثار الحركة الكولونية الدعائية التي قادها الراهب بطرس المحترم (Venerable the Peter) (١٠٩٢-١١٥٦م) في العديد من دول أوروبا للتحريض على محاربة المسلمين وشن الحملات الصليبية ضدهم بتشويه صورة الإسلام ونبيه راسخة في مخيلة الكثير من الغربيين إلى يومنا هذا، مفترضة أن صراعها مع دين هذا الرجل صراع النور مع الظلام، ولا يمثل لها هذا النبي ودينه إلا الشر والخطر المحقق بأوروبا^(٢).

ونجد تمثل كل تلك الافتراءات والكراهية في العديد من الملاحم الشعرية التي كان لها تأثير واسع في الفكر الغربي كونها كانت تمثل مسرحيا أمام جماهير غفيرة من الناس من مختلف الطبقات المجتمعية، ومن أبرز هذه الملاحم المغرضة أنشودة أنطاكية، وملحمة ريتشارد قلب الأسد التي امتلأت بكل ما يعبر عن أن هذا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوجد أمة مارقة شيطانية يجب محاربتها^(٣)، كذلك أنشودة رولاند (Roland) (٧٧٨م) التي تصور دين المسلمين بأنه دين يضم محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبوللو الرب الوثني الإغريقي، وحُشدت بكل ما يحض على كراهية هذا الدين ونبيه وقتال أتباعه، ولعل أبرز ما يوضح جهالة هذه الملاحم الشعرية وافتقارها لمعرفة صحيحة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه أنها تضمنت عبارات على لسان المسلمين هي من صميم الثقافة المسيحية ولا يمكن أن تصدر من المسلمين، فمن ذلك: "وقال المسلمون: نحن

(١) انظر: تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى، لـ وليام مونتجمري وات، (ص ١٣٢)، طبع جسر للترجمة - بيروت عام ٢٠١٦م، ط ١.

(٢) انظر: الحروب الصليبية، لـ آرنست باركر، (ص ٢٥)، دار النهضة العربية - بيروت؛ وانظر: تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى، لـ وليام مونتجمري وات، (ص ١٤٦)، "مرجع سابق".

(٣) انظر: نصوص هذه الملاحم في: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، لـ أ. د. سهيل زكار، (٩/ ٢٨١، ٢٨٦) دار الفكر - بيروت.

ليس بإمكاننا تحمل هذا العناء، لتحل لعنات محمد على أرض آباء الفرنسيين^(١)، لذلك كان من بدييات النقد الموضوعي الغربي لهذه الموروثات لاحقاً: أن الكثير من هذه الأعمال لم تستند إلى مصادر تعرفهم بالصورة الحقيقية لنبي الإسلام أو توضح لهم دين الإسلام وطبيعته وحضارته.

كذلك في عمل دانتي (Alighieri Dante) (١٢٦٥-١٣٢١ م) (الكوميديا الإلهية) - أحد أشهر الأعمال المؤثرة في الأدب الأوروبي والفكر الغربي بشكل عام - نلاحظ أنه يضع نبي الإسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نشيده الثامن والعشرين في الدائرة الثامنة من حلقات الجحيم التسع، وهي دائرة مظلمة قريبة من معقل إبليس، وتأتي هذه الدائرة بعد دائرة سابقة امتلأت بالشهوانيين والمارقين والحاقدين^(٢) وقد كان لكتاب دانتي انتشار وتأثير واسع في الغرب ولا يزال العديد من المتطرفين في إيطاليا وفي الغرب عموماً يحفلون بهذا العمل ليومنا هذا، ويعد من الآداب التي ترسخت في الذاكرة الغربية.

وكان من أبرز كتّاب الغرب الذين كتبوا وروجوا لتصورات الجهالة والحقن تلك الفترة بطرس المحترم (Venerable the Peter) (١٠٩٢-١١٥٦ م)، رامون لول (Llull Ramon) (١٢٣٥-١٣١٥ م)، ريكولدو دي مونتي (da Monte Riccoldo) (١٢٤٣-١٣٢٠ م)، وغيرهم كثير^(٣).

(١) الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، لـ أ. د. سهيل زكار، (١٠٦/٩) وهو مجلد خاص بالملاحم أوردها مترجمة، "مرجع سابق".

وانظر: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، لـ إدوارد سعيد، (ص ١٢٦)، رؤية للنشر، عام ٢٠٠٨ م، ط ١.

(٢) وقد أسرف دانتي في كتابه بذكر ما لا يليق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما اضطر مترجم الكتاب من الإيطالية للعربية أ. حسن عثمان لحذف ما أورده وتنبهه على موضع الحذف، فيقول: "ولقد حذفت من هذه الأشرطة أبياتاً وجدتها غير جديرة بالترجمة وردت عن النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد أخطأ دانتي في ذلك خطأ جسيماً تأثر فيه بما كان سائداً في عصره"، الكوميديا الإلهية، لـ دانتي، ترجمة: أ. حسن عثمان، (ص ٣٧١)، دار المعارف، ط ٢. وانظر: الاستشراق، لـ إدوارد سعيد، (ص ١٣٦)، "مرجع سابق".

وانظر: تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى، لـ مونتجمري وات، (ص ١٤١)، "مرجع سابق".

(٣) انظر: موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي، (ص ١١٠)، (ص ٣٠٦)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٥ م.

فهذه نبذة موجزة توضح للقارئ أن المفهوم الغربي لسيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلك الحقبة كان لا يمت للعلم والحقيقة بصلة، وإنما صنعتها ضغائن الكنيسة وأحقاد الحروب الصليبية من قبل.

المفهوم الغربي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته في التاريخ الحديث:

لقد ورث الغرب في تاريخه الحديث الكثير من جهالات العصور الوسطى التي رسمت ملامح شخصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لديهم خصوصاً في بدايات التاريخ الحديث، ونشهد ذلك جلياً على سبيل المثال في عمل فولتير المبكر "محمد" وهو عمل مسرحي حشده بأقبح الأوصاف للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوصفه بأنه طاغية وماكر سافك للدماء وغيرها من الأوصاف التي تنبض بالحقد وتنبع من الجهالة، وإن كان فولتير قد تراجع عن كل ذلك في مؤلفه الذي نشره لاحقاً عام ١٧٥١م بعنوان (أخلاق الأمم وروحها) حيث عد فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكيماً بارزاً وأنه أسس ديناً متسامحاً وعده من أعظم مشرعي العالم.

كما نجد أثر هذه الجهالات يتردد في مؤلفات العديد من مستشرفي التاريخ الحديث والذين لم يخرجوا من دائرة تأثير العصور الوسطى لكن على درجات متفاوتة، وكان من أبرزهم هنري لامنس (Lammens Henri)^(١)، وفينسيك (Wensinck Arent) (١٨٨٢-١٩٣٩م)^(٢)،

وانظر: تاريخ حركة الاستشراق، ليوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم، (ص ٢٦)، دار قتيبة، ١٤١٧هـ، ط ١.

(١) هنري لامنس (Lammens Henri) (١٨٦٢-١٩٣٧م) مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي، يقول عنه د. عبدالرحمن بدوي: "شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها"، له عدة مؤلفات منها: (مهد الإسلام)، (مكة عشية الهجرة)، (المعابد قبل الإسلام في غربي الجزيرة العربية)، (القرآن والسنة كيف ألفت حياة محمد)، (هل كان محمد أميناً)، (عصر محمد وتأريخ السيرة).
موسوعة المستشرقين، (ص ٥٠٣)، "مرجع سابق".

(٢) فينسيك (Wensinck Arent) (١٨٨٢-١٩٣٩م) مستشرق هولندي، كان أول انتاجه العلمي رسالته للدكتوراة عام ١٩٠٨م بعنوان (محمد واليهود في المدينة) كما كتب مجموعة من الأبحاث والمؤلفات، منها (العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي)، (أساطير القديسين الشرقيين) وغيرها، يقول عنه أ.د. محمد البهي: "عدو لدود للإسلام ونبهه.. نشر فينسيك رأيه في القرآن والرسول مدعيًا أن الرسول أُلّف القرآن"، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، لـ أ.د. محمد البهي، (ص ٢٦)، مطبعة الأزهر.

ودافيد مرجليوث (Margoliouth.D) (١٨٥٨ - ١٩٤٠ م)^(١)، وهاملتون جب (Gibb Hamilton) (١٨٩٥ - ١٩٧١ م)^(٢) وغيرهم.

إلا أننا نجد أن العديد من العوامل والمؤثرات قد أسهمت في تغير وتبدل مفاهيم وجهالات العصور الوسطى لدى نخب غربية وشخصيات مؤثرة في الغرب فعندما نشر سايمون أوكلي (Ockley Simon) كتابه (تاريخ المسلمين) عام ١٧٠٨ م أوجد "صدمة أليمة" - على حد تعبير إدوارد سعيد - لدى الغربيين، فقد أوضح في كتابه قيمة التفوق العلمي لدى المسلمين ووجهة النظر الإسلامية فيما يتعلق بالحروب البيزنطية وأن أمة هذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست أمة شر ودم^(٣)، كذلك عندما نشر توماس كارليل (Carlyle Thomas) (١٧٩٥ - ١٨٨١ م) كتابه (الأبطال) عام ١٨٤١ م والذي تحدث فيه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فصل خاص كبطل في صورة رسول، يقول مخاطباً الغرب: "إن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر والاحصار أكذوبة وخذعة؟"^(٤).

وانظر: موسوعة المستشرقين، لـ د. عبدالرحمن بدوي، (ص ١٧٤)، "مرجع سابق".

(١) دافيد مرجليوث (Margoliouth.D) (١٨٥٨ - ١٩٤٠ م) درس في أكسفورد الآداب الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ومن ثم انتقل إلى دراسة اللغات السامية، وفي ١٩٠٥ م بدأ نشر دراساته عن الإسلام فابتدأ بنشر كتابه (محمد ونشأة الإسلام)، وفي عام ١٩١١ م قفى عليه بكتاب (الإسلام)، ثم ألقى محاضرات عن تطور الإسلام في بدايته نشرت عام ١٩١٤ م لكن هذه الدراسات كما وصفها د. عبدالرحمن بدوي: "كانت تسري فيها روح غير علمية ومتعصبة، مما جعلها تثير السخط عليه ليس فقط عند المسلمين، بل وعند كثير من المستشرقين"، موسوعة المستشرقين، (ص ٥٤٦)، "مرجع سابق" وانظر: المستشرقون، للعقيقي، (٧٧ / ٢)، دار المعارف - القاهرة، ط ٤.

(٢) هاملتون جب (Gibb Hamilton) (١٨٩٥ - ١٩٧١ م) مستشرق إنجليزي، كان من محرري دائرة المعارف الإسلامية، ومن أشهر مؤلفاته: (تفسير للتاريخ الإسلامي)، (تطور نظام الحكم في أوائل الإسلام)، (المحمدية)، (الاتجاهات الحديثة في الإسلام)، قال عنه د. عبدالرحمن بدوي: "نال في حياته كثيراً من ألقاب الشريف التي لا يستحقها علمياً"، كما يقول عنه أ.د. محمد البهي: "له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة".

المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، لـ أ.د. محمد البهي، (ص ٢٤)، "مرجع سابق".

(٣) انظر: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، لـ إدوارد سعيد، (ص ١٤٦)، "مرجع سابق".

(٤) الأبطال، لـ توماس كارليل، تعريب: محمد السباعي، (ص ٥٤)، المكتبة التجارية - القاهرة، ١٩٣٠ م، ط ٢.

استمر هذا التغيير وهذا التطور في الغرب بشكل متسارع نسبياً وجريء في حالات كثيرة، يقول الفرنسي إميل درمنغهم (Dermenghem Emile) في كتابه (حياة محمد) الذي ألفه عام ١٩٢٩م: "تحاط سيرته في زماننا بكثير من التحفظات، ولا يُحدث اليوم عن حياته بمثل ما في كتب التراجم التي عرفتها فرنسا منذ خمسين سنة..."

وقد حالت الأوهام والأباطيل دون درس أصول الإسلام ومبادئه في أوروبا زمناً طويلاً، ثم جد في البحث العلمي بعض العلماء في القرن التاسع عشر، ومنهم كوسان دو برسفال، وموير، وفيل، ومرغليوث، ونولدكه، وسبرنجر، وسنوك هورغرونجه، ودوزي، ثم تناوله مؤخرًا كياتاني، ولامنس، وماسينيون، ومونته، وكازنوف، وبيل، وهوار، وهوداس، ومارسيه وأرنولد، وغريم، وغولدسيهر، وغيرهم، ومن المؤسف حقاً أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين في النقد أحياناً فكانت مؤلفاتهم عامل هدم^(١).

وإذا ما تتبعنا التغيير والتطور لزماننا المعاصر نجد أن الكثير من الباحثين الغربيين والمتخصصين في الدراسات الشرقية من أساتذة الغرب قد رفض السياق التاريخي الموروث في الفكر الغربي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جملة وتفصيلاً، وصرح بما ينقض كل الموروثات القديمة المتعلقة بسيرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالبروفيسور خوان كول (Cole Juan) أستاذ تاريخ الشرق الأوسط بجامعة ميتشيغان أصدر عام ٢٠١٨م كتابه (محمد نبي السلام في زمن صراع الإمبراطوريات) مبيناً حقيقة أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان رجل سلام وأنه أقام مجتمعاً عادلاً استطاع أن يحتضن ديانات وثقافات أخرى، وأن الحروب التي خاضها إنما هي حروب عادلة ليست اضطهاداً أو ظلاً^(٢).

بل إن المستشرقة البريطانية المعاصرة كارين آرمسترونج (Armstrong Karen) ذهبت إلى أبعد

(١) حياة محمد، لـ إميل درمنغهم، ترجمة: عادل زعيتر، (ص٧) دار العالم العربي - القاهرة، ٢٠١٣م، ط ١.

(٢) انظر كتابه:

Juan Cole ,Muhammad :Prophet of Peace Amid the Clash of Empires, Nation Books, New York 2018.

من ذلك في كتابها (محمد نبي لزماننا) الذي تقول في مقدمته: "في شخصية محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النموذجية دروس مهمة ليس فقط للمسلمين ولكن أيضا للغربيين.. إلى أن تقول لمن الغرابة أن الأحداث التي جرت في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع، بها الكثير الذي نتعلم منه كيف نواجه الأحداث التي تجري في وقتنا هذا"^(١).

كذلك نرى أستاذ الأديان بجامعة جورج تاون الأمريكي جون سبوزيتو (John Esposito) يقول في كتابه المسمى (ما يحتاجه كل واحد أن يعرفه حول الإسلام): "إن الوحي الذي تلقاه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما كان يدعو إلى الإصلاح الديني والاجتماعي وأكد على العدالة الاجتماعية، واهتم بحقوق المرأة والأرامل والأيتام، وصحح تحريفات الوحي الإلهي الموجودة في اليهودية والمسيحية، وحذر الكثيرين ممن أعرضوا عن رسالة الله والأنبياء، ودعا الجميع إلى ما يشير إليه القرآن الطريق المستقيم في الإسلام أو طريق الله الموحى للمرة الأخيرة لمحمد آخر أو خاتم الأنبياء"^(٢)، كما بين في هذا الكتاب الكثير من الأمور التي تلبست على المجتمعات الغربية والتي أثير حولها الكثير من الشبهات مثل قضية تعدد زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تناولها بطرح موضوعي أوضح من خلاله دوافع تعدد زوجاته التي أكدت إنسانيته ورحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ كان من زوجاته الأرملة التي فقدت زوجها وسندها، كذلك التي أسلمت ودخلت في دين الله وكانت عزيزة في قومها وكان لزوجها بها توطيد للصلة مع قومها، إلى غير ذلك من الأسباب التي نعلمها في الطرح الإسلامي الصحيح، كما أوضح

(١) محمد نبي لزماننا، لـ كارين أرمسترونج، ترجمة: فاتن الزلبناني، (ص ٢٥)، مكتبة الشروق الدولية - القاهرة، ٢٠٠٨م، ط ١.
(٢)

John L Esposito, **What Everyone Needs to Know About Islam**, New York, Oxford University Press, 2011, (P9).

"The revelation Muhammad received were calls to religious and social reform. They emphasized social justice (concern for the rights of women widows and orphans) corrected distortions to God's revelations in Judaism and Christianity and warned that many had strayed from the message of God and the prophets. They called upon all to return to what the Quran refers to as the straight path of Islam or the path of God revealed one final time to Muhammad the last or "seal" of the prophets".

من خلال طرح غربي منصف واقع وحقيقة ما أتى به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تشريعات كالحدود، وحقوق المرأة، ومسألة الرق، وعلاقة المسلم بغير المسلم وغيرها من المسائل مما يحاط في الغرب بصورة قائمة، فجاء الطرح وفق منهجية علمية وموضوعية قلما يعرض في الغرب بهذا الوضوح والتجرد^(١).

هذا التغير وهذا التطور في المفهوم الغربي بل والنقد الذاتي من الغرب نفسه له أسباب ساقته نحو نبذ التصور السابق وطرحه أو تغييره أو تطويره أو صهره لملاءمة متغيرات ومعطيات مستجدة، ولا يغيب على المطلع والمتتبع أن هذه المتغيرات تسير نحو اتجاه تقارب مع المفهوم الإسلامي، على اختلاف في درجة التقارب بين مستشرق أو مفكر وآخر، وهذا التقارب هو ما يخول القارئ المسلم بأن يصفه بالتصحيح أو خطوة نحو التصحيح.

وسنعرض فيما يلي الأسباب التي شكلت وقادت مسيرة هذا التغير رغم أن الموروثات الثقافية في أمة من الأمم تشكل هويتها وتحدد مواقفها الراسخة المتعمقة الجذور، فهي تمثل قناعات ذاتية يكاد يستحيل تغييرها، وتكمن أهمية معرفة الأسباب التي أدت إلى التغيير والتطور في مسيرة المفهوم الغربي في معرفة كيفية التعامل مع المفهوم الغربي وتفكيكه بمعرفة عوامل تكوينه وعوامل تغييره، وربما أسهمت معرفة هذه الأسباب في التأثير فيه والأخذ به لتقارب أكبر نحو الموضوعية والمنهجية التي نراها كمسلمين متحققين في المنظور الإسلامي.

وأؤكد أن محاولة الوقوف على أسباب التغيير والتطور الذي حصل بدرجات متفاوتة ومختلفة في المفهوم الغربي للسيرة النبوية في ظل اختلاف الإيديولوجيات والمرجعيات الدينية الغربية كالمسيحية واليهودية والماركسية ومختلف التيارات الإلحادية لا يمكن أن تصل إلى أسباب قطعية شمولية لجميع هذه التيارات في إطارها الزمني والجغرافي الواسع، إلا أنه من المقدر الوصول إلى أسباب غالبية تنطبق على متغيرات الاتجاه الغربي بشكل عام وتوضح مؤثرات

(١) انظر: المرجع السابق، (ص ١٥، ١٧٥، ١٧٦).

التغير والتطور في مسيرة الفكر الغربي وتصوره للسيرة النبوية.

❖ أسباب تغير مسيرة الموقف الغربي في التاريخ الحديث عن أزمنة العصور الوسطى:

كما تمت الإشارة سابقاً فإن الموقف الغربي لم يتغير ككتلة تحولت من اتجاه إلى آخر، لكن هذا التغير هو تغير نسبي قاده نخبة من كتاب الغرب ومستشرقيه وكان له تأثير واسع النطاق في الغرب، إلا أن الكثير من الغربيين ظل متمسكا بجهالات العصور الوسطى الأمر الذي يوصف غربيا على صعيد واسع بالتطرف وخطاب الكراهية، أما أهم أسباب التغير في مسيرة المفهوم الغربي للسيرة النبوية فهي:

١ - توافر المصادر الأولية للسيرة النبوية باللغات الأوروبية.

يعد القرآن الكريم المصدر الأساس والأولي في التعرف على سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تحدثت آيات القرآن الكريم عن أخلاقه عليه الصلاة والسلام فهو كما أخبر القرآن الكريم رحيم بأمته ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] بل وصفه بأعظم صفات التبجيل كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، كما تحدث القرآن الكريم عن الكثير من وقائع السيرة النبوية وأحداثها منذ بداية الجهر بالدعوة وما لاقاه عليه الصلاة والسلام في مكة من عنت وأذى من قومه إلى هجرته إلى المدينة وأهم غزواته مما ورد في آيات القرآن الكريم ولا يتسع المقام لطرحه.

بل تميز هذا المصدر الرباني بالحديث عن أمور لم يطلع عليها صحابته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ حوله، فبالتالي يعد القرآن الكريم المرجع الوحيد لمعرفة والحديث عنها، يقول سبحانه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ويقول جل ذكره: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِئُ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فتحدثت هذه الآيات الكريمة عن أمور تعد من الشعور الإنساني الذي لا يطلع عليه أحد،

فكان القرآن الكريم المرجع الوحيد فيها.

وقد ظل حاجز اللغة لدى الغرب حائلا دون الاطلاع على القرآن الكريم قرونا طويلة، وتعد ترجمة بطرس المحترم لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية عام ١١٤٣م والتي طبعت في بازل (سويسرا) عام ١٥٤٣م أقدم ترجمة كاملة لمعاني القرآن الكريم لكنها ترجمة رديئة هي أقرب إلى التلخيص العام لكل سورة من سور القرآن الكريم، ولا تلتزم بالنص وتتبع جملة، وكان الهدف منها هو خدمة التنصير والأهداف التبشيرية للكنيسة الغربية، كما يقول المستشرق الألماني يوهان فوك (Fuck Johann) (١٨٩٤ - ١٩٧٤م): "كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن فكلما تلاشى الأمل في تحقيق نصر نهائي بقوة السلاح بدا واضحا أن احتلال البقاع المقدسة لم يؤد إلى ثني المسلمين عن دينهم بقدر ما أدى إلى عكس ذلك،..

إلى أن يقول.. ظهرت أول ترجمة للقرآن سنة ١١٤٣م وقد نسبت إلى مؤلفها الأب بطرس المبجل.. وقد أقلته رحلة إلى إسبانيا سنة ١١٤١م.. وجدها فرصة سانحة للتعرف على الحوار القائم بين الإسلام والمسيحية والمعارك الدائرة بين المسلمين والإسبان.. وقد خرج من ذلك كله بقناعة بأن لا سبيل إلى مكافحة (هرطقة محمد) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعنف السلاح الأعمى، وإنما بقوة الكلمة.. لكن تحقيق هذا المطلب كان يشترط المعرفة المتعمقة برأي الخصم وهكذا وضع خطة للعمل على ترجمة القرآن إلى اللاتينية"^(١) وقد كانت اللاتينية وقتها لغة العلم والجامعات في أوروبا قبل الانتشار الواسع للإنجليزية في أوروبا والعالم.

وظلت أوروبا تعتمد على هذه الترجمة الرديئة التي ترجمت عام ١١٤٣م قرونا طويلة دون أن تظهر ترجمة أخرى لأسباب متعددة منها الجهل بالعربية، والتأخر العلمي في أوروبا تلك الفترة، ويرى فوك أن من أبرز الأسباب التي أسهمت في ذلك هو عدم رغبة المسلمين

(١) تاريخ حركة الاستشراق، ليوهان فوك، (ص ١٤)، "مرجع سابق".

في نقل كتابهم المقدس إلى بلاد لا تؤمن به، بناء على اعتقاد شرعي يتمسكون به، يقول:
"بحسب التصور الإسلامي فإن كتاب الله طاهر لا يمسه إلا المطهرون والخشية من وقوعه في
أيدي الكفرة حمل المسلمين على عدم حمله أثناء سفرهم وتجاهلهم في بلاد الأعداء.. وهكذا
فقد بقي مضمون القرآن مجهولا في أوروبا لقرون طويلة"^(١).

ثم ظهرت عن ترجمة بطرس السيئة ترجمة أخرى لمعاني القرآن الكريم بالإيطالية عام
١٥٤٧م، وقد أشرف على نشرها الناشر أريفابيني (Arrivabene)، وعن هذه الترجمة الإيطالية
ظهرت ترجمة أخرى للألمانية عام ١٦١٦م ترجمها سالومون شفاجير (Schwiegger Salomon)،
وعن الترجمة الألمانية ظهرت ترجمة أخرى للهولندية عام ١٦٤١م^(٢)، ومن خلال اعتماد كل
ترجمة على ترجمة أخرى سابقة وأن منشأ كل هذه التراجم هو ترجمة بطرس المحترم ذات
الصبغة والأهداف التنصيرية ندرك كيف كانت العقلية الأوروبية بعيدة كل البعد عن التعرف
على القرآن الكريم والوقوف على حقائقه تلك الفترة.

وفي عام ١٦٤٧م نُشرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم من العربية إلى الفرنسية مباشرة،
والتي قام بها دي ريير (Ryer Du) ولقيت رواجاً كبيراً حيث ظهرت عنها ترجمة أخرى إلى
الإنجليزية، وأخرى إلى الهولندية، أما أول ترجمة إنجليزية لمعاني القرآن الكريم من العربية
مباشرة فقد كانت ترجمة جورج سيل (Sale George) عام ١٧٣٤م، وحظيت بانتشار واسع
وأعيد طبعها مرات عديدة بشكل واسع في أوروبا وأمريكا، وأما أول ترجمة من العربية إلى
الألمانية فقد كانت عام ١٧٧٢م وهي ترجمة دافيد فريدريش ميجرلن، وقد ترجمت مسمى
(العنوان من القرآن الكريم) إلى (الكتاب المقدس التركي) وهذه الترجمة هي الترجمة التي
قرأها جوته ومنها بدأ إعجابه واهتمامه بالإسلام^(٣) ثم توالى التراجم باللغات الأوروبية

(١) المرجع نفسه، (ص ١٨).

(٢) موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، (ص ٤٤١)، "مرجع سابق".

(٣) انظر: موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، (ص ٤٣٨)، "مرجع سابق".

المختلفة ولقيت رواجاً وإقبالاً واسعاً.

وقد كان لتوافر ترجمة معاني القرآن الكريم باللغات الأوروبية دور مهم في التعرف على حقيقة هدي القرآن ومعرفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعاليم الإسلام بشكل مباشر بعيداً عن الإملاءات والتصورات القديمة التي توارثها الغرب من أزمنة الحروب الصليبية وما تلاها من أزمنة العصور الوسطى، صحيح أن الكثير من المستشرقين يرى أن القرآن الكريم ما هو إلا كتاب تاريخي أو تأليف بشري ونحو ذلك وأن العديد من المستشرقين درسوه وفق مناهج مادية كمناهج علم الآثار، أو منهج بنوية النص أو التفسير الاجتماعي مما نراه في كثير من الدراسات الاستشراقية وهو لا يتناسب مع الوحي وطبيعته، لكن كل ذلك لا يلغي حقيقة أنه كان لتوافر ترجمة معاني القرآن الكريم باللغات الغربية دور بارز في تقييم الغرب لموروثاته الثقافية المتعلقة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته ودينه الذي دعا إليه، وسيلي بيان وتوضيح ذلك.

فهذا بالنسبة لتاريخ معرفة الغرب بالقرآن الكريم أما بالنسبة لتاريخ معرفتهم بمصادر السنة النبوية فهو أمر أكثر تأخراً فالجامع الصحيح للإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ تم نشره بليدن من قبل كل من كريبل (Krehl.Ludolf.M) وجوينبول (Juynboll.W.Th) عام ١٨٦٢م، كما ترجمه هوداس (Hondas.O) ومارسيه (Marcais.W) إلى الفرنسية في الفترة (١٩٠٣-١٩١٤م)، وترجم راينفريد (Reinfried) قسماً منه إلى الألمانية عام ١٩١٣م، ثم نشره كاملاً ليفي بروفنسال (Levi-Provencal) مع ترجمة فرنسية بباريس عام ١٩٢٨م وما بعدها، ثم نشره كاملاً بترجمة إنجليزية كل من محمد أسعد ووايس (Weiss, ad'As.M) عام ١٩٣٥م، كما نُشرت العديد من كتب الحديث النبوي الأخرى باكراً ككتاب أبي داود السجستاني (المصاحف) الذي نشره جفري (Jeffery.A) عام ١٩٣٧م بليدن^(١).

أما باقي مصنفات كتب الحديث الأخرى كصحيح مسلم وكتب السنن كسنن أبي داود،

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، (١٧٤/٢) طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

والنسائي، والترمذي وغيرها فإنها لم تتوافر لها تراجم أوروبية حتى أواخر القرن العشرين لذلك شكل ذلك عامل عجز مؤثر في الكتابات الغربية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنجد على سبيل المثال المستشرق البريطاني وليام مونتهجمري وات (Watt Montgomery .W) (١٩٠٩-٢٠٠٦م) في كتابه (محمد في مكة) اعتمد على صحيح البخاري كمصدر ثان بعد القرآن الكريم لكنه لم يورد شيئاً من كتب الحديث الأخرى^(١)، فإذا ظهر هذا العجز في كتب وات وهو من أبرز المستشرقين المهتمين بسيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن أكثرهم تصنيفاً في السيرة، فهذا إنما يمثل صورة واضحة للحاجة الغربية والعجز المعرفي في هذا الجانب، إلا أن مطلع القرن الحادي والعشرين شهد نشاطاً بارزاً في ترجمة كتب الحديث إلى اللغات الأوروبية على أيدي المسلمين في مشاريع متعددة خدمةً للسنة النبوية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه التراجم التي قام بها المستشرقون للغات الغربية مع قيمتها وأهميتها في المعرفة الصحيحة بسيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقواله وأفعاله، إلا أنها تحتاج إلى حذر ودقة في التعامل معها، لعدم الدراية الكافية بعلم الحديث ودلالات اللغة العربية ممن قاموا بهذه الأعمال، فضلاً عن الدوافع الغرضية التي صاحبت العديد من أعمالهم والتي كثيراً ما تقود إلى تأويلات باطلة، يقول المستشرق الفرنسي موريس بوكاي (Bucaille Maurice) (١٩٢٠-١٩٩٨م) عن مثل هذه التراجم: "أصبح بإمكان من لا يعرف العربية الاطلاع على الأحاديث بلغة أخرى، غير أننا يجب أن نحتاط تجاه قيمة بعض الترجمات التي أنجزها الغربيون، بما في ذلك الترجمة الفرنسية، إذ يستطيع القارئ أن يكتشف فيها أحياناً ما هو غير صحيح ومناقض للحقائق، مما يعتبر تأويلاً لا ترجمة حقيقية، بل هناك أحياناً تحريفات كبيرة للمعنى الحقيقي للحديث"^(٢).

(١) انظر: مقدمة د. عبدالرحمن الشيخ لكتاب محمد في مكة، لـ وليام مونتهجمري وات، (ص ١٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل دراسة في ضوء العلم الحديث، لـ موريس بوكاي، ترجمة: عادل يوسف، (ص ٣٠٦)، دار الأهلية للنشر - لبنان، ٢٠٠٩م، ط ١.

ويوضح لنا مدى أهمية ترجمة كتب السنة النبوية للغات الغرب في بناء معرفة صحيحة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه عندما نشر عبدالله السهروردي كتابا له بالإنجليزية يتضمن مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية، اطلع الحكيم الروسي ذائع الشهرة عالمياً تولستوي (Tolstoy) (١٨٢٨-١٩١٠م) على هذا الكتاب ونشر منه مجموعة من الأحاديث التي انتقاها وضمنها كتابه المعنون: (حكم النبي محمد) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال عنها: "إنها لا تخالف في شيء تعاليم الديانات الأخرى التي ترشد إلى الحق، وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر"^(١)، وقد طُبِع كتابه ونُشر بمختلف اللغات العالمية وحقق انتشارا وصيتا واسعا، وكان من جملة ما أورده من الأحاديث التي تمثل حكماً نبوية:

حديث: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يا رسول الله: أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ فقال: تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه»^(٢).

- حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٣).

- حديث: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»^(٤).

- حديث: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٥).

وغيرها من الأحاديث النبوية الأخرى إلا أن مجموعته لا تخلو من الأحاديث الضعيفة.

وإضافة لما تم نشره وطُبِع باللغات الأوروبية من مصادر السنة النبوية، نجد أيضاً ما في خزائن المكتبات الأوروبية من مخطوطات مصنّفات الحديث بالعربية والفارسية والتركية والتي

(١) حكم النبي محمد، لـ تولستوي، بعناية وتعليق: د. محمود النجيري، (ص ٤٥)، مكتبة النافذة - القاهرة عام ٢٠٠٨م ط ١.
 (٢) رواه البخاري، كتاب الإكراه باب يمين الرجل لصاحبه، ح (٦٩٥٢) (ص ١٤٦٨)، دار الأرقام - بيروت.
 (٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ح (١٣) (ص ١٧)، "مرجع سابق".
 (٤) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، ح (١٤٦٧) (ص ٥٩٥)، دار الكتاب العربي - بيروت عام ٢٠٠٤م، ط ١.
 (٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ح (٦١١٤) (ص ١٣٠٩)، "مرجع سابق".

استطاع المتخصصون الغربيون المتمكنون من العربية واللغات الشرقية من الاطلاع عليها والاستفادة منها، ومن أبرز هذه المكتبات مكتبة ليدن، ومكتبة برلين، ومكتبة الأسكوريال، وباريس، ومانشستر، وغيرها، يقول المستشرق الألماني كارل بروكلمان (Brockelmann Carl) (١٨٦٨-١٩٥٦م): "تكاد توجد مخطوطات صحيح البخاري في كل مكتبة من مكتبات العالم"^(١)، وبالاطلاع على فهراس محفوظات هذه المكتبات نجدها زاخرة بالعديد من مصادر السنة النبوية، بل إن العديد من الإصدارات العربية لهذه المصادر والتي صدرت في العالم الإسلامي نُشرت اعتماداً على الأصول المحفوظة بهذه المكتبات.

أما بالنسبة لأُمّات كتب السيرة النبوية والتي تعد من المصادر الأولية والمباشرة في التعرف على سيرة النبي عليه الصلاة والسلام بما تضمنته من صحيح الأخبار والأحداث زمن النبوة فإنه قد توافر بلغات الغرب انطلاقاً من منتصف القرن التاسع عشر من أصول كتب السيرة النبوية ما لم يتوافر من قبل، فقد نشر المستشرق الألماني فستنفلد (Wüstenfeld Ferdinand) سيرة ابن هشام للمرة الأولى في أوروبا وتحديداً في ألمانيا بمدينة جيتنجن عام ١٨٥٧-١٨٦٠م إلا أنها كانت بالعربية، كما نشر فستنفلد أخبار مكة للأزرقي وابنه عام ١٨٥٧م بالعربية في لبيتسك، وفي عام ١٨٦١م صدرت ترجمته بالألمانية في لبيتسك أيضاً، وفي عام ١٨٦١م نشر كتاب تاريخ المدينة مستخلصاً من كتاب السمهودي في جيتنجن^(٢)، ثم نشرت سيرة ابن هشام بالألمانية في اشتوتجرت عام ١٨٦٤م بترجمة المستشرق الألماني جوستاف فايل، وإن كان فايل نفسه قد نشر كتاباً بعنوان: (محمد: حياته ومذهبه) والذي يعد من أشد الكتب الاستشراقية تحاملاً وبعداً عن الموضوعية العلمية والدقة التاريخية على حد تعبير د. عبدالرحمن بدوي^(٣).

(١) تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، (١٧٤/٢)، "مرجع سابق".
(٢) موسوعة المستشرقين، لـد. عبدالرحمن بدوي، (ص ٤٠٠)، "مرجع سابق".
(٣) المرجع نفسه، (ص ٣٩١).

والمتبع لما أصدره المتأخرون من المستشرقين يدرك كيف استفادوا من توافر المصادر الإسلامية، ومدى تأثير ذلك على نتائج ما توصلوا إليه مخالفين بل ناقدين أحيانا كثيرة لأسلافهم من عمداء الاستشراق والكتاب الغربيين، يقول المستشرق إتيين دينيه (Dinet Étienne) (١٨٦١-١٩٢٩م) في مقدمة كتابه (محمد رسول الله) عن المصادر التي اعتمد عليها: "وقد اعتمدنا في استمداد عناصرها على أقدم المؤلفين: كابن هشام، وابن سعد، وسواهما، ثم على مؤرخ من المحدثين هو علي برهان الدين الحلبي.. [إلى أن يقول] ولعل في هذه الملاحظة ما يكفي لتنبية القراء إلى أنهم لن يجدوا بين دفتي هذا السفر شيئا من تلك المذاهب الغربية المتغالية، والتي شغف بها حبا أولئك المستشرقون المحدثون بما لديهم من غرام وشهوة بكل ما هو باغ من الرأي.

على أن دراسة تلك المبتدعات قد أتاحت لنا أن نكشف عن أنها كانت أحيانا وليدة كراهية شديدة للإسلام يصعب التوفيق بينها وبين العلم، ولا تليق بعصرنا هذا"^(١).

كذلك نجد واشنطن إيرفينج (Irving Washington) (١٧٨٣-١٨٥٩م) سفير الولايات المتحدة لدى إسبانيا عام ١٨٤٢م^(٢) والذي صنف سلسلة من الكتب عن المدن الإسبانية ذات الحضارة الإسلامية خصص منها كتابا مطولا بالتعريف عن مؤسس دين الإسلام وفي بداية هذا الكتاب الذي انتشر انتشارا واسعا ومؤثرا في الغرب (محمد وخلفاؤه) (Successors his and Mahmet) يتحدث مقدم الكتاب عن مصادر إيرفينج في كتابه فيقول: "بعد عدة سنوات وخلال الإقامة بمديرية أصدر المؤلف سلسلة من الإصدارات التي توضح وتحدث عن إسبانيا فترة حكم العرب، وكان من المفترض أن يتم تقديم ذلك من خلال

(١) محمد رسول الله، لإتيين دينيه، ترجمة: د. عبدالحليم محمود ود. محمد عبدالحليم، (ص ٦١) دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٩٨٥م.

(٢) انظر: ترجمته في الموسوعة البريطانية، سيرة بعنوان: واشنطن إيرفينج كاتب أمريكي، كتبها: هيئة تحرير الموسوعة.

رسم توضيحي لحياة مؤسس الإسلام، ومعظم التفاصيل الخاصة بذلك مستمدة من خلال مصادر إسبانية، ومن خلال ترجمة غانييه للمؤرخ العربي أبو الفدا، والتي عثر المؤلف على نسخة منها من مكتبة اليسوعيين في دير القديس إيسيدرو بمدريد^(١)، لذلك نجد المؤلف في هذا الكتاب يعتمد اعتمادا كبيرا على القرآن الكريم في حديثه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحياته بالإضافة إلى اعتماده على تاريخ أبي الفدا في كثير من الأحداث والغزوات والفتوحات زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد وفاته، إلا أن قلة المصادر العربية وعدم توفرها جعله أيضا يعتمد على مصادر غربية أخرى كما يتضح لمطالع الكتاب.

أيضا نجد أن المستشرق الإنجليزي وليم موير (Muir William) (١٨١٩-١٩٠٥ م) وهو أحد كبار موظفي الحكومة البريطانية وكانت له صلات مباشرة مع إرساليات الجمعيات العاملة في الهند استفاد مما صدر في الهند مترجما للإنجليزية من المصادر العربية، ففي ذلك الوقت صدرت عام ١٨٥٦ م بكلكتة ترجمة موجزة لمغازي الواقدي على يد المستشرق البريطاني فون كريمر (kremer Von) (١٨٢٨-١٨٨٩ م)، كما صدر في الوقت نفسه كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني وكتاب طبقات ابن سعد بتحقيق وليم ناسؤوليز (Lees Nassau William) عميد المدرسة العالية بكلكتة، وبالتزامن صدرت ترجمة وستنفلد (Wustenfled .F) بأوروبا لسيرة ابن هشام عام ١٨٥٩ م، فاستفاد منها موير في كتابة عدة مقالات عن السيرة النبوية فأصدر: (مولد محمد وطفولته) **Mahomet of Childhood and Birth The** ومقالا بعنوان:

(1) **Washington Irving**, Mahomet and his Successors, New York, The Knickerbocker Press 1896, P v. Many years since, during a residence in Madrid, the author projected a series of writing illustrating the domination of the Arabs in Spain. These were to be introduced by a sketch of the life of the founder of the Islam faith, and the first mover of Arabian conquest. Most of the particulars for this were drawn from Spanish sources, and from Gagnier's translation of the Arabian historian Abulfeda, a copy of which the author found in the Jesuit's Library of the "Convent of St. Isidro, at Madrid

(حياة محمد من شبابه إلى سن الأربعين) *The Mahomet of Life* , his from youth to his for- tieth year وآخر بعنوان: (اعتقاد محمد في الوحي إليه) *Belief of Mahomet* ، وقد أدرك من خلال هذه المقالات أهمية المصادر الأصلية لمعرفة صحيحة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذلك نرى تأكيده على مسألة المصادر الأصلية في عنوان مؤلفه الكبير الذي صدر بعدها عام ١٨٥٩م في أربعة أجزاء والذي عنوانه: (حياة محمد من المصادر الأصلية) *Sources Original the from Mahomet of Life* إلا أن غرضية موير في هذا الكتاب أوقعته في كثير من الموروثات التقليدية القديمة، وجعلته يطعن في كثير من صحيح مرويات هذه المصادر^(١).

كذلك نجد المستشرق الفرنسي إيميل درمنغم (Dermenghem Emile) (١٨٩٢ - ١٩٧١م) يقول في مقدمة كتابه (حياة محمد) موضحاً أهم المصادر الموثوقة في التعرف على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وأهم المصادر لتبيان حياة محمد هو القرآن وكتب الحديث والسيرة، والقرآن أصح هذه المصادر وإن كان أجزؤها، وكتب الحديث.. وليس من السهل في كل وقت أن تُستنبط الحقيقة من الأحاديث التي يكاد عددها لا يحصى، وإن لم يكن ذلك مستحيلاً إذا استطاع الباحث أن يقف على أسباب الوضع فيها، فإذا حذف من الأحاديث ما يباه العقل وما هو منتحل وما أملاه الغرض، بقي عدد كبير منها قريباً من الصدق، إن لم يكن صحيحاً صحة الحقائق الرياضية التي لا عهد للتاريخ بمثلها إلا قليلاً، قال سنوك هورغرونيه: "إن مما يناقض كل نهج قويم دحض الحديث الذي لم يقيم دليل على أنه وليد الغرض والذي لم يوجد سبب تاريخي ينقضه" وفي كتب السير، ومنها سيرة ابن هشام - المقتبسة من ابن إسحاق والتي هي أهمها في نظري - وفي مؤلفات الواقدي وابن سعد والحلبي وأبي الفداء والطبري والمسعودي إلخ، ما في الأحاديث من ضعف، وفيها شيء من الصحة مع ذلك"^(٢).

(١) انظر: الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الإنجليزية، لمحمد مهر علي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - ٢٠١٣م.

(٢) حياة محمد، لإيميل درمنغم، (ص ٨)، "مرجع سابق".

ويريد درمنغم بإيراده كلام هورغرونيه نقض نظرية جولدتسيهر (Goldziher) (١٨٥٠-١٩٢١م) باعتقاد عدم صحة الأحاديث النبوية المسندة والتي تزعمها جولدتسيهر، ومن بعده شاخ Schacht (١٩٠٢-١٩٦٩م) ولا يزال تأثيرها بارزا في الدراسات الغربية المعاصرة رغم أنه قد تصدر للرد على هذه الفرية بمختلف أشكالها وأطروحاتها العديد من المستشرقين فضلا عن المتخصصين من علماء المسلمين^(١).

ولا نغفل في حديثنا عن مصادر السيرة لدى الغرب الإشارة إلى الدور الذي تؤديه الموسوعات العلمية الغربية، فهي تشكل في التاريخ الغربي الحديث أحد أهم المراجع العلمية لمعرفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته، ويأتي في طليعتها دائرة المعارف الإسلامية، ودائرة المعارف البريطانية.

ودائرة المعارف الإسلامية هي الأكثر انتشاراً وتأثيراً وقد ظهرت للوجود بناء على فكرة قدمها المستشرق الإنجليزي روبنسون سميث في مؤتمر المستشرقين التاسع الذي عقد بلندن عام ١٨٩٢م، وأقرت فكرته على أن يتحمل المستشرقون الحاضرون مهمة تحقيقها لتنفيذ أضخم عمل استشراقي حول الإسلام، وشرع بعد ذلك مجموعة من المستشرقين بالمهام وتنفيذها تحت إشراف المستشرق الهولندي هوتسما إلى عام ١٩٣٤م ثم حل محله الهولندي فنسك.

وقد طبعت في أول الأمر باللغات الأوروبية الثلاثة الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ثم تُرجمت وطُبعت بلغات عالمية متعددة، فابتدأ صدور الترجمة العربية للدائرة عام ١٩٣٣م بالقاهرة إلا أنها لم تكتمل وتوقفت عند مواد حرف "العين"، ثم اكتملت ترجمة الدائرة إلى العربية عام ١٤١٨هـ بطبعة أخرى أصدرها مركز الشارقة للإبداع الفكري، وتحظى هذه الدائرة بموثوقية عالية لدى الدوائر العلمية والبحثية في الغرب^(٢)، وقد كتب مادة "محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) ولعل أبرز دراسة مفصلة ومطولة في الرد على اتهامات جولدتسيهر حول السنة النبوية، تلك الدراسة التي أصدرها الدكتور مصطفى السباعي بعنوان: (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي).

(٢) انظر: المستشرقون، للعقيقي، (٣/٣٧٢)، "مرجع سابق".

بالدائرة كل من المستشرق ف. بول (Buhl.F) ، والمستشرق ت. ولت (Welt.T) وقد اعتمدا في كتابة هذه المادة على القرآن الكريم وعدد من المصادر الإسلامية كصحيح البخاري وصحيح مسلم، وسيرة ابن إسحاق التي هذبها ابن هشام وتاريخ الطبري، كما اعتمدا على عدد من المصادر الغربية ككتاب مونجمري وات (Montgomery Watt) (١٩٠٩-٢٠٠٦م) (محمد في مكة) وكتابه الآخر (محمد في المدينة) وكتاب توم أندريه (محمد وإيمانه) وغيرها من المؤلفات الغربية^(١).

أما دائرة المعارف البريطانية والتي صدرت في طبعها الأولى عام ١٧٧١م في أدنبرة ثم أعيد تحريرها وطباعتها لمرات عدة وكانت طبعها الخامسة عشر والأخيرة عام ١٩٥٢م، وتعد أيضاً مرجعاً مهماً لدى الجامعات الغربية والدوائر العلمية بشكل عام في الغرب، وقد كُتبت مادة (محمد النبي ورسالته) تحت الموضوع العام (الإسلام) في خمس صفحات كتبها المستشرق البريطاني مونجمري وات بمعاونة آخرين، وقد أوردت الموسوعة العديد من المصادر الإسلامية التي اعتمد عليها في كتابة المادة، منها: (القرآن الكريم) و(سيرة ابن هشام) و(مغازي الواقدي) بالإضافة للمصادر الاستشراقية ككتاب وات (محمد في المدينة) و(محمد في مكة) بالإضافة لغيرها من المصادر الغربية^(٢).

وقد ابتعدت الموسوعتان في مادة (محمد) عن الموروثات القديمة للفكر الأوروبي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أنها لم تسلم من المناهج الاستشراقية الغربية الحديثة التي تقوم على التشكيك في الوحي وما يتصل بمسألة النبوة، إضافة إلى التفسير المادي والسياسي لوقائع السيرة النبوية

وانظر: بحث بعنوان: القرآن الكريم في دوائر المعارف الاستشراقية، لـ د. حميد الحميد، (ص ٨)، ضمن أبحاث ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية والتي أصدرها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، لمجموعة من المستشرقين، مادة "محمد" (٢٩/٩١١٢، ٩١٥٨) طبع مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨م، ط ١.

(٢) انظر: السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية دراسة تحليلية لما كتب تحت مادة (محمد: النبي ورسالته)، لـ د. وليد بليهبش العمري، دون الإشارة إلى دار نشر.

وأحداثها العظيمة، كما طبقت على السيرة النبوية - التي قوامها الوحي والرسالة - المعايير النقدية الغربية التي تطبق على الفكر الإنساني وهو ما يتعارض مع المنهجية العلمية التي تقتضي التناسب بين المنهج والموضوع الذي يدرسه^(١).

٢- العناية الغربية بالمصادر العربية الفكرية والأدبية والتاريخية (التراث العربي).

فقد حظي التراث العربي بعناية بالغة لدى الدوائر الاستشرافية الغربية وتحت مظلة الجامعات الغربية من خلال أقسام الدراسات الشرقية والشرق أوسطية وأقسام الدراسات الإسلامية، وقد تعددت مظاهر هذه العناية من نشر نصوص التراث إلى التحقيق والدراسة بل إلى الترجمة باللغات الأوروبية، ومن أبرز المصادر والمؤلفات التي عني بها الغرب دراسة وترجمة ما استشهد به أ.د. عاصم حمدان من اهتمام جامعات الغرب ومؤسساته بمؤلفات الباقلاني، وابن رشد، والغزالي، والمحاسبي، وابن حزم، وأسامة بن منقذ، وابن شهيد، وأبي حيان التوحيدي، وابن الطفيل، وغيرهم^(٢)، ولو تتبعنا جهود المستشرقين في هذا الجانب لما وسعنا مجلدات، وقد اجتهد العقيلي في كتابه المستشرقون بمتابعة ذلك فكان كتابه في ثلاثة مجلدات لم تستوف كل ما نشرته الدوائر العلمية الغربية.

وقد نُشر في الأوساط الغربية العديد من المصادر التراثية العربية الفكرية والأدبية قبل أن تنشر في الشرق، بل إن البلاد الإسلامية لم تعرف الكثير من هذه المصادر العربية إلا من خلال النشرات الاستشرافية الغربية، والتي أعيد طباعة الكثير منها في البلاد الإسلامية استناداً على مطبوعات ليدن، ولايزبج، وبريل، وباريس، وروما، ولندن وغيرها.

ويوقفنا المستشرق الألماني يوهان فوك في كتابه (تاريخ حركة الاستشراق) عن بدايات جمع الغرب لهذه المصادر العربية في أوروبا ومن ثم نشرها وطباعتها في الغرب، فيتحدث عن

(١) المرجع نفسه.

(٢) انظر: الأدب العربي في مدونات المستعربين، لـ أ.د. عاصم حمدان، (ص ٣٦)، نادي المدينة المنورة الأدبي، ٢٠١٧ م، ط ١.

رحلة استشرافية قام بها المستشرق يعقوب جوليوس عام ١٦٢٤م بمنحة من مجلس جامعة ليدن دامت أربع سنوات تنقل فيها جوليوس بين مدن العالم الإسلامي، وتمخضت هذه الرحلة عن جمع مجموعة علمية من المصادر العلمية والأدبية المخطوطة منتقاة بحنكة ودراية فائقة بلغت ٢٥٠ مخطوطا كانت نواة قسم الدراسات الشرقية بجامعة ليدن، ثم تلتها مجموعة أخرى بلغت ١٠٠٠ مجلد مخطوط جمعها تلميذه ليفينوس فارنر^(١).

وقد أمدت مكتبة ليدن الباحثين الأوروبيين المهتمين بالعربية والشرق بنفائس المصادر العربية الأدبية والفكرية المتنوعة فكانت لامية العرب أول تجربة مطبوعة في أوروبا من الأدب الشعري العربي، ثم خطبة ابن سينا، ثم المقامة الأولى من مقامات الحريري ثم قصيدة لأبي العلاء المعري، ثم توالى طباعة الكتب والمصادر العربية فعمل جوليوس عام ١٦٣٦م على طبع نص من كتاب ابن عربشاه (عجائب المقدور) وبعد هذا الكتاب وقبل وفاته عمل على إنجاز كتاب الفرغاني في الحركات السماوية.

وبعد وفاة جوليوس تم نشر العديد من المصادر التي حوتها مجموعته المخطوطة بجامعة ليدن فنشر كتاب أساس البلاغة للزمخشري، ومجمل اللغة لابن فارس، ومعجم ياقوت الجغرافي، وكتاب ابن البيطار (الأدوية)، ومقدمة الأدب للزمخشري، وغيرها الكثير، وعلى حد تعبير فوك: "إنه من خلال جوليوس يكون جانب مهم من الأدب الإسلامي قد وفد على الواجهة الاجتماعية الأوروبية باللغة العربية"^(٢).

وهناك على الطرف الآخر من أوروبا وتحديدا في جامعة أكسفورد ببريطانيا قام إدوارد بوكوكيوس عام ١٦٣٧م برحلة أيضا إلى الشرق لجمع المخطوطات، وبعد عودته من رحلة الجمع هذه شغل منصب الأستاذية بكرسي الدراسات العربية والعبرية بأكسفورد، وفي عام

(١) تاريخ حركة الاستشراق، ليوهان فوك، (ص ٨٤)، "مرجع سابق".

(٢) تاريخ حركة الاستشراق، ليوهان فوك، (ص ٨٥)، "مرجع سابق".

١٦٥٠م أصدر كتابه (لمع من أخبار العرب) ضمنه مجموعة من أجزاء مهمة من المصادر العربية، فمن ذلك مقتبسات من (طبقات ابن سعد) وقائمة تتضمن أبرز التواريخ حول حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كذلك شواهد من كتب الغزالي وأخرى من كتب الشهرستاني، وعلى حد تعبير فوك: "قدم للمرة الأولى نظرة شمولية في وثنية العرب من جهة، كما أنه جلب الكثير جدا من المصادر الجديدة"^(١)، مع تحفظنا البالغ على المصطلح الذي استخدمه (وثنية العرب).

ثم توالى وتنامى الاهتمام الأوروبي بالأدب العربية ومصادر العرب الأدبية والفكرية وبرزت أسماء أوروبية لامعة في الاهتمام بهذا المجال، كان من أبرزها المستشرق الألماني يوهان رايسكه (Reiske Johann) (١٧١٦ - ١٧٧٤م) الذي يعد علامة بارزة في تاريخ نشر المصادر العربية في الغرب، وقد عمل على نشر وطباعة العديد من المصادر العربية بالعربية وبالألمانية وباللاتينية أيضا، وقام بنشر حماسة البحري، والمعلقات، وديوان الهذليين، وشعر المتنبي، وأبي العلاء، والجزء الأول من المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، ومدخل عام إلى تاريخ الإسلام استناداً إلى حاجي خليفة وغيرها^(٢)، ولم يكن الهدف من نشر هذه المصادر هو اللغة والأدب في ذاتهما وإنما كان ذلك طريقاً لأهداف أخرى تتعلق بمعرفة أعمق بالروح الشرقية التي صنعها الإسلام وصنعها النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يؤكد ذلك الألماني فوك إذ يقول عن رايسكه: "قد بحث وعثر على المدخل إلى كنوز الأدب العربية والإسلامية، ودل غيره على الطريق كذلك، لكن دراسة اللغة لم تكن في حد ذاتها هدفاً لديه، بل اتخذها هدفاً لبحوثه التاريخية، وبالنظر لإدراكه لأهمية الإسلام بالنسبة للتاريخ الأوروبي، فلم يقرأ نصوصه العربية كعلم لغة يُكتفى منها فقط بفهم القصد الذي يرمي إليه المؤلف، بل كمؤرخ يصنف التاريخ الإسلامي في

(١) تاريخ حركة الاستشراق، لـ يوهان فوك، (ص ٩٣)، "مرجع سابق".

(٢) المستشرقون، للعقيقي (٢/ ٣٥٤)، "مرجع سابق".

إطار التاريخ البشري العام ويتخذ منها موقف المفسر"^(١).

وهذا الهدف الذي تحدث عنه فوك والذي امتطى إليه رايسكه طريق الآداب واللغة يفسر لنا النتائج البحثية التي واجه بها رايسكه الأعراف الأوروبية التقليدية السائدة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونجاح دعوته، فهو كما يقول الأستاذ عبدالرحمن بدوي: "إنه يرى أن ظهور (النبي) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد وانتصار دينه هما من أحداث التاريخ التي لا يستطيع العقل الإنساني إدراك مداها، ويرى في ذلك برهانا على تدبير قوة إلهية قديرة"^(٢).

وهذه المصادر العربية التراثية سواء الفكرية منها أو الأدبية أو التاريخية تتناول شخصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته إجمالاً وفق الأصول المرجعية الإسلامية التي تقرر الثوابت الصحيحة، وتطرح ما لم يثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع ما نعلمه من وجود بعض ما ليس له أساس من الصحة في التراث العربي، إلا أنه كان لتوافر هذه المصادر والانشغال بها في الدوائر العلمية الغربية دور فاعل في تصحيح الكثير من المفاهيم والأخطاء الفادحة من موروثات العصور الوسطى.

فقد كان لهذه المصادر التي تُرجمت إلى اللغات الأوروبية تأثير فكري وأدبي واسع على الثقافة الغربية فالكثير من الأعمال الغربية التي صدرت متزامنة مع انتشار هذه المصادر العربية تضمنت الإشارة إلى هذه المصادر وما تناولته من أفكار وآراء في مختلف الميادين، واصطبغت الكثير من الأعمال العلمية والفكرية في الغرب بما أثير في الشرق وفي العالم الإسلامي من نظريات واتجاهات فكرية وفلسفية مختلفة، فقد تحدثت المستشرقة مارجريت سميث (Smith Margaret) في الفصل الأخير من كتابها (المحاسبي صوفي بغداد القديم) عن تأثير الحارث المحاسبي على المفكرين في أوروبا، وأوضحت فيه عن أهم الأفكار التربوية

(١) تاريخ حركة الاستشراق، ليوهان فوك، (ص ١٢٦)، "مرجع سابق".

(٢) موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، (ص ٣٠٠)، "مرجع سابق".

والروحية التي كان للمحاسبي دور بارز في وجودها في الفكر الغربي^(١)، كما كان لترجمة سايمون أوكلي (Okley Simon) لرسالة ابن الطفيل (حي بن يقظان) عام ١٧٠٨ م "تأثير بالغ على التكوين العقلائي والذهني في الغرب عموما وانجلترا خصوصا على حد تعبير أ.د. عاصم حمدان"^(٢).

وهذا التأثير العام المجمل يتضمن أيضا جانبا مهما في قضية تصحيح المفاهيم المتعلقة بشخصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث تضمنت هذه المصادر نماذج من حديثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما اشتملت على كثير من أخباره ومغازيه وأفعاله وهديه، فهذه المصادر كانت رافدا مهما في تحولات الفكر الغربي أزمنة التنوير وصناعة أوروبا الحديثة فكريا، يقول المستشرق زكاري لوكمان (Lockman Zackary): "ونستطيع أن نرى كذلك استمرار البدائل في الكتابة الأوروبية عن الإسلام في القرن الثامن عشر، خصوصا تلك العقود التي أصبحت تعرف بعصر التنوير، فقد انتقد مفكرو التنوير ظلامية الكنيسة وطغيانها الفكري بقوة..."

ولأن فكر التنوير كان شاملا ومتفائلا فقد مال إلى التأكيد على ما تشترك فيه الشعوب والثقافات لا على ما يميزها عن بعضها البعض.

وقد فتح هذا الموقف الطريق لتوجه أكثر موضوعية للإسلام في الدراسات الاستشراقية التي أصبحت باريس أعظم مراكزها الأوروبية، ولتصوير متعاطف للإسلام كتبه بعض التنويريين الذين اعتبروه إيمانا أكثر عقلانية وتسامحا نسبيا وصوروا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في معظم الأحيان باعتباره مشرعا عادلا حكيما..

(١) انظر:

Margaret Smith ,Al-Muhasibi an Early Mystic of Bagdad, PHILO PRESS Amsterdam 1974, P269.

(٢) الأدب العربي في مدونات المستعربين، ل.أ.د. عاصم حمدان، (ص ٤٩)، "مرجع سابق".

إلى جانب أعمال المستشرقين ومفكري التنوير توفر في أوروبا أدب شعبي ضخيم عن الشرق في القرن الثامن عشر.. وقد أتيح للجمهور الأوروبي أيضاً أن يقرأ عدداً متزايداً باستمرار من قصص الرحالة إلى البلاد الإسلامية..^(١)

ومع ما للمصادر الإسلامية والعربية من تأثير بالغ على كتابات الغربيين إلا أنه ليس بالضرورة أن كل من اعتمد على هذه المصادر أو رجع إليها قد انتهى إلى نتائج موضوعية وأبحاث دقيقة، فإن عوامل أخرى بالغة الأهمية كسوء الفهم، أو قلب الحقائق، أو توظيف الألفاظ والنصوص في غير دالاتها، أو ليها لتؤدي معاني باطلة، قد صاحبت الفكر الغربي الذي تعامل مع هذه المصادر، فهذا المستشرق النمساوي اشبرنجر (١٨١٣-١٨٩٣م) صنف كتابه (حياة محمد وتعاليمه) وكان على حد تعبير الأستاذ عبدالرحمن بدوي «أول كتاب أوروبي استغل معظم المصادر العربية المتعلقة بسيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن كتابه هذا حافل بالأحكام المسبقة، والتصورات الباطلة»^(٢)، إضافة لما قد تتضمنه هذه المصادر التراثية من أباطيل وأساطير منشؤها الأحاديث الموضوعية، أو اختلاق أصحاب التيارات والفرق المختلفة.

كما يجدر التنويه إلى أن الحديث عن أثر التراث ودوره في صناعة المفاهيم الغربية عن سيرة النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعني إقرار ذلك كمنهج سليم، فالمسلم يعلم أن ما جاء في القرآن الكريم وما ثبت وفق منهج المحدثين من آثار ومرويات هو الطريق السليم المؤدي إلى معرفة منهجية صحيحة بسيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أننا هنا في طور الدراسة الوصفية للكشف عن واقع أسباب التغيير الغربي في الموقف من السيرة النبوية، هذا التغيير الذي لم يكن شاملاً للموقف الغربي بمختلف أطيافه ومفكره إلا أنه يعد ظاهرة مؤثرة، يتطلع الدارس المنصف الوقوف على أسبابها الحقيقية.

(١) تاريخ الاستشراق وسياساته، لـ زكاري لوكمان، ترجمة: شريف يوسف، (ص ١٢٣)، دار الشروق - القاهرة، ٢٠٠٧م، ط ١.

(٢) انظر: موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، (ص ٣١)، "مرجع سابق".

٣- تطور علم مقارنة الأديان والبحث الأكاديمي فيه واتجاهه نحو التجرد من العواطف والأحكام المسبقة.

ولعل نقطة البداية لتطور علم مقارنة الأديان والبحث فيه كانت في مؤتمر فيينا عام ١٣١٢م حينما أقر المؤتمر مقترح المستشرق ريموند لول (Lull Remond) بإنشاء خمسة أقسام للدراسات الشرقية بالجامعات الغربية هي جامعات باريس، وأكسفورد، والجامعة البابوية، وبولونيا، وسلمنكا، ثم تتابع بعد ذلك عددٌ من أهم الجامعات الغربية لإنشاء مثل هذه الأقسام ففي الكولج دي فرانس تم تدريس اللغة العربية بانتظام عام ١٥٨٧م، وفي عام ١٦١٣م بجامعة ليون هولندا ثم في كامبردج ببريطانيا عام ١٦٣٢م، ومن هنا ابتدأت دراسة المصادر العربية وبرزت معها صورة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشكل أفضل من نسخة العصور الوسطى^(١)، وإن كان الهدف الأساس من هذا المقترح هو تمكين المبشرين من معرفة اللغة العربية لتحقيق أهدافهم إلا أن كثيراً من نتائج تطبيق المقترح كانت مختلفة عن خط سير أهدافه.

وهكذا انتقل الاهتمام بقضايا الشرق والموقف من الإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع مجموعة قضايا الديانات الأخرى من المراكز الكنسية ذات الدوافع التبشيرية والمواقف السلبية من كل ما يتصل بالإسلام إلى الأقسام العلمية وبدأت تستند على المناهج العلمية ووسائل وطرق البحث العلمي، فأسهمت أكاديميا الجامعات في البدء بتشكيل نظرة موضوعية بعيدة عن المؤثرات والعواطف والعوامل المختلفة تجاه الإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول اتين دينيه في كتابه (محمد رسول الله) محذرا من أخطاء المواقف السابقة: "يجب على قرائنا في المستقبل أن يحترسوا كل الاحتراس من مقارفة الأغلاط البشعة التي اقترفتها الثقافات اليونانية، واللاتينية، والمدرسية أثناء شروحه الحرفية لكتب الشرق المقدسة"^(٢) فكل

(١) انظر: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، ل.أ.د. محمد الشرقاوي، (ص ٨٤)، دار البشير، ٢٠١٦م، ط ١.

وانظر: تاريخ حركة الإستشراق، ل. يوهان فوك، (ص ٣٥)، "مرجع سابق".

(٢) محمد رسول الله، ل. اتين دينيه، ترجمة: د. عبدالحليم محمود ود. محمد عبدالحليم، (ص ٦٣)، "مرجع سابق".

هذه المرجعيات القديمة كانت بعيدة عن المنهجيات العلمية، وطرق البحث الصحيحة لذلك لم توفق لمعارف صحيحة سواء عن الإسلام أو غيره من الديانات الشرقية.

لقد فتحت هذه الأقسام العلمية بمنهجها العلمية والتزاماتها المنهجية آفاقاً جديدة لأوروبا في تقييم موروثاتها الثقافية والفكرية التي كرست تعظيم الأنا وتحقير الآخر وجعلت الغرب في مشكلة وفي أزمة في تعامله مع الآخر (الإنسان)، فاستطاع الغرب من خلال هذه الأقسام التوسع في تعلم اللغات الشرقية وبالتالي تنشيط حركة الترجمة إلى اللغات الأوروبية اللاتينية والانجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها، إضافة إلى استقطاب خبراء الشرق للتدريس في برامج أقسام الدراسات الشرقية والشرق أوسطية، وقد ترقى الكثير منهم وأثبتوا جدارتهم في هذه الأقسام وأصبحوا مديري برامج والبعض رؤساء أقسام، فتعمقت الصلة واتضح الكثير من الأفكار المتعلقة بالإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان العديد من هؤلاء لا يمثلون إلا تأكيداً لوجهات نظر الغرب سواء كانوا من الأقليات الدينية النصرانية أو اليهودية الموجودة في الشرق أو ممن تبنوا أفكار العلمانية والاشتراكية وغيرها من التيارات التي اجتاحت الشرق تلك الحقبة^(١).

٤ - التحول في موقف الكنيسة الغربية من دين الإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

شهد موقف الكنيسة الغربية تحولات ومنعطفات متعددة في التاريخ الحديث تجاه الأديان الشرقية والآخر بشكل عام وبما يشمل كافة أطراف الإلحاد في العالم، فموقف الكنيسة من الإسلام في التاريخ الحديث ليس هو ذاته أيام العصور الوسطى، وسواء كان هذا التحول نتيجة ضعف سيطرة الكنيسة على مختلف أوجه الحياة العامة، وسقوط سلطتها الدينية التي كانت تفرضها على كافة مناحي الحياة في الغرب أزمنة العصور الوسطى، أو نتيجة الإصلاح

(١) انظر: حول الاستشراق الجديد، لعبدالله الوهبي، (ص ٤٦)، مركز البحوث والدراسات بمجلة البيان، ١٤٣٥ هـ، ط ١.

المسيحي الذي شهدته الكنيسة الغربية في التاريخ الحديث.

فالكنيسة قد قسمت التاريخ الغربي إلى قسمين اثنين كما يقول بيجوفيتش: "لقد قسمت المسيحية تاريخ العالم الغربي إلى حقتين منفصلتين متعارضتين كل التعارض، هما العصور الوسطى والعصر الحديث، وهما يمثلان اختياريين لا ثالث لهما: الدين والعلم.. الكنيسة أو الدولة"^(١).

وقد كانت التجربة الغربية في أزمنة العصور الوسطى مريرة مع سلطة الكنيسة التي أقصت العلم والفكر وحجرت العقول والفكر، وتسلمت على الأموال والممتلكات، فلم تترك السلطة ولا القضاء ولا التنفيذ، ونصبت محاكم التفتيش والتعذيب لكل من يقوده العقل إلى مخالفتها أو معارضة مصالحها، وصادرت الأموال مما زاد من سلطتها فأصبحت تملك المال والسلطة والفتوى والقضاء والتنفيذ، ولا علم ولا فكر إلا لما تأذن به الكنيسة، وإلا أعد من الكفر والزندقة وحُورب وعُذب باسم الدين وتحت راية الكنيسة^(٢).

وإذا تناولنا قضية ضعف السلطة الكنسية وانعكاس ذلك على كثير من أوجه الحياة الغربية والتي كان أبرزها ظهور الثورة الفرنسية التي تمخض عنها ظهور العديد من دعوات التحرر وظهور عدة موائيق لحقوق الإنسان، والذي يعيننا من كل ذلك هو تحرر الغربيين كتابا ومؤلفين من السلطة الكنسية في بناء وصناعة مواقفهم من الإسلام ونبية الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نجد أن لسقوط السلطة الكنسية الغربية بالغ الأثر في تحول كثير من اهتمامات الكتاب الغربيين حول شخصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته من كتابات تتعلق بنبوته ومدى صدقها وفقا لمنظور كنسي إنجيلي بحث إلى كتابات تتعلق بإنسانيته وسيرته وعظيم أخلاقه والانجازات التي حققها وتحققت لأمته من بعده، وتقدير ما قدمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإنسانية من

(١) الإسلام بين الشرق والغرب، لعل عزت بيغوفيتش، (ص ٣٧١)، مؤسسة العلم الحديث - بيروت، ١٩٩٤م، ط ١.

(٢) انظر: أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، لـ د. إسماعيل ياغي، (ص ٣٠)، تحت عنوان: (أوروبا في العصور المظلمة)، مكتبة العبيكان.

مبادئ وأخلاق وإصلاح وحضارة، فظهرت مؤلفات وكتابات عديدة لمؤلفين بارزين أمثال جوته، ورايسكه، وايرفينج، ورودنسون، ووات، وماسينيون وغيرهم الكثير ممن أحدثوا تطوراً وتغيراً كبيراً في الموقف الغربي من الإسلام ونبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا تعمقنا في البحث والتحليل عن أثر هذه الدراسات على التغيير في الغرب تجاه الإسلام نجد أن تأثير هذه الدراسات وصل إلى الكنيسة الغربية ذاتها، بل إلى قلب الكنيسة الأوروبية الفاتيكان وجعله يقف موقفاً ينحى للموضوعية مع الإسلام ونبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مخالفًا كل موروثاته ومرتكزاته التاريخية، وما وثيقة الفاتيكان الصادرة عام ١٩٦٥م إلا دليل واضح على مدى هذا التحول، إذ كانت المرة الأولى التي يبدي فيها مجمع مسكوني موقفاً إيجابياً عن الإسلام واحترامه وتقديره ويدعو إلى ضرورة الحوار البناء مع المسلمين وعدم البقاء على مواقف جامدة مع الآخرين، وأن على الكنسيين تجاوز أنفسهم حتى يكونوا أصلح من ذي قبل في العلاقة المتبادلة مع الآخرين، بل دعت الوثيقة المسيحيين إلى استبعاد الصورة البالية المشوهة للإسلام والتي ورثوها من الماضي^(١).

ف نجد أن هناك علاقة أثر وتأثر متبادلة بين كتاب التاريخ الحديث والموقف الكنسي تجاه الإسلام ونبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكما كان لسقوط السلطة الكنيسة أثر في تحرر الكتاب والباحثين في الغرب لصياغة مفهوم جديد عن نبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر علمية وموضوعية نجد أن هؤلاء الكتاب والباحثين دوراً مؤثراً أيضاً في تغيير الموقف الكنسي والأخذ به لمواقف أكثر عقلانية ومنهجية، يقول الدكتور عبد الحميد مذكور عن أثر الكتابات الغربية في تحول موقف الكنسية في الغرب: "وقد كان لبعض المستشرقين المهتمين بالدراسات الإسلامية أثر في التحول المعلن في نظرة الفاتيكان إلى الإسلام والعالم الإسلامي، وكان من هؤلاء المستشرق الفرنسي

(١) انظر: الحوار المسيحي - الإسلامي دراسة لإحدى الوثائق، لـ د. عبد الحميد مذكور، (ص ٤٥٢)، ضمن مجموعة أبحاث جمعها ونشرها، د. أحمد هويدي بعنوان (إشكالية المنهج في دراسة الأديان)، دار الثقافة العربية، ٢٠١٨م، ط ١. وانظر: القرآن والتوراة والإنجيل دراسة في ضوء العلم الحديث، لموريس بوكاي، (ص ١١)، "مرجع سابق".

لويس ماسينيون الذي يرى بعض الدارسين أن مؤلفاته وإسهاماته العلمية ومنطلقاته الروحية ونشاطاته السياسية مهدت الطريق للتحول الكاثوليكي الجذري بشأن الموقف من الإسلام.. وقد أسهم في تقوية هذا الاتجاه بعض علماء الإسلاميات من داخل الكنيسة الكاثوليكية نفسها، ويوصف أصحاب هذا الموقف بأنهم يمثلون التيار الوسط أو المعتدل في الكنيسة الغربية^(١). وهكذا نجد أن دائرة التأثير كانت متبادلة بين الكنيسة الغربية والمجتمع الغربي ممثلة في كتابه وأبرز مستشقيه وأخذت دائرة التأثير المتبادل في الاتساع منذ أن تحرر العقل الغربي من قمع الكنيسة وسار العديد من أطرافه وباحثيه في اتجاه العلم والمعرفة الصحيح.

٥- ظهور حركة التنوير الفلسفية وتجديد روح التفكير العلمي في الغرب.

لقد ظهر في الغرب الكثير من المفكرين الذين أسسوا مناهج جديدة في التفكير والنظر العقلي تجاه الكون والإنسان والمنظومة الأخلاقية والمجتمعية معارضين ومخالفين لما أسسته الكنيسة أزمنة العصور الوسطى، هادمين كذلك لما فرضه المنطق اليوناني القديم على العقل الأوروبي.

وكان من أبرز هؤلاء المفكرين الذين أحدثوا أثرا كبيرا في التحول الغربي في طريقة التفكير والاستنباط والاستدلال الفيلسوف الإنجليزي روجر بيكون (Bacon Roger) (١٢١٤-١٢٩٤ م) والذي تأثر كثيرا بالمفكرين المسلمين خاصة ابن سينا الذي يعده من عظماء الفلاسفة، وقد صنف كتابيه (النهوض بالعلم)، و(الأورجانون الجديد) داعيا للاستفادة من المنهج التجريبي وطريقة الاستقراء لدى المفكرين العرب باعتبارها الطريق الصحيح للمعرفة، وقد عانى ليكون بسبب أفكاره وما اقتبسه من المفكرين المسلمين من اضطهاد الكنيسة أزمنة العصور

(١) الحوار المسيحي - الإسلامي دراسة لإحدى الوثائق، لـ د. عبد الحميد مذكور، (ص ٤٥٢)، ضمن مجموعة أبحاث جمعها ونشرها، د. أحمد هويدي بعنوان (إشكالية المنهج في دراسة الأديان)، "مرجع سابق".

الوسطى معاناة شديدة ولم تُحدث كتاباته وأفكاره تأثيرها المطلوب إلا بعد وفاته بقرون عندما أتاح ضعف السلطة الكنسية لأوروبا البحث عن مفاتيح لنهضة علمية.

أيضا من هؤلاء المفكرين المؤثرين: فرانسيس بيكون (Bacon Francis) (1561-1626م)، ورينيه ديكارت (1596-1650م)، وجون لوك (Locke John) (1632-1704م)، وجان جاك روسو (Rousseau Jacques Jean) (1712-1778م)، وآدم سميث (Smith Adam) (1723-1790م)، وجون استيوارت مل (Mill Stuart John) (1806-1873م)، وهربرت سبنسر (Spencer Herbert) (1820-1903م)، وبرنارد شو (Shaw Bernard) (1856-1950م)، وغيرهم الكثير ممن غيروا منهجية التفكير لدى الغرب واستفادوا مما وضعه العلماء المسلمون من أسس المنهج التجريبي فأحدثوا ثورة فكرية وعلمية لازال الغرب ينعم بثمارها حتى اليوم، لذلك تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه (Hunke Sigrid) (1913-1999م): "قدم العرب أئمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسارعه عليها اليوم"^(١).

هذه المنهجية العلمية وهذه الطريقة في التفكير أحدثت فارقا في موقف الغرب من نبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ تحرر من القيود القديمة وأصبح يبحث عن الموضوعية والعمل في تقصي الحقائق لبناء موقفه من الآخر إذ شكلت طرق التفكير الجديدة باعثا للفكر الغربي في بناء مواقفه على أسس علمية وحقائق ثابتة عموما، إلا أن هذا لا يعني بطبيعة الحال الخلو التام من الغرضية وسيطرة الكراهية في كثير من الأعمال الغربية الصادرة في العصر الحديث وحتى يومنا هذا.

وقد تحدث العديد من المتخصصين الغربيين عما أحدثته التنوير الأوروبي في تغيير وتقييم الموقف الغربي تجاه الآخر بل تجاه الإسلام تحديدا، يقول الألماني أ.د. شتيفان فيلد: "في القرنين

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، لزيغريد هونكه، (ص ٤٠٢)، دار صادر - بيروت.

السابع عشر والثامن عشر للميلاد كانت الأبحاث التي كتبت عن القرآن تتسم بأنها أولا صادرة عن جهل، وبقصد الطعن الحاد ثانيا، وثالثا بأنها صادرة عن خوف عميق، ذلك الخوف الذي أثارته الكنائس المسيحية..

واعتبارا من القرن الثامن عشر، أي في عصر التنوير سادت بالتدريج وبسبب النزاع الدائم بين المثقفين والكنائس مواقف متسامحة تجاه القرآن، فلقد حاول يوهان جوته في مؤلفه الشهير (الديوان الغربي- الشرقي) عقد مصالحة بين الأدب والشعر في أوروبا ونظيريهما في الشرق على أساس التكافؤ، منطلقا في ذلك من مبدأ تكافؤ الثقافات..، وقادت روح التنوير هذه إلى أن الإجابة عن السؤال المتمثل في أي الأديان هو الدين الصحيح، كانت إجابة شخصية، ولم يكن من الممكن عدها إجابة عمومية، وطبقا لهذا الرأي عدت الديانات كلها متكافئة إلى حد ما^(١).

فلم يرث العصر الغربي الحديث من العصور الوسطى في صناعة موقفه من الإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا ما كان صادرا عن خوف عميق من الكنيسة، فتعاملوا معه على أساس أنه عدو متربص، إلا أن ذلك أخذ بالتغير كما سبق الإشارة إليه، وكان لهؤلاء المثقفين والمفكرين الذين تولدت لديهم شجاعة مكنتهم من مخالفة موروثات العهد الكنسي ووصفوا لاحقا بالتنويريين دور مؤثر في صناعة هذا التغيير.

٦- عدم ملاءمة العديد من مناهج البحث التي استخدمها الغرب في دراسة

السيرة النبوية.

فبعد أن ثارت أوروبا بمفكريها وعلمائها على الكنيسة وأقصوها من دائرة التأثير على العقل والفكر بل جعلوا دورها لا يتجاوز باب الكنيسة، عندها توافر لدى الغرب مناهج

(١) ملاحظات على مساهمات المستشرقين في الدراسات القرآنية، لـ أ.د. شتيفان فيلد، (ص ٢)، منشور ضمن أبحاث ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشرافية، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٦ م.

مادية بحثية قائمة على التجريب والنقد استفادوها من خلال احتكاكهم بأمم الشرق وطوروها واستولدوا منها مناهج وطرقا بحثية عديدة وقد كانت بحق سر النهضة الأوروبية الصناعية ومفتاح الاستكشافات والاختراعات والانتاج إلا أنهم بعد أن رأوا ثمرتها ونفعها في عالم الحس والمادة، طبقوها على كل شيء سواء كان ماديا أم غيبيا أو روحيا أو غير ذلك، وأعوزتهم حداثة التجربة حينها إدراك أهمية ملاءمة المنهج البحثي للموضوع الذي يتناولوه فحكّموا المنهج المادي التجريبي الذي مجاله المحسوسات والعلوم الطبيعية على قضايا ما وراء المادة، وما يعيننا منها هنا على وجه الخصوص قضية النبوة والوحي، فكانت النتيجة أن كل ما لا يخضع للتجربة ليس حقيقيا وغير ثابت علميا وإنما هو خيال أو عبث، تماما كما فعل الماركسيون حينما طبقوا العامل الاقتصادي على حركة التاريخ الإنساني، وأرجعوا مسيرة الحياة الإنسانية وتطورها إلى العوامل والمؤثرات الاقتصادية.

أيضاً حينما حكم الفرويديون العامل الجنسي في العلاقات الإنسانية وجعلوا العلاقات الإنسانية ومسيرة التاريخ الإنساني قائمة على العامل الجنسي وحده، ومن قبلهم الإشراقيون في الشرق حين حكّموا المنهج الروحي في عالم المادة فأتوا بنتائج لا يقبلها العقل كمسألة الاتحاد والحلول ووحدة الوجود وغيرها، بينما الصواب أن لكل حقل معرفي منهج يلائمه ويتناسب معه، فالبحث في الطبيعة يلائمه المنهج التجريبي، والبحث في الروايات والأخبار يلائمه المنهج التاريخي وهكذا^(١).

وحينما نطالع ما كتبه المستشرقون عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أزمنة العصور الوسطى وتزامنا مع انطلاقة الثورة المادية في الغرب والتي رسمت معالم كل مناحي الحياة الغربية سواء الفكرية أو العلمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية نجد أن الكثير ممن كتب في السيرة النبوية في الغرب يستهل دراسته وبحثه بأنه سيأتي بالجديد وبما لم يُسبق إليه متصورا أن المنهج الذي

(١) انظر: مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، لـأ.د. حلمي صابر، (ص ١٦)، طبعة إيجبت ستار، ٢٠٠٠م، ط ٢.

سيتبعه سيخلق له تصورات ونتاج لم يعرفها رواة السيرة النبوية أو أخطأوا معرفتها وتصورها، نظرا لجددة المناهج البحثية التي سيستخدمها أو إذا صح التعبير لإتباعه تغير الموضحة البحثية. يقول المستشرق مونتجمري وات: "شعر الدارسون للإسلام منذ فترة، وبخاصة المهتمون بالتاريخ، بالحاجة إلى صياغة جديدة لحياة محمد "عليه الصلاة والسلام"، ولم يكن ذلك لاكتشافهم مادة جديدة- بالرغم من أن ليون كايثاني (Leone Caetani) (١٨٦٩-١٩٣٥ م) مثلا عندما كتب عن محمد "عليه الصلاة والسلام" في كتابه (Islam, dell Annali) (نشر عام ١٩٠٥ م)، لم يكن قد اطلع على مجموعة ابن سعد لتراجم المسلمين الأوائل في كتابه (الطبقات الكبرى) وإنما لتغير اهتمامات واتجاهات المؤرخين خلال نصف القرن الماضي، فقد أصبحوا أكثر وعيا خاصة بالعوامل المادية التي يقوم عليها التاريخ، وهذا يعني أن المؤرخ من منتصف القرن العشرين - مع عدم إهمال الجوانب الدينية والفكرية للحركة التي بدأها محمد "عليه الصلاة والسلام" أو التقليل من شأنها - يريد أن يسأل أسئلة كثيرة عن الخلفية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وحتى أولئك الذين ينكرون (وأنا منهم) أن هذه العوامل هي وحدها التي تحدد مجريات الأحداث يعترفون بأهميتها، لذا، فإن السمة الخاصة لهذه السيرة لمحمد "عليه الصلاة والسلام" هي أنها لا تنقب في المصادر المتاحة بدقة أكثر فحسب، بل إنها تعطي اهتماما أكثر لهذه العوامل المادية وتحاول الإجابة عن أسئلة لم تثر من قبل"^(١).

وإن المنطق العلمي والأسس المنهجية السليمة لا تقبل أن تخضع السيرة النبوية لتطبيق المناهج المادية البشرية عليها لعدم الملاءمة، فهي ليست مسألة تاريخية صرفة قابلة لأن تخضع لأدوات النقد والتحليل كما فعل العديد من المستشرقين الذين أخضعوا مختلف المناهج المادية على مادة السيرة، فمنهم من طبق منهجية الأثر والتأثر فانتهى بهم إلى إفراغ السيرة من الوحي والمصدر الإلهي لرسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإحالتها للمصادر اليهودية والمسيحية.

(١) محمد في مكة، لـ مونتجمري وات، ترجمة: عبدالرحمن الشيخ، (ص ٤١)، "مرجع سابق".

كذلك نجد أن منهم من اتبع منهجية الإسقاط بإسقاط الواقع المعاصر على الوقائع التاريخية، كما لجأ البعض إلى تطبيق منهج التشكيك الديكارتي مما أدى لنفي ثوابت ووقائع السيرة النبوية، وغيرها مما لا يتسع المقام لحصره أو ذكر شواهد^(١).

يقول المستشرق الفرنسي إيتين دينيه: "إن الخطأ الأساسي الذي يقع فيه بعض مستشرفي العصر هو محاولتهم استخلاص معنى حرفي وعلل مقصودة مرتبطة بعري المنطق الغربي من أقوال الأنبياء وأفعالهم، على حين أن الأنبياء هم جبابرة الإلهام الذين يكاد الوحي وحده ينوب لديهم عن كل تدليل عقلي، وفي هذا كفاية لبيان أن سلوك طريقة النقد في درس تاريخ الأنبياء غير منطقي، فلننقد هذا النقد الضال في غير سبيله، ولنذكر أولاً على وجه التعميم ضالة النتائج التي أدى إليها هذا الأسلوب في درس سيرة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^(٢).

وللأسف نجد أن العديد من هذه المناهج المادية الغربية صُدرت للشرق وتلقفها أبناء المسلمين ممن تلقوا تعليمهم على أيدي بعض المستشرقين أو تأثروا بأفكارهم فأخذوا بتطبيق هذه المناهج وانتهوا إلى ذات النتائج التي توصل إليها هؤلاء المستشرقين من قبل، في حين أن العديد من هذه المناهج ثبت لدى الغرب نفسه عدم صحة استخدامها مع النصوص الدينية والتاريخية، ودعوا إلى إبطالها كما أشار إليه نص دينيه السابق.

فهذا السبب المتعلق باقتباس الغرب المنهجية التجريبية من المسلمين وتوسعهم في تطبيقاتها المادية كان عامل تطور للغرب في مختلف جوانب حياتهم المادية، لكنه في إطار التعامل المنهجي الصحيح مع السيرة النبوية لم يفض لتطور وإنما خرج بنتائج بعيدة عن الموضوعية نظراً لهذا الخلل المنهجي.

(١) انظر: الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن)، لعبدالله النعيم، (ص ٣٣)، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧م، ط ١.

وانظر أيضاً: موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، لـ د. أكرم ضياء العمري، دار إشبيلية، ١٤١٧هـ، ط ١.

كذلك: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، لـ د. عبدالعظيم الديب، مطابع مؤسسة الخليج، ١٤١١هـ، ط ١.

(٢) الشرق في نظر الغرب ضمن مجموعة بعنوان آراء غربية في مسائل شرقية، لـ إيتين دينيه، تعريب: عمر فاخوري، (ص ٨٩)، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٥٥م.

٧- ظهور حركة النقد الذاتي في التاريخ الغربي الحديث واتساع دائرتها.

إن التصورات والمفاهيم التي صدرت من كبار المستشرقين ظلت تمثل قناعات غربية لا يُقبل التشكيك فيها أو مخالفتها، خاصة وأنه قد صدرت في سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجموعة من المؤلفات الغربية التي كتبها أعلام الغرب والمؤثرون في فكره وتوجهاته، إلا أن هذه المؤلفات على انتشارها ومكانة مؤلفيها نالت نصيباً وافراً من النقد داخل البيت الغربي نفسه، والذي بين ووضح خطأ مناهج هذه المؤلفات وبعدها عن الحقيقة واتباع مؤلفيها الهوى وسيطرة مشاعر الكراهية والبغض عليهم.

وتعد دراسات نقد الذات أو (نقد الأنا) الصادرة عن الغربيين أنفسهم من أهم العوامل المؤثرة في تغير المفاهيم الغربية عن الإسلام عموماً وعن نبيه الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشكل خاص، وقد توسع هذا الشكل أو هذا النمط من الدراسات في الغرب فبرز فيه العديد من الأعلام الغربية كـمونتجيري وات، ومكسيم رودنسن، وهنري ستوب، وإيتين دينيه، وغيرهم الكثير بل إن الألماني فلهاوزن تجاوز في ذلك إلى نقد أسفار التوراة في كتاب سماه (تأليف الأسفار الستة، والأسفار التاريخية في الكتاب المقدس) ثم أصدر عدة كتب في نقد الأنجيل، منها كتاب (إنجيل مرقس) و(إنجيل لوقا) و(إنجيل متى)، أما فيما يتعلق بنقده الموقف الغربي المعروض من الإسلام فإنه قد استفاد استفادة عظيمة من تاريخ الطبري الذي أشرف على نشره دي خويه في ليدن وصدرت أجزاءه ابتداءً من عام ١٨٧٩ م، فكتب كتابه (المدينة قبل الإسلام) وكتاب (تنظيم محمد للجماعة الإسلامية في المدينة) وغيرها من الكتب عن الإسلام والشرق.

ومن أبرز الدراسات النقدية الغربية ما كتبه الفرنسي دينيه في نقد المستشرق البلجيكي والراهب اليسوعي ذائع الصيت في الغرب لامنس^(١)، وقد أصدر دينيه عدداً من المؤلفات

(١) يعد هنري لامنس Lammens Henri (١٨٦٢-١٩٣٧م) من أسوء من كتب في السيرة النبوية من المستشرقين حيث لم

المتعلقة بسيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كان منها دراسة مفصلة في الرد على كتابات لامنس بعنوان (درس انتقادي لمؤلفات لامنس) نُشرت ضمن مجموعة دراسات لدينيه بعنوان: (آراء غربية في مسائل شرقية)، يقول فيها دينيه عن أساليب وطرق لامنس في الكتابة: "أما الصبغة العلمية التي يرجو الأب لامنس أن يوهم بها بهذا الأسلوب الساذج الذي كان رائجا في العصور الخالية المظلمة، ويستر تحتها حقيقة مقاصده، فصبغة مصطنعة لا يكاد يلمسها النور حتى تتصل..

أحر بالنتائج التي يجنيها هذا الأسلوب أن تكون مدعاة الهزاء والسخرية..

بهذا الأسلوب كتب الأب لامنس كل مؤلفاته بل كتب بعضها بأسلوب أبعد أيضا عن اللباقة، وليس يجري قلمه بألفاظ اللطف والتأدب إلا مع خصوم النبي" (١).

كذلك كتب المؤرخ الإيطالي دانكونا (Dancona) (١٨٣٥-١٩١٤م) دراسة بعنوان: (أسطورة محمد في الغرب) بين في هذه الدراسة كيف زور القوم في أوروبا سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيف بدأ وضعها كبار المبتدعين الأوروبيون مثل شمعون الساحر أو الشماس نقولا في قوالب أسطورية خاصة، وأن أصل واضع الأسطورة الغربية هو المؤرخ البيزنطي ثيوفانس (Theophanes) (٧٦٠-٨٠٠) الذي أكمل التاريخ الذي وضعه صديقه جورجوس سنكلوس.

فقد خلط ثيوفانس سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمفاهيم ومعارف انتزعها من سير الرهبان

يلتزم بالأمانة العلمية، وكانت كتاباته نتاج كراهية وبغض لم تلتزم بأمانة النقل وسلامة المنهج، يقول الأستاذ عبدالرحمن بدوي: "تحامل لامنس على السيرة النبوية تحاملا شديدا، زاعما أن القرآن وحده هو المصدر الذي يعتمد عليه في بيان سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن كتب الأحاديث كلها موضوعة.. وأبشع ما فعله خصوصا في كتابه (فاطمة وبنات محمد) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها، وقد راجعت هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها فوجدت أنه إما أن يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقا في هذه الكتب، أو يفهم النص فهما ملتويا خبيثا، أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن"، موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، (ص ٥٠٤)، "مرجع سابق".

(١) درس انتقادي لمؤلفات لامنس، لديين دينيه، ضمن مجموعة بعنوان (آراء غربية في مسائل شرقية)، تعريب: عمر فاخوري،

(ص ٩٩)، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٥٥م

الذين كانت تُعدهم الكنيسة مبتدعة، وأسقط الأحقاد بين أطراف الكنيسة الغربية على السيرة النبوية ليفسر بها ظروف نشأة الإسلام^(١).

فالغربي المنصف عندما يتحرر فعلا من قيود الموروثات الثقافية، وإذا ما نظر بعين البصيرة في محفوظاته التاريخية والقوالب الفكرية النمطية، وعندما يسلم فعلاً من مؤثرات الكراهية والأحقاد التاريخية، فإنه لا يقبل بما سطرته أقلام التشويه والتزوير، وهذا ليس مرتبطاً فقط بالدعوات الحديثة والمعاصرة للتحرر الفكري أو التقارب بين الأديان أو مساعي المؤسسات الحقوقية فقد ألف الهولندي أدريانوس ريلند (Relandus Adrianus) عام ١٧٠٥م كتاباً باللاتينية ترجمة عنوانه: (في الديانة المحمدية) فحص فيه عن بعض الآراء الباطلة المنتشرة في أوروبا منذ العصر الوسيط حتى القرن السابع عشر عن الإسلام والقرآن والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحاول تصحيحها استناداً إلى القرآن والسنة ومؤلفات المسلمين، وبين في كل فريضة أول من قال بها في الشرق أو في الغرب، وقد عدّه الأستاذ عبدالرحمن بدوي أول أوروبي حاول تبرئة الإسلام من التهم الباطلة^(٢).

كما كشف أستاذنا أ.د. محمد الشرقاوي عن وثيقة تاريخية غربية مهمة ترجع لعام ١٧٠٥م أيضاً، وهي كتاب المستشرق الإنجليزي هنري ستوب (Stubbe Henry) (١٦٣٢-١٦٧٦م) قصة انبثاق المحمدية وتطورها مع سيرة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتبرئته وديانته من افتراءات المسيحيين) فقد قدم ستوب نفسه بهذا الكتاب مدافعاً عن الحق وبكل موضوعية ضد عواصف عاتية من الجهالات تنبض بالكراهية، وفي فترة عصيبة من التاريخ الغربي، فكان ذلك بمثابة مجازفة بنفسه، أو انتحارا إن صح التعبير، ولعل بقاء الكتاب مخطوطاً لأكثر من مائتين وثلاثين عاماً يؤكد لنا مدى خطورة ما فعله ستوب، وقد تضمن كتابه عشرة فصول تهدف لبيان أخطاء المفهوم الغربي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعوته، ولعل أهم هذه الفصول

(١) موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، (ص ٢٤٣) بتصرف، "مرجع سابق".

(٢) انظر: موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، (ص ٣٠٧)، "مرجع سابق".

وأخطرها تلك الفترة هو الفصل العاشر (عدالة الحروب الإسلامية، وتبرئة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موقفه من المسيحيين، وأنه لم ينشر ديانته بالسيف)، وقد دافع في فصول كتابه عن الحق الذي علمه من خلال المصادر التي رجع إليها ككتاب ابن كثير، وكتاب أبي الفداء، وغيرها ووصف الاتهامات والمزاعم الغربية بأنها ساذجة وسوقية وأنها مثيرة للسخرية^(١).

وإذا استعرضنا أسماء أبرز المؤلفات الغربية التي صُنفت لغرض النقد والتصحيح ولهدف بناء معرفي صحيح عن سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نجد العديد من هذه المؤلفات التي قامت على أساس نهج نقد الذات، فمنها:

١- (دفاع عن محمد والقرآن) (Koran the and Muhammad for Apology An) ، لجون دافنبورت (Davenport John) ، والذي صدر بلندن عام ١٨٦٩م.

٢- (دفاع عن محمد) (Mohammad for Apology) ، غ هيجنس (G. Higgins) ، صدر عام ١٩٢٩م.

٣- (محمد في أوروبا ألف سنة من صناعة الأساطير) ، م ريفس، صدر في لندن عام ٢٠٠٠م.
بل صدر من الغرب نفسه دراسة نقدية لكتاب محمد حسين هيكل (حياة محمد) بعنوان: السيرة العربية الحديثة لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دراسة نقدية لكتاب حياة محمد، لـ أ. ويسلس (Wessels A)، وصدرت بليدن عام ١٩٨٢م^(٢).

وقبل أن انتقل إلى سبب آخر أنقل نصا من كلام المستشرق الفرنسي بولانفالييه Bou-lainvilliers (١٦٥٨-١٧٢٢م) والذي يصفه الأستاذ عبدالرحمن بدوي بأنه أول فرنسي يبدي

(١) انظر: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب، لـ أ.د. محمد عبدالله الشراقوي، (ص ٥١)، "مرجع سابق".
وانظر كتاب هنري ستوب نفسه:

Henry Stubbe ,An Account of the Rise and Progress of Mahometanism :With the Life of Mahomet and a Vindication of Him and His Religion from the Calumnies of the Christians, (Nabu Press) 2010 .

(٢) انظر: الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الإنجليزية عرض وتحليل، لمحمد مهر علي، (ص ١٦)، "مرجع سابق".

إعجابا شديدا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالإسلام ومبادئه، يقول بولانفلييه في كتابه (حياة محمد):
"محمد هو ذلك الذي أعانه الله الخالق المطلق لكل ما يجري في الطبيعة:

أولا: من أجل القضاء على وفضح المسيحيين الأرياء في الشرق الذين أفسدوا الدين بمنازعاتهم.

ثانيا: من أجل تدمير مغانم الرومان واليونان، وانتزاع هذه البلاد الجميلة منهم، التي استغلوها في تحقيق أطماعهم وملذاتهم..

ثالثا: من أجل إخضاع الفرس.. ومن أجل عقابهم على ما ارتكبوا في الماضي من فظائع.

وأخيرا: من أجل نشر توحيد الله من الهند حتى إسبانيا، والقضاء على كل عبادة أخرى غير عبادته، وإنها لإنجازات رائعة، لا تتفق مع الفكرة التي أعطونا عن محمد نفسه، فكرة أنه دجال كريبه خبيث"^(١).

فكان بولانفلييه من أوائل من رفض التلقين والفكر الموروث ونقده في زمن كان يُعد فيه النقد أو المخالفة باباً موصداً لا يحق لأحد طرقه.

٨- الحرج الغربي الشديد من الموروثات القديمة والرؤى البالية التي تنبض بالكرهية والجهل.

ليس من السهل على الإنسان أن يتهدى في التمسك بأفكار وآراء لا يسندها دليل، بل ويعارضها العلم والتطور المعرفي، خصوصا إذا ما كانت هذه الآراء تكشف عن حقد في النفوس وكرهيتها الغير مبررة للآخر، فالاعتراف بالخطأ وتصويب أخطاء الماضي التي أصبحت تشكل هوية فكرية غريبة واتجاهها عاما يتطلب شجاعة وقوة وتمسكا بالحقيقة وبعدا

(١) موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، (ص ١٤٣) ترجمة عن مخطوطة كتاب بولانفلييه المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (bis 156.02g) وقال عن هذا الكتاب: "حبذا لو قام أحد الدارسين بتقديم رسالة عن كتاب (حياة محمد) هذا، نظرا لأنه أول كتاب أوروبي تعاطف مع النبي محمد وأعجب بمبادئ الإسلام".

عن الهوى والذاتية، إلا أن الأشد من ذلك هو الوقوف في وجه هذه الموروثات ووصفها بأنها جهالة لا يسندها دليل وأنها إنما تعبر عن أحقاد وكرهية لا تمت للعلم بصلة.

لذلك غالباً ما نجد الحديث عن الحرج والخجل من الموروثات القديمة في موقفها من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مفهوم كلام المستشرقين والغرب عموماً وفي مستلزم حديثهم، ولا نكاد نجده صريحاً وواضحاً إلا لدى قلة من الشجعان الذين غلبوا جانب الموضوعية والصدق على الموروث الثقافي الذي بات يشكل الأنا والذات، انظر إلى حديث المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون وهو يتحدث عن تغيير الموقف الكنسي الغربي من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: "الثورة في التفكير جعلت التقييم المسيحي لمحمد مسألة حساسة، فلم يعد بإمكانهم الزعم الكاذب بأنه "محتال" كما كان عليه الحال في العصور الوسطى"^(١).

فكما وصف رودنسون زعم العصور الوسطى في حق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه كذب بكل شجاعة وقوة، نجده يصف الحرج والخجل من هذا الموقف بأنه "مسألة حساسة" وأنه "لم يعد بالإمكان الزعم..". فمفهوم القول واضح وكاف في الإشارة للحرج والموقف المخجل الذي يستحيل التمسك به أو إظهار تبنيه.

ونجد الإشارة إلى هذا الحرج أكثر وضوحاً وصراحة وشجاعة في كلام المستشرق الفرنسي هنري دي كاستري (١٨٥٠-١٩٢٧م) إذ يقول: "ولست أدري: ما الذي يقوله المسلمون لو علموا أقاصيص القرون الوسطى، وفهموا ما كان يأتي في أغاني القُوال من المسيحيين! فجميع أغانينا حتى التي ظهرت قبل القرن الثاني عشر - صادرة عن فكر واحد، كان السبب في الحروب الصليبية، وكلها محشوة بالحق على المسلمين، للجهل الكلي بديانتهم"^(٢).

(١) الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية، لـ مكسيم رودنسون، (١/٩٥)، ضمن مجموعة أبحاث بعنوان تراث الإسلام تصنيف: شاخت وبوزورث، "مرجع سابق".

(٢) الإسلام خواطر وسوانح، لـ المستشرق الفرنسي هنري ديكاستري، (ص ٣٠)، مكتبة الناظمة، ٢٠٠٨م، ط ١.

كما نجده بشكل أكثر وضوحا وشجاعة في كلام سابقه المستشرق توماس كارليل (Carlyle Thomas) (١٧٩٥-١٨٨١م) الذي يعبر بكل صراحة عن خجله من هذه الموروثات، فيقول: "لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب وأن محمدا خداع مزور وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة"^(١).

فهنا نرى أن البعض من القوم لم يستطع كتم هذا الحرج وأشار إليه بما يؤكد خجله من هذا الخزي والافتراء، وهو ما يستحق الإشادة والوقوف مع هذا الموقف الشجاع حتى نجده أكثر تكررا وانتشارا في الغرب، ولنكون إعلاما ومنصة للنشر تضغط على من ظل يتمسك بموروث الحقد والكرهية تجاه نبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذي لا زال يجد في الغرب كل دعم من وسائل الإعلام، وخاصة الإعلام الجديد وقنواته.

٩- تأثير تغير موازين القوى العالمية، وانخفاض القوة العسكرية والاقتصادية الغربية والتي كانت عامل هيمنة واستعلاء غربي.

فإذا ما نظرنا للغرب في لغة خطابه مع الآخر أزمنا القوة والاستعمار والسيطرة وإحكام النفوذ الكامل على الشرق وما صاحبها من استخفاف بالآخر ومعتقداته ومقدساته، وقارنا كل ذلك مع الأزمنة بعد سقوط الاستعمار وانخفاض الهيمنة العسكرية نجد هذه اللغة في الخطاب وهذه الأفكار قد أخذت بالضعف والتخفيف من الحدة شيئا فشيئا.

فالأفكار والتصورات التي تصدر من عقلية المسيطر والمهيمن والتي ظهرت أزمنا الاستعمار العسكري وفي ظل جيوش غربية تحكم قبضتها على دول الشرق وشعوبه، كانت تجد الجراءة في التناول على ديانة الشرق ومقدساته، وقد تغذت هذه القوى بموروثات فكرية

(١) الأبطال، لـ توماس كارليل، تعريب: محمد السباعي، (ص ٥٤)، "مرجع سابق".

واعتقادية مغرصة جعلت حاجزا بينها وبين قيم الشرق الدينية والخلقية وما صنعه الإسلام ونبهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حضارة إنسانية عظيمة في مختلف جوانبها، خاصة بعدما أثبتت الحربين العالمية الأولى والثانية هشاشة المنظومة الغربية الاجتماعية والخلقية بل ضعف المنظومة القانونية الغربية أيضاً^(١)، يقول المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون: "أدت حرب ١٩١٤ - ١٩١٨م إلى زعزعة ثقة الحضارة الأوروبية بنفسها من حيث إيمانها بالتقدم غير المحدود في الاتجاه الذي كانت تسير فيه وبدأ تزعزع التعصب العرقي الأوروبي..

وقد نشر شبلنجر (Spengler.O) بعيد الحرب كتابه المذهل "تدهور الغرب" .. وكتب لوتروب ستودارد الأمريكي (Stoddard Lothrop) كتابا بعنوان ذي مغزى (العالم الجديد للإسلام)^(٢).

فقد أوقفت هذه الحروب الغرب أمام نفسه، وجعلته يراجع مواقفه تجاه الآخر، وأخذت به نحو تقييم هذه المواقف وما استندت عليه من استعلائية وذاتية انكشف بريقها المزيف، يقول الدكتور بنسالم حميش: "في القرن العشرين وبالأخص طيلة عقود الثلاث الأولى بقي الاستشراق عامة متأثرا بالمركزية الأوروبية المبنية على الاعتقاد بمحورية النموذج الحضاري الأوروبي، وعلى تهميش أو ازدراء ما سواه.. ونشطوا في مناهضة الإسلام بالأدلة القروسطوية وما شابهها، مهيدين السبل إلى تمسيح المستعمرين وهديمهم إلى دين الكنيسة..

ولم يتخلص المستشرقون بوجه عام من هذه الأفكار والأحكام المسبقة إلا بفعل عوامل مؤثرة نذكر منها: الحرب العالمية الأولى والثانية اللتان كان من مضاعفات هولهما الإيديولوجي والتدميري أن أضعفتا ثقة الإنسان الغربي بتفوقه الحضاري والعقلي وبثنا فيه إحساسا بنسبية

(١) انظر: حول الاستشراق الجديد، لعبدالله الوهبي، (ص ٤٤)، "مرجع سابق".

(٢) الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية، لمكسيم رودنسون، ضمن مجموعة بعنوان: (تراث الإسلام)، (ص ٩٠)، "مرجع سابق".

مواقعه وقيمه، فالحق الانشقاق والتناقض أنظمتها الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية^(١). ونحن نشهد اليوم في الواقع المعاصر مزيدا من تبدل وتغير موازين القوى العالمية وظهور قوى عسكرية واقتصادية جديدة تضارع قوى الغرب إن لم تكن تفوقه سواء في روسيا أو في الصين، بالإضافة لظهور وبزوغ قوى أخرى من الدول الشرقية ككوريا والهند وغيرها، مما يضغط على مواقف الغرب مع الآخر ويضعف حدة خطابه معه، ويحتم عليه مراجعة مواقفه وأفكاره خاصة في القضايا بالغة الحساسية والتي تمس المعتقدات المقدسة، كسيرة نبي يتجاوز أتباعه اليوم مليار إنسان في مختلف أنحاء العالم.

١٠ - ظاهرة الإسلاموفوبيا وتنامي التشوية والتخويف من الإسلام

وهذا العامل كما سيرى القارئ يسير بالموقف الغربي إلى عكس اتجاه العوامل السابقة ليعيده إلى نقطة البداية ويسير به إلى مواقف العصور الوسطى.

فالإسلاموفوبيا ظاهرة عالمية غربية على وجه الخصوص تهدف إلى بث الخوف من الإسلام كدين سريع الانتشار يفرض نفسه بالقوة والسلاح على الآخر وفق منظورها، مما يشعر الآخر والغرب تحديدا بتهديد لحضارته وتهديد لثقافته وتعرض مصالحه لخطر الإسلام، وبالتالي فإن الشعور بالخوف والإحساس بالرعب تجاه الإسلام كدين وكأجندة دموية وإقصائية ولد شعورا بالكراهية والبغض لنبية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولن يعوز متطرفو الغرب ممن تبنوا وحملوا على عاتقهم الدعاية والترويج للإسلاموفوبيا دليلا أو سببا لبث الكراهية والرعب ضد نبي الإسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه، فالتقليب في مخلفات وجهالات العصور الوسطى كفيلا بأن يمددهم بكل ما يحقق مصالحهم وأهدافهم، وقد أشرت في بداية البحث إلى شيء من هذه الجهالات والضلالات، لذلك سأكتفي بالإشارة إلى بعض

(١) العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، لـ بنسالم حميش، (ص ٤١)، دار الشروق - القاهرة، ٢٠١١ م، ط ١.

الدعوات الغربية المتطرفة التي خرجت عن إطار البحث العلمي، وتغذت في منابع الحقد والعنصرية والكرهية، وقامت بحملات وكتابات لتشويه صورة النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحض على معاداة أتباعه، مما لمسنا أثره في الصور المسيئة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحوادث القتل والاغتيال ضد مسلمي الغرب من المدنيين والأبرياء بل ممن كان لهم أدوار فاعلة في النهضة الغربية المعاصرة.

ومن أبرز كتاب الغرب الذين لهم جهد كبير في صناعة الرعب (الإسلاموفوبيا) تجاه الإسلام ودينه روبرت سبنسر (Spencer Robert) المعمد في الكنيسة الكاثوليكية اليونانية، وقد ألف العديد من الكتب التي تحض على الكراهية والتشويه لسيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها الكتاب الذي نشره عام ٢٠٠٢م (الحقيقة حول محمد) والذي يتهم فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتحريض على قتل اليهود وخرق اتفاقية صلح الحديبية والتسبب في أزمات عالمية لا تزال إلى اليوم وأن دينه من أقل الأديان تسامحا في العالم، وفي كتابه (كشف الإسلام) (Unveiled Islam) لذي بناه على الأكاذيب والخلط والتشويه عقد عدة فصول لتشويه الإسلام، فمنها:

- فصل: هل الإسلام دين سلام؟

- فصل: هل يحترم الإسلام حقوق الإنسان؟

- فصل: هل يحترم الإسلام المرأة؟

- فصل: هل الإسلام متسامح مع غير المسلمين؟

وبعد ملء كل هذه الفصول بالتلفيق والتدليس والخلط يسوق فصلاً ختامياً بعنوان: هل

الغرب حقاً ليس لديه ما يخشاه من الإسلام؟

Does the West Really Have Nothing to Fear from Islam?

وبعد أن مارس التشويه لصورة الإسلام في هذا الفصل وأتى بالأكاذيب وأسقط الجماعات الإرهابية على الإسلام نفسه يقول في ختام الفصل والكتاب: "وسواء أصبح الإسلام مهيمناً في أوروبا الغربية أو في أي مكان آخر في الأراضي المسيحية السابقة، فإن الحروب لن تنتهي"^(١).

كذلك القس إروين لوتزر (Lutzer W Erwin) الذي نشر عشرات من الكتب التي تضمنت التخويف من الإسلام وانتشاره في الغرب على وجه الخصوص، يقول في كتابه الذي صدر عام ٢٠١٣م بعنوان: (الصليب في ظل الهلال): "إذا كانت أوروبا فطنة، فيمكننا أن نتوقع هجمة من القيود التي ستفرض علينا نحن غير المسلمين لأننا نسعى لاستيعاب دين هدفه المعلن هو غزو العالم، بسلام إن أمكن، وإلا فبالقوة والإرهاب إذا لزم الأمر"^(٢).

فهذه أمثلة معاصرة لظاهرة (الإسلاموفوبيا)، وما هي إلا نماذج لتوضيح كيف تدفع الأصولية الغربية المتطرفة في إثارة الأحقاد وتشويه صورة الإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا فمثل هذه النماذج كثيرة ومتعددة، ولا يهدف البحث إلى استقصائها.



-
- (1) Robert Spencer, Islam Unveiled, Encounter Books, 2003, P176. (Whether or not Islam ever becomes dominant in Western Europe or elsewhere in the former lands of Christendom, the wars will not end).
- (2) Erwin W Lutzer, The Cross in The Shadow of The Crescent, harvest House, P221. (If Europe is instructive, we can expect an onslaught of restrictions that will be imposed upon us non-Muslims as we seek to accommodate a religion whose stated goal is to conquer the world, peacefully if possible, but by force and terrorism if necessary).

الخاتمة

إن سيرة النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي منحة ربانية للبشر كافة، من أراد منهم الهدى والرشاد، وقد أخبر سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فهو يهدي إلى الاستقامة بقوله وفعله وشأئله وصفاته، وهو الأنموذج المثالي لما ينبغي أن يكون عليه حال الإنسان في أخلاقه ومعاملاته وسائر شؤونه، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقد سعى المغرضون من الغرب والشرق إلى النيل من سيرته ومحاوله تشويه صورته قرونا طويلا وبذلوا جهودا مضنية في سبيل ذلك تأليفا ورسما وتحريضا بكافة السبل، فكان نهاية جهود التشويه والتزوير والشر أن انكشف كل ذلك أمام العالم أجمع، وزاد أتباعه ومحبيه، ذلك أن الله عَزَّجَلَّ قد تكفل - وهو القادر - بكفايته، كما أخبر سبحانه في التبيان الحكيم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

وأخيرا أشير إلى أن هذا البحث قد تضمن أقوالا من أعلام الغرب والمؤثرين في فكره قادتهم المنهجية العلمية، وساقهم التجرد والموضوعية إلى وصف الحقيقة ونبذ الباطل والبهت، إلا أن ذلك لا يقتضي التسليم لهم في جميع ما صدر عنهم من مسائل أخرى ربما جانبهم فيها الصواب أو أعيتهم البراهين والبحث.

التوصيات:

١- التأكيد على أهمية ترجمة المصادر الأولية للسيرة النبوية، وكتب السيرة الصحيحة إلى اللغات الغربية وعموم اللغات العالمية حتى يتمكن الغرب والعالم من الاطلاع على السيرة النبوية الصحيحة، والتي سُطرت وفق وثق المناهج البحثية في نقل الخبر الصحيح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- التأكيد على توظيف أوعية النشر العلمية والثقافية المؤثرة في الغرب والعالم بشكل عام من مجلات وصحف ومواقع الكترونية في نشر الصورة الصحيحة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وسيرته باللغات العالمية، بحيث تطرح سيرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشكل صحيح أمام جميع الثقافات والشعوب في العالم، ولا يترك المجال لجهة مبغضة أو طائفة متطرفة لتقوم بتشويه صورة هذا النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمسمى التعريف به أو غير ذلك من المسميات لتحقيق بذلك تطلعات ذاتية أو أيديولوجيات متطرفة.

٣- دعوة الموسوعات العلمية الغربية تجديد النظر فيما احتوته موادها العلمية المتعلقة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالعلوم والمعارف هي دائما بحاجة للتجديد والتقويم والتصحيح، حتى تتواكب مع المنهجيات السليمة والصحيحة في البحث، ولتعبّر عن واقع معرفي صحيح، وتطرح ما أصبح معلوما لدى الباحثين والمثقفين بأنه لا يمت إلى الحقيقة والصواب بصلة.

٤- التمسك بالمنهجية العلمية والموضوعية في التعريف بسيرة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحاولة البعد عن العواطف ومؤثرات الخلفية الدينية في الطرح التعريفي بالسيرة النبوية أمام الآخر، لأن حديث المسلم عن نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو موضع التشكيك والتجريح عند غير المسلمين، وفي ظل تمسك غير المسلم بدعوى المنهجية والموضوعية فإن المنهجية العلمية تصبح مطلبا ملحا وليس خياراً.

٥- تفعيل المواقف الإيجابية التي وقفها كبار كتاب الغرب ومفكره في نقد ونبذ مواقف الكراهية والجهل والتطرف الغربية المبينة على الموروثات القديمة، وذلك بترجمة ونشر مؤلفاتهم، ونشر أقوالهم في مختلف وسائل الإعلام ومنابر الحوار العالمية لما لهم من مكانة في الغرب، ولكونهم يمثلون الهوية الغربية المنصفة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل في رضاه، وأن يوفقنا جميعا لصالح القول والعمل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه.



المصادر والمراجع

- ١ - الأبطال، لتوماس كارليل، تعريب محمد السباعي، المكتبة التجارية بالقاهرة عام ١٩٣٠م، ط ٢.
- ٢ - الأدب العربي في مدونات المستعربين، لـ أ.د.عاصم حمدان، نادي المدينة المنورة الأدبي عام ٢٠١٧م، ط ١.
- ٣ - الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن)، لعبدالله النعيم، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧م، ط ١.
- ٤ - الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، لـ إدوارد سعيد، رؤية للنشر، ٢٠٠٨م، ط ١.
- ٥ - الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، لـ أ.د.محمد الشرقاوي، دار البشير، ٢٠١٦م، ط ١.
- ٦ - الإسلام بين الشرق والغرب، لعلي عزت بيجوفيتش، مؤسسة العلم الحديث - بيروت، ١٩٩٤م، ط ١.
- ٧ - الإسلام خواطر وسوانح، للمستشرق الفرنسي هنري ديكاستري، مكتبة النافذة، ٢٠٠٨م، ط ١.
- ٨ - الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الإنجليزية، لمحمد مهر علي، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠١٣م.
- ٩ - تاريخ الأدب العربي، لـ كارل بروكلمان، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
- ١٠ - تاريخ الاستشراق وسياساته، لـ زكاري لوكمان، ترجمة: شريف يوسف، دار الشروق - القاهرة، ٢٠٠٧م، ط ١.
- ١١ - تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى، لـ وليام مونجمري وات، طبع جسور للترجمة - بيروت، ٢٠١٦م، ط ١.

- ١٢- تاريخ حركة الاستشراق، ليوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم، دار قتيبة، ط ١، ١٩٩٦ م.
- ١٣- تاريخ الحضارة، لشارل سنيوبوس، تعريب: محمد كردعلي، مطبعة الظاهر - القاهرة.
- ١٤- الحروب الصليبية، لآرنست باركر، دار النهضة العربية - بيروت.
- ١٥- حكم النبي محمد، ليو تولستوي، بعناية وتعليق د. محمود النجيري، مكتبة النافذة - القاهرة، ٢٠٠٨ م ط ١.
- ١٦- الحوار المسيحي - الإسلامي دراسة لإحدى الوثائق، لـ د. عبد الحميد مذكور، ضمن مجموعة أبحاث جمعها ونشرها: د. أحمد هويدي بعنوان: (إشكالية المنهج في دراسة الأديان)، دار الثقافة العربية، ٢٠١٨ م، ط ١.
- ١٧- حول الاستشراق الجديد، لعبدالله الوهبي، مركز البحوث والدراسات بمجلة البيان، ١٤٣٥ هـ، ط ١.
- ١٨- حياة محمد، لـ إميل درمنغهم، ترجمة: عادل زعيتر، دار العالم العربي - القاهرة ٢٠١٣ م - ط ١.
- ١٩- صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري (ت: ٢٥٦)، دار الأرقم - بيروت.
- ٢٠- دائرة المعارف الإسلامية، لمجموعة من المستشرقين، طبع مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨ م، ط ١.
- ٢١- درس انتقادي لمؤلفات لامنس، لـ إيتين دينيه، ضمن مجموعة بعنوان آراء غربية في مسائل شرقية، تعريب: عمر فاخوري، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٥٥ م.
- ٢٢- السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية دراسة تحليلية لما كتب تحت مادة (محمد: النبي ورسالته)، د. وليد بليهش العمري.

- ٢٣- الشرق في نظر الغرب ضمن مجموعة بعنوان آراء غربية في مسائل شرقية، لإيتين دينيه، تعريب: عمر فاخوري، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٥٥م.
- ٢٤- شمس العرب تسطع على الغرب، لزيغريد هونكه، دار صادر - بيروت.
- ٢٥- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ٢٠٠٤م، ط ١.
- ٢٦- الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية، لمكسيم رودنسون، ضمن مجموعة تراث الإسلام التي وضعها المستشرق شاخت، المجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون، ١٩٨٨م.
- ٢٧- العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، لبنسالم حميش، دار الشروق - القاهرة ٢٠١١م، ط ١.
- ٢٨- القرآن الكريم في دوائر المعارف الاستشراقية، د.حميد الحميد، ضمن أبحاث ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية والتي أصدرها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ٢٩- القرآن والتوراة والإنجيل دراسة في ضوء العلم الحديث، لموريس بوكاي، ترجمة: عادل يوسف، دار الأهلية للنشر - لبنان، ٢٠٠٩م، ط ١.
- ٣٠- الكوميديا الإلهية، لدانتي أليغييري، ترجمة: أ.حسن عثمان، دار المعارف، ط ٢.
- ٣١- المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ل.أ.د. محمد البهي، مطبعة الأزهر.
- ٣٢- محمد رسول الله، لإيتين دينيه، ترجمة: د.عبدالحليم محمود، ود.محمد عبدالحليم، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٩٨٥م.

- ٣٣- محمد في مكة، لـ وليام مونجمري وات، ترجمة: عبدالرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
- ٣٤- محمد نبي لزماننا، لـ كارين أرمسترونج، ترجمة: فاتن الزلباني، مكتبة الشروق الدولية - القاهرة، ٢٠٠٨م، ط ١.
- ٣٥- المستشرقون، لـ نجيب العقيقي، دار المعارف - مصر، ط ٤.
- ٣٦- ملاحظات على مساهمات المستشرقين في الدراسات القرآنية، لـ أ.د. شتيفان فيلد، منشور ضمن أبحاث ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٦م.
- ٣٧- مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، لـ أ.د. حلمي صابر، طبعة إيجبت ستار، ٢٠٠٠م، ط ٢.
- ٣٨- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، لـ د. عبدالعظيم الديب، مطابع مؤسسة الخليج، ١٤١١هـ، ط ١.
- ٣٩- الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، لـ أ.د. سهيل زكار، دار الفكر - بيروت.
- ٤٠- موسوعة المستشرقين، لـ عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط ٥، ٢٠١٥م.
- ٤١- موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، لـ د. أكرم ضياء العمري، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ، ط ١.



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

Kingdom of Saudi Arabia,
Madina, Endowment for Cherishing
the Two Glorious Revelations,
Serving the Glorious Quran and the Elevated Sunnah
in the Illumed City of the Prophet ﷺ



Journal of Cherishing the Two Glorious Revelations

**A scholarly, refereed periodical journal,
specializing in research related to the Glorious
Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah**

Vol. 10, Issue 6, 1443 AH - 2022



All rights reserved for Journal of Cherishing
the Two Glorious Revelations

**Ministry of Culture and Information license
No. 8044, dated 14/4/1436AH**

**ISBN 1438/9939
28/1/1438AH
ISSN 1658-774X**

Contact Information

All correspondence should be addressed to the editor-in-chief

mjallah.wqf@gmail.com

Journal of cherishing the Two Glorious Revelations, Endowment of Cherish-
ing The Two Glorious Revelations, Al-Hada Districtm Madinah, P.O.

Box 51993, Post code 41553, Kingdom of Saudi Arabia

Phone No. +966148493009

Mobile & WhatsUp No. +966535522130

Twitter: @Journaltw

Web Site: WWW.JOURNALTW.COM



In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful

The opinions expressed in this publication are those of the authours.

Endowment for Cherishing the Two Glorious Revelations

About us:

An institutional endowment devoted to serving the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah, by underlining their guidance and fulfilling their aims.

Historical background:

The endowment was established in 1428AH, initially as, **Project for Cherishing the Glorious Qur'an**. In 1434AH the Project became a community development center under the nomenclature, **Center for Cherishing the Glorious Qur'an**. Yet, in 1436AH, the center was further developed to be an independent entity under the title, Endowment of Cherishing the Two Glorious Revelations.

Our Vision:

Extolling the acts of cherishing the Two Glorious Revelations and promoting their studies both locally and internationally.

Our Mission:

To promote cherishing the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah throughout Muslim communities, by highlighting their aims and objectives, and underlining their guidance.

Our Aims:

- 1- Highlighting the glories of the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah and making their rights known.
- 2- Defending the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah and refuting the calumny leveled against them.
- 3- Furthering research studies and training programs related to the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah.



Journal of Cherishing the Two Glorious Revelations

About the JCTGR and its Aims:

JCTGR is a scholarly, refereed periodical journal, specializing in research related to the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah. It publishes research and contributions - both on paper and electronically - of university professors, specialists and all those concerned with the sciences of the Two Glorious Revelations.

JCTGR's Vision:

To be a beacon for research conducive to the service of the Two Glorious Revelations that is resultant in cherishing them.

JCTGR's Mission:

Refereeing and publishing serious scholarly, genuine research in the fields germane to its speciality in Qur'anic and Sunnah studies.

JCTGR's Aims:

- 1- Publishing scholarly research specialized Qur'anic and Sunnah studies.
- 2- Enriching scientific areas in the field Qur'anic and Sunnah studies.
- 3- Encouraging researcherstocontribute,andmeetingtheirneedsbygetting their research published.
- 4- Providing a platform for the highest standards of scholarly publication and research in Qur'anic and Sunnah studies.
- 5- Paving the way for innovative, encyclopedic, scientific projects in Qur'anic and Sunnah studies.
- 6- Reinforcing the varied activities of the Endowment with serious research related to its work and goals.



General Supervisor

Prof. Imad b. Zuhair Hafidh

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah

Deputy General Supervisor

Prof. Ahmad b. Abdullah Sulaymani

Professor of Qur'anic Modes of Reading, Islamic University,
Madinah

Editor-in-Chief

Prof. Hikmat b. Bashir Yaseen

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah

Managing Editor

Dr. Yasir b. Ismail Radi

Associate Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Taibah University,
Madinah



Editorial Board Members

Prof. Abdulaziz b. Salih al-Obaid

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah

Prof. Abdullah b. Muhammad Hassan Damfo

Professor of Hadith, Taibah University, Madinah

Prof. Hussein b. Muhammad al-Awaji

Professor of Qur'anic Modes of Reading, Islamic University, Madinah

Prof. Abdullah b. Eid al-Jarboi

Professor of Hadith, Islamic University, Madinah

Prof. Basim b. Hamdi Hamid al-Sayyid

Professor of Qur'anic Modes of Reading, Islamic University, Madinah

Prof. Dr. Amin b. Aish al-Mozaini

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University,
Madinah



Advisory Panel

Prof. Muhammad Sidi Muhammad al-Amin

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah, KSA.

Prof. Muhammad Yakoob Turkustani

Professor of Arabic Language, Islamic University, Madinah, KSA.

Prof. Zain al-Abidin Bilafreej

Professor of Higher Education, Hassan II University, Casablanca, Morocco.

Prof. Said Falih al-Mughamasi

Professor of Educational Administration, Islamic University, Madinah, KSA.

Prof. Ghazi Ghazzai al-Mutairi

Professor of Propagation and Islamic Culture, Islamic University, Madinah, KSA.

Prof. Nabil Muhammad al-Jawhari

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah, KSA.

Prof. Muhammad Abdulaziz al-Aawaji

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah, KSA.

Prof. Ahmad b. Ali al-Sudais

Professor of Qur'anic Modes of Reading, Islamic University, Madinah, KSA.

Prof. Abdulrahman b. Maadah al-Shehri

Professor of Qur'anic Studies, King Saud University, Riyadh, KSA.

Dr. Almuthanna b. Adulfattah Mahmood Mahmood

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah, (Jordan).

Prof. Salim b. Muhammad Salim Ibrahim

Expert in Strategic Planning, Quality and Academic Accreditation, Islamic University, Madinah, (Egypt).

Dr. Waleed Bleyhesh al-Amri

Associate Professor of Translation Studies, Taibah University, KSA.

Dr. Eisa b. Muhammad al-Qaidi

Associate Professor of Communication and Media, Taibah University, KSA.





Abstract of Articles

Table of content

Translation of the Eighth Edition research abstracts

**CONCERN OF THE QUR'AN TOWARD THE EXISTING HUMAN ORGAN THEMATIC STDY....
.....366**

Dr. Fuad bin Abdul Mun'im Suqair al-Sulami

**SINFUL ADMISSION BETWEEN ACCEPTANCE AND REJECTION: THEMTIC STUDY OF THE
QUR'AN).....372**

Dr. Abdul Baqi bin Abd al-Rahman Sisi

**EXEGETICAL UNDERSTANDING OF SURAH AL-MASAD: NARRATION AND COGNITION ...
.....382**

Dr. Afnan Mustafa al-Dibani

**INTERRELATED ANSWERS TOWARD FAITHFUL QUESTION IN THE QUR'AN AND ITS IMPACT
IN ASCERTAINING THEOLOGICAL CONCEPT: APPLIED STUDY TOWARD VERSES WITHIN
THE SURAH AL-TUR.....393**

DR. IN'AM MUHAMMAD UQAIL

**METHOD OF IBN HISHAM (d.218H) IN GIVING EXEGETICAL UNDERSTANDING TOWARD
VAGUENESS OF THE QUR'AN AND ITS EVIDENCES AS APPEARED WITHIN SIRAH IBN ISHAK
(d.150H).....401**

Dr. Nayef bin Saeed bin Jam'n al-Zahrani

**THE CHANGE UNDERSTANDING OF THE WEST TOWARD THE BIOGRAPHY OF THE PROPH-
ET (PBUH) BETWEEN MEDIEVAL PERIOD AND MODERN HISTORY: ANALYTICAL STUDY ON
ITS CAUSES AND IMPACT.....412**

Dr. Ibrahim bin Khalil Mazhar



(1)

CONCERN OF THE QUR'AN TOWARD THE EXISTING HUMAN ORGAN THEMATIC STUDY

Dr. Fuad bin Abdul Mun'im Suqair al-Sulami

Research Objective

Elaborating the Qur'anic concerns on human organ through the study of verses relates with those aspects.

Problem Statement

The research problem represented with the response towards these following questions:

- What the understating the underlying concept human organs in the Qur'an?
- Does the Qur'an concern toward the existing human organs?
- Does the concern of the Qur'an cover the whole aspect of human organs?

Research Findings

- The Qur'an highlights the whole aspects of the existing human organs
- There are number of verses in the Qur'an relates with human efforts with the use of hands

Keywords:

concerns, organ, preservation, human being, phenomena



Bibliography

First: **The Holy Qur'an.**

Second: Research references

1. Abu Dawood, Suleiman bin Al-Ash'ath bin Ishaq bin Bashir bin Shaddad bin Amr Al-Azdi Al-Sijistani, **Sunan Abi Dawood**, (died: 275 AH), investigation: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Al-Asriya Library - Beirut, Saida, (W.E), (W.D).
2. Abu Ya'la, Ahmed bin Ali bin Al-Muthanna bin Yahya bin Isa bin Hilal Al-Tamimi Al-Mosli, **Musnad Abi Ya'la**, (died: 307 AH), investigation: Hussein bin Salim Asad, Al-Mamoun Heritage House - Damascus, 1st, 1404 AH.
3. Al-A'asha, Maymun bin Qais bin Jandal bin Sharaheel bin Auf bin Saad bin Dubay'a from Bani Qais bin Tha'labah, **Diwan Al-A'asha Al-Kabeer**, (died: 629 AH), Investigation: Muhammad bin Hussein, Library of Arts - Cairo, (W.E), (W.D).
4. Al-Albani, Abu Abd al-Rahman Muhammad Nasir al-Din ibn al-Hajj Noah ibn Najati ibn Adam al-Ashqudari, **Silsilat Al-Ahadith Al-Sahihah Wa Shay' Min Fiqhiha Wa Fawayidiha**, (died: 1420 AH), Al-Ma'rifah Library for Publishing and Distribution - Riyadh, 1st Ed, (W. D).
5. Al-Albani, Abu Abd al-Rahman Muhammad Nasir al-Din ibn al-Hajj Noah ibn Najati ibn Adam al-Ashqudari, **Sahih Sunan Abi Dawood**, (died: 1420 AH), Ghiras Publishing and Distribution Foundation - Kuwait, 1st, 1423 AH.
6. Al-Albani, Abu Abd Al-Rahman Muhammad Nasir Al-Din ibn Al-Hajj Noah ibn Najati ibn Adam al-Ashqudari, **Sahih Al-Targheeb Wa Al-Tarhib**, (died: 1420 AH), Al-Ma'rif Library - Riyadh, 5th Ed, (W.D).
7. Al-Asbahani, Abu Naim Ahmed bin Abdullah bin Ahmed bin Ishaq bin Musa bin Mahran, **Hilyat Al-Awlia Wa Tabaqat Al-Asfia**, (died: 430 AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 4th Ed, 1405 AH.
8. Albani, Abu Abd Al-Rahman Muhammad Nasir Al-Din ibn Al-Hajj Noah ibn Najati ibn Adam Al-Ashqudari, **Sahih al-Jami Al-Sagheer Wa Ziadatuh**, (died: 1420 AH), Islamic Office - Beirut, 3rd Ed, 1408 AH.

9. Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughirah Ibn Bardazba Al-Ja'fi, **Sahih al-Bukhari Al-Musamaa Al-Jami Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Min Omur Rasul Allah Salaa Allah Alayh Wa Salam Wa Sunanuh Wa Ayaamuh**, Investigation: Muhammad bin Zuhair Al-Nasser, Dar Tawq Al-Najat, (W.P), 1st , 1422 AH.
10. Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz, **Se'yar 'A'alam Al-Nubala**, (died: 748 AH), Dar al-Hadith - Cairo, 1427 AH.
11. Al-Hakim, Muhammad bin Abdullah bin Hamdawayh bin Naim Al-Dhabi, Al-Tahmani Al-Naysaburi, known as Ibn Al-Bay` Abu Abdullah, **Al-Mustadrak Ala Al-Sahihayn**, investigation: Mustafa bin Abdul-Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st, 1411 AH.
12. Al-Haythami, Abu Al-Hasan Nour Al-Din Ali bin Abi Bakr bin Suleiman, **Majmae Al-Zawayid Wa Manbae Al-Fawayid**, (died: 807 AH), Investigation: Husam Al-Din Al-Qudsi, Al-Qudsi Library - Cairo, (W.E), 1414 AH.
13. Al-Khazen, Alaa Al-Din Ali bin Muhammad bin Ibrahim bin Omar Al-Shehi Abu Al-Hassan, **Tafsir Al-Khazen Al-Musamaa Lobab Al-Ta'awil Fi Maeani Al-Tanzil**, (died: 741 AH), investigation: Muhammad bin Ali Shaheen, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st, 1415 AH
14. Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa, **Tafsir Al-Maraghi**, (died: 1371 AH), Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press - Egypt, 1st, 1365 AH.
15. Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din, **Tafsir Al-Qurtubi Al-Musamaa Al-Jamie Li Ahkam Al-Quran**, (died: 671 AH), Investigation: Hisham bin Samir Al-Bukhari, Dar Alam Al-Kitab - Riyadh, 1423 AH.
16. Al-Qushayri, Abdul Karim bin Hawazin bin Abdul-Malik bin Talha Al-Naysaburi, **Tafsir Al-Qushayri Al-Musamaa Latayif Al-I'sharat**, (died: 465 AH), investigation: Ibrahim Al-Basiouni, 3rd Ed, General Egyptian Book Authority - Egypt.
17. Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Tamimi Al-Razi, As Know Fakhr Al-Din, Khatib Al-Rayi, **Tafsir Al-Razi Al-Musamaa Mafatih Al-Ghayb Aw Al-Tafsir Al-Kabeer**, (died: 606 AH), Dar Ihya Al-Torath Al-Arabi - Beirut, 3rd , 1420 AH.

18. Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser bin Abdullah, **Tafsir Al-Saadi Al-Musamaa Taysir Al-Karim Al-Rahman Fi Tafsir Kalam Al-Manan**, (died: 1376 AH), investigation: Abdul Rahman bin Mualla Al-Luhaiq, Al-Resala Foundation - Beirut, 1st, 1420 AH.
19. Al-Safadi, Salah Al-Din Khalil bin Aybak bin Abdullah, **Al-Wafi Bi Al-Wafiyat**, (died: 764 AH), investigation: Ahmed Al-Arnaout, and Turki Mustafa, Dar Ihya Al-Torath Al-Arabi - Beirut, 1420 AH.
20. Al-Sahib bin Abbad, Ismail bin Abbad bin Al-Abbas Abu Al-Qasim Al-Talqani, **Al-Mohit fi Al-Lughah**, (died: 385 AH), investigation: Muhammad bin Hassan Al Yassin, Alam Al-Kutub, Beirut, 1st, 1414 AH.
21. Al-Samani, Abu Al-Muzaffar Mansour bin Muhammad bin Abdul-Jabbar bin Ahmed Al-Marwazi Al-Tamimi Al-Hanafi and then Al-Shafi'I, **Tafsir Al-Qur'an**, (died: 489 AH), investigation: Yasser bin Ibrahim, Ghunaim bin Abbas, Dar Al-Watan - Riyadh, 1st, 1418 AH.
22. Al-Shaarawi, Muhammad Metwally, **Tafsir Al-Shaarawy**, (died: 1418 AH), Akhbar Al-Youm Press - Egypt, 1997 AD.
23. Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed bin Ayoub bin Mutair Al-Lakhmi Al-Shami Abu Al-Qasim, **Al-Muejam Al-Awsat**, (died: 360 AH), investigated by: Tariq bin Awad Allah and Abdul Mohsen Al-Husseini, Dar Al-Haramain - Cairo.
24. Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed bin Ayoub bin Mutair Al-Lakhmi Al-Shami Abu Al-Qasim, **Al-Muejam Al-Kabeer**, (died: 360 AH), Investigation: Hamdi bin Abdul Majeed Al-Salafi, Ibn Taymiyyah Library - Cairo, 1st, 1415 AH.
25. Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb Al-Amali Abu Jaafar, **Tafsir Al-Tabari Al-Musamaa Jami' Al-Bayan An Tawil Ay Al-Qur'an**, (died: 310 AH), investigation: Ahmed bin Muhammad Shaker, Al-Risala Foundation - Beirut, 1st, 1420 AH.
26. Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa bin Surah bin Musa bin Al-Dahhak Abu Issa, **Jami' Al-Tirmidhi**, (died: 279 AH), investigation: Bashar Awad Maarouf, Dar Al-Arab Al-Islami - Beirut, (W.E), 1998 AD.

27. Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmad Jar Al-lah, **Tafsir Al-Zamakhshari Al-Musamaa Al-Kashaf An Haqayiq Ghawamid Al-Tanzil Wa Ouyun Al-Aqawil Fi Wujuh Al-Ta'awil**, (died: 538 AH) Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 3rd Ed, 1407 AH.
28. Al-Zubaidi, Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Hussaini, Abu Al-Fayd, nicknamed Murtada, **Taj Al-Arus Min Jawahir Al-Qamus**, (died: 1205 AH), Investigation: a group of investigators, Dar Al-Hedaya - Kuwait.
29. Bin Ashour, Muhammad al-Taher bin Muhammad bin Muhammad al-Tahir Al-Tunisi, **Al-Tahrir Wa Al-Tanwir Al-Musamaa Tahrir Al-Ma'anaa Al-Sadid Wa Al-Tanwir Al-Aqal Al-Jadid Min Tafsir Al-Kitaab Al-Majid**, (died: 1393 AH), Tunisian Publishing House - Tunis, 1984 AD.
30. Bin Attia, Abu Muhammad Abdul-Haq bin Ghalib bin Abdul Rahman bin Tammam Al-Andalusi Al-Muharibi, **Tafsir Bin Attia Al-Musamaa Al-Muharir Al-Wajiz Fi Tafsir Al-Kitaab Al-aziz**, (died: 542 AH), investigation: Abdul-Salam bin Abdul-Shafi Muhammad, Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut, 1st, 1422 AH.
31. Bin Hanbal, Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad bin Hilal bin Asad Al Shai-bani, **Musnad Ahmad**, (died: 241 AH), investigation: Shuaib Al-Arnaout and others, Al-Resala Foundation - Beirut, 1st, 1421 AH.
32. Bin Kathir, Abu Al-Fida Ismail bin Omar Al-Qurashi Al-Basri and then Al-Di-mashqi, **Tafsir Al-Qur'an Al-Azim**, (died: 774 AH), investigation: Sami bin Muhammad Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution - Riyadh, 2nd , 1420 AH.
33. Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abi al-Faraj, Abd Al-Rahman ibn Ali ibn Muham-mad, **Zad Al-Masir Fi Eilm Al-Tafsir**, (died: 597 AH), Investigation: Abd Zl-Razzaq Al-Mahdi, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 1st, 1422 AH.
34. Ibn Habban, Muhammad Ibn Ahmad Ibn Habban Ibn Muadh Ibn Ma`bad Al-Tamimi Abu Hatim Al-Darami Al-Busti, **Sahih Ibn Hibban Al-Musamaa Al-Ihsan Fi Taqreeb Sahih Ibn Hibban**, (died: 354 AH), investigation: Shuaib Arnaout, Al-Risala Foundation - Beirut, 2st , 1414 AH.
35. Ibn Majah, Abu Abdullah Muhammad Ibn Yazid al-Qazwini and Maja the name of his father Yazid, **Sunan Ibn Majah**, (died: 273 AH), Investigation: Shuaib Al-Arnaout and others, Dar Al-Resalah Al-Alameya, 1st, 1430 AH.

36. Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal Al-Din Al-Ansari Al-Ruwafa'i Al-Ifriqi, **Lisan Al-Arab**, (died: 711 AH), Dar Sader - Beirut, 3rd Ed, 1414 AH.
37. Ibn Qayyim Al-Jawziyah, Abu Abdullah Shams Al-Din Muhammad bin Abi Bakr Al-Zar'i Al-Dimashqi, **Ighathat Al-Lahfan Min Masayid Al-Shaytan**, (died: 751 AH), Investigated by: Muhammad bin Hamid Al-Fiqi, Dar Al-Maarifa - Beirut, 2nd, 1395 AH.
38. Ibn Qayyim al-Jawziyya, Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad Shams Al-Din, **Al-Jawab Al-Kafi Liman Sa'al An Al-Dawa' Al-Shaafi Aw Al-Daa' Wa Al-Dawa**, (died: 751 AH), Dar al-Maarifa - Morocco, i. 1st, 1418 AH.
39. ibn Rajab, Zain al-Din Abd al-Rahman ibn Ahmad ibn al-Hasan al-Salami al-Baghdadi and then Al-Dimashqi al-Hanbali, **Jamie Al-Oulum Wa Al-Hukm Fi Sharh Khamsin Hadithan Min Jawamie Al-Kalim**, (died: 795 AH), Dar Al-Maarifah - Beirut, 1st, 1408 AH.
40. Muslim, Abu Al-Hussein bin Al-Hajjaj Al-Qushayri Al-Naysaburi, **Sahih Muslim Al-Musamaa Al-Sahih Al-Musnad Al-Mukhtasar Min Al-Sunan Bi Naql Al-Adl An Al-Adl Iaa Rasul Allah Salaa Allah Alayh Wa Salam**, (died: 261 AH), Dar Al-Jeel, Dar Al-Afaq Al-Jadeeda - Beirut, (W.P , (W.D).
41. Mustafa, Ibrahim and others, a group of authors, **Al-Muejam Al-Waseet**, investigation: The Arabic Language Academy, Dar Al-Da`wah - Egypt.
42. Zain Al-Din Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qadir Al-Hanafi, **Mukhtar Al-Sahah**, (died: 666 AH), investigation: Mahmoud Khater, Library of Lebanon Publishers - Beirut, (W.P), 1415 AH.



(2)

SINFUL ADMISSION BETWEEN ACCEPTANCE AND REJECTION: THEMATIC STUDY OF THE QUR'AN

Dr. Abdul Baqi bin Abd al-Rahman Sisi

Research Objective

The study aims at highlighting the admission of a person involved in sinful act, its acceptance, rejection, consequences, impact, and correction of mistakes, involvement and repentance from the sin.

Research Problem

What is the need of a person to admit on sinful act? What is the position of Islam on the occurrence of a person in prohibited matter?

Research Findings

Admission on sinful act and repentance is the one that annuls the most dangers and biggest sin such as shirk and hypocrisy prior the lapse of time. The late admission on sinful act after its due course is the one which causes the rejection of repentance.

Keywords:

Sin, acceptance, rejection, thematic exegetical approach



Bibliography

1. Abdel-Fattah Al-Qadi, Abdel-Fattah Bin Abdul-Ghani Bin Muhammad, **Al-Wafi Fi Sharh Al-Shatibiya Fi Al-Qira'at Al-Sabe'a**, (died: 1403 AH), Al-Dar Library - Medina, 1st, 1404 AH-1983 AD.
2. Abdul Rahman Al-Saadi, Sheikh Nasser bin Abdullah, **Tayseer Al-Karim Al-Rahman Fi Tafsir Kalam Al-Mannan**, (died: 1376 AH), Investigation: Abdul Rahman Mahalla Al-Luhaiq, Al-Resala Foundation, 1st, 1420 AH - 2000 AD.
3. Abu Al-Baqa Al-Kafwi, Ayoub bin Musa al-Hussaini al-Quraimi Al-Kafwi, Abu Al-Baqa Al-Hanafi, **Al-Kuliyaat Muejam Fi Al-Mustalahat Wa Al-Furuq Al-Lughawiah**, (died. 1094 AH), Investigated: Adnan Darwish, and Muhammad Al-Masri, Al-Resala Foundation - Beirut, 1419 AH-1998 AD.
4. Abu Al-Saud, Muhammad Abu Al-Saud Effendi bin Muhyi Al-Din Muhammad bin Musleh Al-Din Mustafa Imad Al-Din Al-Emadi Al-Askalibi Al-Hanafi, **Irshad Al-Aqal Al-Salim Ila Mazaya Al-Qur'an Al-Karim**, (died: 982 AH), Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi - Beirut.
5. Abu Bakr Al-Jaza'iri, Sheikh Abu Bakr Jaber bin Musa bin Abdul Qadir bin Jaber, **Aysar Al-Tafasir Li Kalam Al-Ali Al-Kabir**, (died: 1439 AH), Oulum Wa Al-hikam Library in Medina - Saudi Arabia, 5th, 1424 AH - 2003 AD.
6. Abu Bakr Bin Abi Shaybah, Abdullah Bin Muhammad Bin Ibrahim Bin Othman Bin Khawasti Al-Absi, **Musanaf Ibn Abi Shaybah Al-Musamaa (Al-Musanaf Fi Al-Ahadith Wa Al-Athar)**, (died: 235 AH), Investigation: Kamal Yusuf Al-Hout, Al-Rushd Library - Riyadh, 1st, 1409 AH.
7. Abu Hayyan Al-Nahwi, Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi, **Tafsir Al-Bahr Al-Muhit**, (died: 745 AH), Dar al-Fikr.
8. Al-Alusi, Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah Al-Hussaini, **Tafsir Al-Alusi Al-Musamaa (Ruh Al-Maeani Fi Tafsir Al-Qur'an Al-Azim Wa Al-Sabe' Al-Mathani)**, (died: 1270 AH), Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi - Beirut, 1st, 1399 AH-1979 AD.

9. Al-Askari, Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah bin Sahel bin Saeed bin Yahya bin Mahran, **Mojam Al-Furuq Al-Lughawiah**, (died: About 395 AH).
10. Al-Azhari, Muhammad bin Ahmed bin Al-Harawi, Abu Mansour, **Tahdhib Al-Lugha**, (died: 370 AH), Investigation: Muhammad Awad Mereb, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi – Beirut, 1st, 2001 AD.
11. Al-Baghawi, Abu Muhammad Al-Husayn ibn Masoud ibn Muhammad ibn Al-Fara Al-Shafi'i, **Tafsir Al-Baghawi Al-Musamaa (Maealim Al-Tanzil Fi Tafsir Al-Qur'an)**, (died: 510 AH), Investigated: Abd Al-Razzaq Al-Mahdi, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi - Beirut, 1st, 1420 AH.
12. Al-Baydawi, Abdullah bin Omar bin Muhammad bin Ali Al-Shirazi Abu Saeed or Abu Al-Khair Nasir Al-Din, **Tafsir. Al-Baydawi Al-Musamaa (Anwar Al-Tanzil Wa Asrar Al-Taawili)**, (died: 685 AH), Dar Al-Fikr - Beirut.
13. Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin al-Mughirah Abu Abdullah, **Sahih al-Bukhari Al-Musamaa (Al-Jamie Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Min Umur Rasul Allah Salaa Allah Alayh Wa Salam wa Sunanuh Wa Ayaamahu)**, (died: 256 AH), The Indian Edition from Moltaqa Ahl al-Hadith, Investigation: Sheikh Ahmed Shakir, And The Numbering Of Hadiths Is In Agreement With The Numbering Of Ahadith Fath Al-Bari, Al-Sultania Edition.
14. Al-Fayrouzabadi, Majd Al-Din Abu Taher Muhammad bin Yaqoub, **Al-Qamus Al-Muhit**, (died: 817 AH), Dar Al-Malayin - Beirut.
15. Al-Hakim, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Muhammad bin Hamdawayh bin Naim bin Al-Hakam Al-Dhabi Al-Tahmani Al-Nisabouri known as Ibn Al-Bi`a, **Al-Mustadrak Alaa Al-Sahihayn**, (died: 405 AH), Investigation: Mustafa Abdel-Qader Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya Beirut, 1st, 1411 AH - 1990 AD .
16. Al-Imam Muslim, Al-Hajjaj bin Muslim Al-Qushayri Al-Naysaburi Abu Al-Hussain, **Sahih Imam Muslim Al-Musamaa (Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Bi Naql Al-Adl An Al-Adl Ilaa Rasul Allah Salaa Allah Alayh Wa Salam)**, (died: 261 AH), Investigation And Commentary: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi – Beirut.

17. Al-Isfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad, Known As Al-Ragheb, **Al-Mufradat Fi Ghareb Al-Qur'an**, Investigation And Control: Muhammad Sayed Kilani, Dar Al-Maarifa, Beirut - Lebanon.
18. Al-Jarjani, Ali bin Muhammad bin Ali Al-Sayyid Al-Zein Abu Al-Hassan Al-Husseini Al-Hanafi, **Al-Taerifat**, (died: 816 AH), Investigative: Ibrahim Al-Abyari, 1st, 1405 AH, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut.
19. Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Farabi, **Al-Sahah Taj Al-Lugha Wa Sihah Al-Arabiya**, (died: 393 AH), Investigation: Ahmed Abdel-Ghafour Attar, Dar Al-Ilm Lil Malayin - Beirut, 4th - January 1990 AD.
20. Al-Jawzi, Jamal Al-Din Abu Al-Faraj Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad, **Kashf Al-Mushkil Min Hadith Al-Sahihayn**, (died: 597 AH), Investigated by: Ali Hussein Al-Bawab, Dar Al-Watan - Riyadh, 1418 AH - 1997 AD.
21. Al-Kaheel, Abdul-Daem, The Asrar Al-Scientific Miracles website by an article entitled:(**Zahirat AL-Iantihar.. Kayf Ealajaha AL-Quran**) (**The phenomenon of suicide. How did the Qur'an treat it**), January 30 - January 2020 AD - September 8, 2021 AD.
22. Al-Khatib Al-Sharbeni, Shams Al-Din, Muhammad bin Ahmad Al-Shafi'I, **Tafsir Al-Siraj Al-Munir Fi Al-Ieanah Alaa Maerifat Baed Maeani Kalam Rabna Al-Hakim Al-Khabir**, (died: 977 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut.
23. Al-Khazen, Alaa Al-Din Ali bin Muhammad bin Ibrahim bin Omar Al-Shehi Abu Al-Hasan, **Lobab Al-Ta'wil Fi Ma'ani Al-Tanzil**, (died: 741 AH), Dar Al-Fikr - Beirut - Lebanon, 1399 AH-1979 AD.
24. Al-Manawi, Zain Al-Din Muhammad bin Abdul Raouf bin Taj Al-Arifin bin Ali bin Zain Al-Abidin Al-Hadadi Thomma Al-Qaheri, **Al-Tawqif Alaa Muhi-maat Al-Taearif**, (died: 1031 AH), Investigation: Dr. Muhammad Radwan Al-Daya, Dar Al-Fikr Al-Mou'aser - Beirut, Damascus, 1st, 1410 AH.
25. Al-Mashhadani, Akram, **Article: (AL-Aintihar Yuhadid Mujtamaeat AL-Gharb) (Suicide Threatens Western Societies)**, Imam Shirazi International Institute for Studies Washington, September 9, 2021 AD
<https://shortest.link/1GOe>
26. Al-Mawardi, Abu al-Hasan Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib Al-Basri Al-Baghdadi, **Tafsir Al-Mawardi Al-Musamaa (Al-Nukat Wa**

- Al-Ouyun**), (died: 450 AH), Reviewed And Commented: Al-Sayyid bin Abdul-Maqsoud bin Abdul-Rahim, 1st, 1412 AH - 1992 AD, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, Cultural Books Foundation - Beirut.
27. Al-Nasa'ei, Abu Abd Al-Rahman Ahmed bin Shuaib bin Ali Al-Khorasani, **Sunan Al-Nisa'ei Al-Soghra Al-Musamaa (Al-Mujtaba Min Al-Sunan)**, (died: 303 AH), Investigation by: Abdel-Fattah Abu Ghaddah, Ahadith appended to the rulings of Al-Albani on them, Islamic Publications Office - Aleppo, 2nd, 1406 AH- 1986 AD.
28. Al-Nasa'ei, Abu Abd Al-Rahman Ahmed bin Shuaib bin Ali Al-Khorasani, **Sunan Al-Nisa'ei Al-Kubra**, (died: 303 AH), Investigation: Dr. Abdel Ghafour Suleiman Al-Bandrawi, Sayed Kasroui Hassan, Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut, 1st, 1411 AH-1991 AD.
29. Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din, **Tafsir Al-Qurtubi Al-Musamaa (Al-Jamie Li Ahkam Al-Qur'an)**, (died: 671 AH), Investigation: Ahmed Al-Baradouni, and Ibrahim Atfayesh, Dar Al-Kutub Al-Masryah - Cairo, 2nd, 1384 AH-1964 AD.
30. Al-Shanqiti, Muhammad Al-Amin bin Muhammad Al-Mukhtar bin Abdul Qadir Al-Jakni, **Adwa Al-Bayan Fi Idah Al-Qur'an Bi Al-Qur'an**, (died: 1393 AH), Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, Edition: 1415 AH-1995 AD.
31. Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed bin Ayoub bin Mutair Al-Lakhmi Al-Shami Abu Al-Qasim, **Al-Mojam Al-Kabir**, (died: 360 AH), Investigation: Hamdi bin Abdul Majeed Al-Salafi, Al-Oulum Wa Al-Hukam Library - Mosul, 2nd, 1404 AH-1983 AD.
32. Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb Al-Amali, Abu Jaafar, **Jamie Al-Bayan An Tawil A'ayi Al-Qur'an**, (died: 310 AH), Investigation: Ahmed Muhammad Shakir, Foundation Of The Resala, 1st, 1420 AH - 2000 AD.
33. Al-Tahawi, Abu Jaafar Ahmed bin Muhammad bin Salamah bin Salamah Al-Azdi, **Sharah Mushkil Al-Athar**, (died: 321 AH), Investigation: Shuaib Al-Arnaout, Foundation of the Resala, 1st, 1415 AH - 1494AD.
34. Al-Tahir bin Ashour, Muhammad Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Al-Tunisi, **Al-Tahrir Wa Al-Tanwir Al-Musamaa (Tahrir Al-Maenaa**

- Al-Sadid Wa Tanwir Al-Aqal Al-Jadid Min Tafsir Al-Kitaab Al-Majeed**), (died: 1393 AH), Muasasat Al-Taarikh Al-arabi, Beirut - Lebanon, 1st, 1420 AH-2000AD.
35. Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa bin Surah bin Musa bin Al-Dahhak Abu Issa , **Sunan Al-Tirmidhi Al-Musamaa (Al-Jamie Al-Kabir)**, (died: 279 AH), Investigation: Bashar Awad Maarouf, Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, 1998 AD.
36. Al-Wahidi, Abu Al-Hassan Ali bin Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Naysaburi Al-Shafi'i, **Al-Wajeez Fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz**, (died : 468 AH), Investigation: Safwat Adnan Daoudi, 1st, 1415 AH-1995 AD, Dar Al-Qalam - Damascus, Al-Dar Al-Shamiya – Beirut.
37. Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed, Jar Allah, **Tafsir Al-Zamakhshari Al-Maruf (Al-Kashaf An Haqayiq Al-Tanzil Wa Oyun Al-Aqawil Fi Wujuh Al-Taawil)**, (died: 538 AH), Investigation: Abd Al-Razzaq Al-Mahdi, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi – Beirut.
38. Al-Zuhaili, Dr. Wahba bin Mustafa, **Al-Tafsir Al-Munir Fi Al-Aqidah Wa Al-Sharieh Wa Al-Manhaj**, Dar Al-Fikr Al-Mou'aser - Damascus, 2nd, 1418 AH.
39. Al-Zuhaili, Dr. Wahba bin Mustafa, **Al-Tafsir Al-Wasit**, Dar Al-Fikr - Damascus, 1st, 1422 AH.
40. Article: **(Arqam sadima ean AL-Aintihar hawl AL- aleialam..’uwrubaa fi almuqadima, walsharaq AL-Awsat AL-Aqal) (Shocking numbers on Suicide around the World..Europe in the Foreground, and the Middle East Less)**, September 9, 2021 AD.
41. Azouzi, Abdel Haq, Article:**(Zahirat AL-aintihar Fi AL-Mujtamaeat AL-Gharbia) (The Phenomenon of Suicide in Western Societies)**, Al Jazeera newspaper, Saturday, September 14, 2019 AD, September 9, 2021 AD. <https://shortest.link/1CvY>
42. Bakhsh, Khadim Husasin Ilahi, The official website of Midad, an article entitled: **(Kursiu AL-Iaetiraf Fi AL-Diyanat AL-Nisrania) (Confession chair in Christianity)**, Muharram 1441 AH - 9-18-2019 AD, September 9, 2021 AD.
43. BBC Middle East Main News, article entitled: **(Limadha Tartafie Mueada-**

lat AL-Iantihar Bayn AL-Shabab Fi AL-Eialam?) (Why are suicide rates rising among young people in the world?), May 2, 2018, September 9, 2021 AD.

44. Bin Duraid, Abu Bakr Muhammad bin Al-Hasan Al-Azdi, **Jamharat Al-Lugha**, (died: 321 AH).
45. Bin Faris, Ahmad bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi Abu Al-Hussein, **Mojam Maqayis Al-Lughat**, (died: 395 AH), Investigation: Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, 1399 AH-1979 AD.
46. Bin Hanbal, Abu Abdullah Ahmed bin Muhammad bin Hilal bin Asad Al-Shai-bani, Known As Ahmed Bin Hanbal, **Al-Musnad**, (died: 241 AH), Investigation: Shuaib Al-Arnaout, And Others, Al-Resala Foundation, 1st, 1421 AH - 2001 AD.
47. Bin Juzy Al-Kalbi, Abu Al-Qasim Muhammad bin Ahmed bin Muhammad bin Abdullah Al-Granati, **Al-Tashil Li Oulum Al-Tanzil**, (died: 741 AH), Mishkat Islamic Library.
48. Bin Kathir, Abu Al-Fida Ismail bin Omar Al-Qurashi Al-Basri Thom Al-Di-mashqi, **Tafsir Al-Qur'an Al-Kharim**, (died: 774 AH), Investigation: Mahmud Hassan, Dar Al-Fikr, New Edition, 1414 AH-1994 AD.
49. Burhan Al-Din Al-Baq'I, Imam Abi Al-Hassan by Ibrahim bin Omar bin Hassan Al-Rabat bin Ali bin Abi Bakr Al-Baq'I, **Nazm Al-Durar F Tanasub Al-Ayat Wa Al-Suwar**, (died: 885 AH), Investigated: Abdul Razzaq Ghaleb Al-Mahdi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1415 AH-1995 AD.
50. Burhan Al-Din Al-Baq'I, Imam Abi Al-Hassan by Ibrahim bin Omar bin Hassan Al-Rabat bin Ali bin Abi Bakr Al-Baq'I, **Nazm Al-Durar F Tanasub Al-Ayat Wa Al-Suwar**, (died: 885 AH), , 1st, 1398 AH-1978 AD, Matba'at Majlis Dairat Al-Maarif Al-Uthmaniah- Hyderabad - Deccan - India.
51. Dia Al-Din Al-Maqdisi, Muhammad bin Abdul Wahed bin Ahmed bin Abdul Rahman Al-Saadi, Al-Maqdisi as of origin, Al-Salihi Al-Hanbali, **Al-Ahadith Al-Mukhtarah Aw Al-Mustakhraj Min Al-Ahadith Al-Mukhtarah Mi-maa Lam Yukhrijo Al- Bukhari Wa Muslim Fi Sahihayhima**, (died: 643 AH), Investigation: Abdul Malik Bin Abdullah Bin Duhaish, Al-Nahdh Al-Haditha Library - Makkah Al Mukarramah, 3rd, 2000 AD.

52. Fakhr Al-Din Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Tamimi Al-Razi, nicknamed Khatib Al-Rayi, **Tafsir Al-Razi Al-Musamaa (Mafatih Al-Ghayb Aw Al-Tafsir Al-Kabir)**, (died: 606 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1421 AH-2000AD.
- <https://shortest.link/1CvV>
- <https://shortest.link/1GOE>
- <https://shortest.link/1GOk>
- <https://shortest.link/1GOM>
- <https://shortest.link/1GOV>
- <https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-43979847>
53. Ibn Abi Hatim Al-Razi, Abd al-Rahman Ibn Muhammad Abi Hatim Ibn Idris Ibn al-Mundhir Al-Tamimi Al-Handhali, **Tafsir Al-Qur'an Al-Azim Li Ibn Abi Hatim**, (died : 327 AH), Book Source: Files From Microsoft Word on Moltaqa Ahl Al-Hadith, The Book is Formatted And Numbered Automatically, Not Compatible With The Publication.
54. Ibn Al-Atheer, Majd Al-Din Abu Al-Saadat Al-Mubarak Bin Muhammad Bin Muhammad Bin Muhammad Bin Abdul Karim Al-Shaibani Al-Jazari, **Jamie Al-usul Fi Ahadith Al-Rasul**, (died: 606 AH), Investigation: Abdel-Qader Al-Arnaout - Bashir Oyouun, Al-Halawani Library - Al-Mallah Press - Dar Al-Bayan Library, 1st
55. Ibn Attia, Abu Muhammad Abdul Haq bin Ghaleb bin Abdul Rahman bin Tammam Al Andalusi Al-Muharbi, **Tafsir Ibn Attia Al-Musamaa (Al-Muharir Al-Wajiz Fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz)**, (died: 542 AH), Investigation: Abdel Salam Abdel Shafi Muhammad, Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Lebanon, 1st, 1413 AH - 1993 AD.
56. Ibn Battal, Abu al-Hasan Ali bin Khalaf bin Abdul Malik bin Battal Al-Qurtubi, **Sharh Sahih Al-Bukhari**, (died: 449 AH), Investigation: Abu Tamim Yasser bin Ibrahim, Al-Rushd Library - Saudi Arabia - Riyadh, 2nd, 1423 AH - 2003 AD.
57. Ibn Hibban, Muhammad Ibn Habban Ibn Ahmad Ibn Muadh Ibn Ma`bad Al-Tamimi Abu Hatim Al-Darami Al-Busti, **Sahih Ibn Hibban Al-Musamaa (Al-Ihsan Fi Taqreeb Sahih Ibn Hibban)**, (died: 354 AH), Arranged by:

- Prince Alaa Al-Din Ali Ibn Balban Al-Farsi (died: 739 AH), Investigated: Shuaib Al-Arnaout, Al-Resala Foundation - Beirut, 2nd, 1414 AH - 1993 AD.
58. Ibn Majah, Abu Abdullah Muhammad bin Yazid al-Qazwini, and Majah is the name of his father Yazid, **Sunan Ibn Majah**, (died: 273 AH), Commentary: Muhammad Fouad Abd Al-Baqi, Ahadith appended to the rulings of Al-Albani on them, Dar al-Fikr - Beirut.
59. Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Ali Abu Al-Fadl Jamal Al-Din Al-Ansari Al-Ruwafa'i Al-Afriqi, **Lisan Al-Arab**, (died: 711 AH), Dar al-Sader - Beirut, 1st.
60. Ibn Qutayba Al-Dinuri, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutayba Al-Dinuri, **Gharib Al-Hadith**, (died: 276 AH), Investigation: Abdullah Al-Jubouri, Al-Ani Press - Baghdad, 1st, 1397 AH.
61. Lahaonline, article entitled: **(AL-Aintihar fi AL-Gharba..Zahira Tastahiq AL-Ta'amul) (Suicide in the West..a phenomenon worthy of contemplation)**, The Traveler of the Family World Muharram 1431 AH January 20-2010 AD, September 9, 2021 AD. <https://shortest.link/1CwX>
62. Makki bin Abi Talib, Abu Muhammad Makki bin Abi Talib Hammoush bin Muhammad bin Mukhtar Al-Qaysi Al-Qayrawani Thomma Andalusi Al-Qurtubi Al-Maliki, **Al-Hidayah Ilaa Bulugh Al-Nihayat Fi Elm Ma'ani Al-Qur'an Wa Tafsirih Wa Ahkamih Wa Jomal Min Funoon Oulumih**, (died: 437 AH), Investigation: A Group Of University Letters At The College of Graduate Studies And Scientific Research - University of Sharjah, Kitab and Sunnah Research Group - College of Sharia and Islamic Studies - University of Sharjah, 1st, 1429 AH - 2008 AD.
63. Midad Website - Vatican, article entitled: **(Taelim AL-Kanisa Bishan Sr AL-Tawbat Eind Aistihalat AL-Taquadum Min Kursii AL-Aietiraf) (The Church's Teaching on the Sacrament of Penance when it is Impossible to Progress from the Confession)**, September 9, 2021 AD <https://shortest.link/1Cxa>
64. Muhammad Abi Zahra, Ahmed bin Mustafa bin Ahmed, **Zahrat Al-Tafsir**, (died: 1394 AH), Dar Al-Fikr Al-Arabi.
65. Nizam Al-Din Al-Qummi, Al-Hasan bin Muhammad bin Hussein Al-Qummi Al-Nisaburi, **Tafsir Al-Nisaburi Al-Musamaa (Gharayib Al-Qur'an Wa Raghayib Al-Furqan)**, (died: 850 AH), Investigation: Sheikh Zakaria

Omairan, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut - Lebanon, 1st, 1416 AH - 1996 AD.

66.The official website of the World Health Organization entitled:**(AL-Aintihar) "Suicide"**, June 17, 2021, September 8, 2021 AD.

67.The official website of the World Health Organization issues guidelines entitled **(Eish AL-Hayat Litaheziz Juhud AL-Wiqayat Min AL-Iaintihar) "Live the Life" to enhance suicide prevention efforts**, June 17, 2021 AD Health No. (1078122), September 8, 2021 AD.



(3)

EXEGETICAL UNDERSTANDING OF SURAH AL-MASAD: NARRATION AND COGNITION

Dr. Afnan Mustafa al-Dibani

Research Significance

It gives awareness and peaceful of mind of Muslims as contained within the chapter (surah) although there is the threat of polytheists who are against the religion of Allah as well as toward the Prophet (pbuh). It highlights that the victory will be for the religion of Allah and His Prophet (pbuh).

Research Objective

- Analysis, descriptive collection and gives the preference on statements of Muslim exegetes in giving exposition toward that surah
- Exposition on standpoint of Islam in responding toward unjust unbelievers even toward those who are at nearest family kinship.

Research Problem

What is the thing which has been collected on the study within the exegesis of Surah al-Masad?

Research Findings

Neither the wealth nor the child will be in position to suspend Allah's punishment when they behave against His Will and abandon His pleasure.

Keywords:

Exegesis, chapter of Masad, narration and cognition



Bibliography

1. Abu Dawud, Suleiman Ibn Al-Ash'ath bin Ishaq bin Bashir Al-Azdi Al-Sijistani, **Sunan Abi Dawud**, investigation: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul-Hamid, Al-Asriya Library, Beirut.
2. Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf, **Al-Bahr Al-Muhit fee Tafsir**, investigation: Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr, Beirut, 1420 AH.
3. Abu Khadija, Amal Ibrahim, **Ta'ammulat fee surat Al-Masad** (Do not be like the carrier of firewood), 2010, available at: <https://al-maktaba.org/book/31869/1753#p8>, entry date 26/2/2020.
4. Abu Nu'aim, Ahmed bin Abdullah, **Ma'arifat al-Sahabah**, investigation: Adil bin Yusuf Al-Azzaazi, Dar Al-Watan, Riyadh, 1419 AH - 1998 AD.
5. Ahmad, Jamal Abdul-Aziz, **Qiraa'ah Balaagiyah fee Surat Al-Masd** (1), 1433AH - 2012AD, available at: <http://www.alukah.net/sharia/0/42931/#ix-zz4x8Rk87h9>, date of entry: 2/2/ 2020 AD.
6. Al-Azhari, Muhammad bin Ahmed bin Al-Harawi, **Ma'aani al-Qiraa'at**, Research Center at the College of Arts at King Saud University, Saudi Arabia, 1412 AH - 1991 AD.
7. Al-Baghawi, Al-Hussein bin Mas'ud, **Ma'aalim al-Tanzeel fee Tafsir al-Quran**, Investigation: Abdul-Razzaq Al-Mahdi, Dar Ihya al-Turaath al-Arabi, Beirut, 1420 AH.
8. Al-Baidaawi, Abdullah bin Umar, **Anwaar al-Tanzeel wa Asraar al-Ta'weel**, investigation: Muhammad Abdul-Rahman Al-Mara'ishli, Dar Ihya al-Turaath al-Arabi, Beirut, 1418 AH.
9. Al-Bakri, Abdullah bin Abdul-Aziz, **Mu'jam Ma istu'jima Min Asmaa al-Bilaad wa al-Mawaadi**, Aalam al-Kutub, Beirut, 3rd Edition, 1403 AH.
10. Al-Biqaa'I, Ibrahim bin Umar, **Nazm Al-Durar fee Tanasub al-Aayaat Wa Al-Suwar**, Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo.
11. Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, **Al-Jami' Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Min Umur Rasu Allah Sallal Allahu Alaihi wa sallam wa sunanihi wa Ayyamih**, known as **Sahih al-Bukhari**, investigation: Mu-

- hammad Al-Nasir, Dar Tawq Al-Najaat, Beirut, 1422 AH.
12. Al-Dani, Abu Amr Uthman bin Sa'eed, **Al-Bayan fee Ad Aayi al-Quran**, investigation: Ghanim Qaddouri Al-Hamad, Center for Manuscripts and Heritage, Kuwait, 1, 1414 AH - 1994 AD.
 13. Al-Faqih, Attiya bin Nuri, **Asaanid Naskhi al-Tafsir wa al-Asaanid al-Mutakarrirah fee al-Tafsir**, a thesis submitted for obtaining a master's degree in the Department of Qur'an and Sunnah, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah, 1428 AH - 2007 AD.
 14. Al-Gharnaati, Ahmed bin Ibrahim, **Al-Burhaan fee Tanasub Suwar al-Quran**, investigation: Muhammad Sha'baani, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, Morocco, 1410 AH - 1990 AD.
 15. Al-Hakim, Muhammad bin Abdullah, **Al-Mustadrak Ala Al-Sahihain**, investigation: Mustafa Abdul-Qadir Ata, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, 1411 AH - 1990 AD.
 16. Al-Halabi, Ahmed bin Yusuf Al-Samin, **Al-Dur Al-Masoon fee Al-Ulum Al-Kitaab Al-Maknoun**, investigation: Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharraat, Dar Al-Qalam, Damascus.
 17. Al-Hamawi, Yaqut Al-Rumi, **Mu'jam al-Buldaan**, Dar Sadir, Beirut, 2nd edition, 1995 AD.
 18. Al-Harari, Muhammad Al-Amin bin Abdullah, **Hadaa'iq al-Rauh wa al-Raihaan fee Rawaabi Ulum al-Quran**, supervision and review: Hashim Mahdi, Dar Tawq Al-Najat Beirut, 1421 AH - 2001 AD.
 19. Al-Harbi, Hussein bin Ali, **Qawaa'id al-Tarjeeh Inda al-Mufasssireen, Diraasat al-Nazariyyah Tatbiqiyyah**, Dar Al-Qasim, Riyadh, 1417 AH - 1996 AD.
 20. Al-Hilali, Salim bin Eid and Muhammad bin Musa Al-Nasr **Al-Isti'aab fee Ma'rifat al-Ashaab**, Dar Ibn Al-Jawzi, 1425 AH.
 21. Ali Al-Saabouni, Muhammad, **Safwat Al-Tafaseer**, Dar Al-Saabouni for printing, publishing and distribution, Cairo, 1417 AH - 1997 AD.
 22. Al-Ijli, Ahmad bin Abdullah, **Tarikh al-Taqafaat**, Dar Al-Baz, Makkah Al-Mukarramah, 1405 AH-1984 AD.

23. Al-Ijli, Ahmed bin Abdullah, **Ma'rifat al-Thiqaat Min Rijaal Ahl al-Ilm wa al-Hadith wa Min al-Du'afah wa Zikr Mazaahibihim wa Akhbaarihim**, investigation: Abdul-Aleem Al-Bastawi, Dar al-Da'awah, Medina, 1405 AH - 1985 AD.
24. Al-Imad, Abdul-Hai bin Ahmed, **Shazaraat al-Zahab**, Investigation: Mahmud Al-Arna'out, Dar Ibn Kathir, Damascus - Beirut, 1406 AH - 1986 AD.
25. Al-Isfahaani, Al-Hussein bin Muhammad Al-Raghib, **Al-Mufradaat fee Ghareeb al-Quran**, Investigation: Safwan Adnaan Al-Da'wudi, Dar Al-Qalam - Al-Dar Al-Shamiya, Damascus - Beirut, 1412 AH.
26. Al-Jaza'iri, Abu Bakr Jabir bin Musa, **Aisar al-Tafaasir Li Kalaam al-Ali al-Kabir**, Maktabat al-Ulum wa al-Hikam, Madinah, 5th edition, 1424 AH - 2003 AD.
27. Al-Jurjaani, Ali bin Muhammad, **Al-Ta'reefaat**, investigation: a group of scholars under the supervision of the publisher, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1403 AH -1983 AD.
28. Al-Khalili, Khalil bin Abdullah **Al-Irshaad fee Ma'arifat Ulama'I al-Hadith**, investigation by: Muhammad Idris, Al-Rushd Library, Riyadh, 1409 AH.
29. Al-Khatib, Abdul-Karim Yunus, **Al-Tafsir al-Qur'ani Li al-Qur'an**, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo.
30. Al-Mahalli, Jalal al-Din Muhammad ibn Ahmad, and Al-Suyuti, Jalal al-Din Abdul-Rahman ibn Abi Bakr, **Tafsir Al-Jalaalain**, , Dar al-Hadith, Cairo.
31. Al-Maraaghi, Ahmed bin Mustapha, **Tafsir Al-Maraaghi**, Mustapha Al-Babi Al-Halabi & Sons Library and Press Company, Egypt, 1365 AH - 1946 AD.
32. Al-Mawardi, Ali bin Muhammad, **Al-Nukat wa al-Uyun**, investigation: Al-Sayyid Ibn Abdul-Maqsud bin Abdul-Rahim, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.
33. Al-Mizzi, Yusuf bin Abdul-Rahman, **Tahzeeb al-Kamaal fee Asma' al-Rijaal**, investigation: Bashaar Ma'arouf, Mu'assasat Al-Risala, Beirut, 1400 AH - 1980 AD.
34. Al-Muzaini, Khaled, **Al-Muharrar fee Asbaab Nuzul al-Quran Min Khilaal al-Kutub al-Tis'ah Diraasat Al-Asbaab Riwayah wa Diraayah**, Dar Ibn Al-Jawzi, Dammam, 1427 A.H. - 2006 A.D.

35. Al-Nahhaas, Ahmed bin Muhammad, **I'iraab al-Qur'an**, footnoted and commented by: Abdul-Mun'im Khalil Ibrahim, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1421 AH.
36. Al-Nasaa'i, Ahmed bin Shuaib **Al-Mujtaba Min Al-Sunan**, investigation: Abdul-Fattah Abu Ghuddah, Al-Mutbu'aat al-Islamiyyah Library , Aleppo, 2nd edition, 1406 AH - 1986 AD.
37. Al-Nasaa'I, Ahmed bin Shuaib, **Al-Du'aafaa wa al-Matrukeen**, investigation: Mahmoud Ibrahim Zayid, Aleppo: Dar Al-Wa'i, 1, 1396 AH.
38. Al-Nawawi, Yahya bin Sharaf, **Al-Azkaar**, Investigation: Abdul-Qadir Al-Arnaout, Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution, Beirut, 1414 AH - 1994 AD.
39. Al-Qazweeni, Ahmed bin Faris, **Maqaayees al-Lugha**, investigation: Abdul-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, Jordan, 1399 AH - 1979 AD.
40. al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad, **Al-Jami' Li Ahkaam al-Qur'an**, investigation: Ahmad al-Barduni and Ibrahim Atfeesh, Dar al-Kutub al-Mistiyyah, Cairo, 2, 1384 AH - 1964 AD.
41. Al-Razi, Muhammad bin Umar Fakhr Al-Din, **Mafaatih al-Ghaib (Al-Tafsir al-Kabeer)**, Dar Ihya al-Turaath al-Arabi, Beirut, 3rd edition, 1420 AH.
42. Al-Sa'adi, Abdul-Rahman ibn Nasir, **Taisir al-Karim al-Rahman fee Tafsir Kalaam al-Mannan**, investigation: Abdul-Rahman ibn Mu'alla al-Luwaihiq, Mu'assasat Al-Risala, Beirut, 1420 AH -2000 AD.
43. Al-Sabt, Khalid bin Uthman, **Qawaa'id al-tafsir Jam'an Wa Diraasah**, Dar Ibn Affaan, Cairo, 1421 AH.
44. Al-Samarqandi, Nasr bin Muhammad, **Tafsir al-Samarqandi, printed in the name of Bahr al-Ulum**, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1413 AH - 1993 AD.
45. Al-Sharbini, Muhammad bin Ahmed, **Al-Siraaj Al-Munir fee al-I'aanat Ala Ma'rifat Ba'd Ma'aani Kalaam Rabbinaa al-Hakeem al-Khabeer**, Bulaaq Press (Al-Amiriyah), Cairo, 1285 AH.
46. Al-Suyuti, Jalal al-Deen Abdul-Rahman, **Al-Itqaan fee Ulum al-Quran**, investigated by: Muhammad Ibrahim, The Egyptian General Book Organiza-

tion, Egypt, 1394 AH - 1974 AD.

47. Al-Suyuti, Jalal Al-Din Abdul-Rahman, **Al-Dur Al-Manthoor fee Al-Tafsir in Al-Mathur**, investigation: Abdullah Al-Turki in cooperation with the Hajar Center for Arab and Islamic Studies and Research, Dr. Abdul-Sanad Yamamah, Cairo, 1424 – 2003.
48. Al-Suyuti, Jalal al-Din Abdul-Rahman, **Tabaqaat al-Mufasssireen al-Ishreen**, investigation: Ali Muhammad Umar, Wahba Library, Cairo, 1396 AH.
49. Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, **Jami' al-Bayaan fee Ta'weel al-Qur'an**, investigation: Ahmed Shakir, Al-Risala Foundation, Beirut, 1420 AH - 2000 AD.
50. Al-Tahanawi, Muhammad bin Ali, **Mausu'at Kashaaf istilaahaat al-Funun wa al-Ulum**, investigation: Ali Dahruj, Lubnaan Nashirun Library, Beirut, 1996 AD.
51. Al-Tayyaar, Musa'id bin Suleiman, **Maqaalaat fee Ulum al-Quran wa Usul al-Tafsir**, Dar Al-Muhaddith for Publishing and Distribution, Riyadh, 1425 AH.
52. Al-Tayyaar, Musaa'id bin Suleiman, **Tafsir Juz'u Amma**, Dar Ibn Al-Jawzi, Dammam, 8th edition, 1430 AH.
53. Al-Tha'labi, Ahmad bin Muhammad, **Al-Kashf Wa al-Bayaan An Tafsir al-Qur'an**, investigation: Imam Abi Muhammad bin Ashour, Dar Ihya al-Turaath Al-Arabi, Beirut 1422 AH - 2002 AD.
54. Al-Ukburi, Abu Al-Baqaa Abdullah Bin Al-Hussein, **Al-Tibyaan fee I'iraab Al-Quran**, investigated by: Ali Muhammad Al-Bajaawi, Isa Al-Babi Al-Halabi and Partners.
55. Al-Uthaimen, Muhammad bin Saleh, **Tafsir al-Quran al-Kareem**, Dar Ibn Al-Jawzi for Publishing and Distribution, Dammam, 2, 1433 AH.
56. Al-Zahabi, Muhammad bin Ahmed, **Ma'rifat al-Qurraa al-Kibaar Ala al-Tabaqaat wa al-A'saar**, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1417 AH - 1997 AD.
57. Al-Zahabi, Muhammad bin Ahmed, **Mizaan al-I'tidaal fee Naqd al-Rijaal**, investigation: Ali Al-Bajawi, Dar Al-Ma'arifa for Printing and Publishing, Beirut, 1382 AH - 1963 AD.

58. Al-Zahabi, Muhammad bin Ahmed, **Siyar A'laam al-Nubalaa'**, Dar Al-Hadith, Cairo, 1427 AH - 2006 AD.
59. Al-Zahabi, Muhammad bin Ahmed, **Tazkirat al-Huffaaz**, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1419 AH - 1998 AD.
60. Al-Zamakhshari, Mahmud bin Amr, **Al-Kashaaf An Haqaa'iq Ghawamid al-Tanzeel**, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 3rd edition, 1407 AH.
61. Al-Zarkashi, Badaruddeen Muhammad bin Abdullah, **Al-Burhaan fee Ulum al-Qur'an**, investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Ihya al-Turaath Al-Arabi, Beirut, 1376 AH - 1957 AD.
62. Al-Zirikli, Khair Al-Din Bin Mahmoud, **Al-Alaam**, Dar Al-Ilm Li al-Malayeen, Beirut, 15th edition.
63. Al-Zuhaili, Wahbah bin Mustapha, **Al-Tafsir Al-Munir fee Al-Aqeedah wa al-Sharia wa al-Manhaj**, , Dar Al-Fikr Al-Mu'asir, Damascus, 2, 1418 AH.
64. Al-Zuhaili, Wahbah bin Mustapha, **Al-Tafsir Al-Wasit**, Dar Al-Fikr, Damascus, 1422 AH.
65. Attia, Abdul Haq bin Ghalib, **Al-Muharrar al-Wajeez fee Tafsir al-Kitaab al-Azeez**, Investigation: Abdul-Salam Abdul-Shafi Muhammad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, 1422 AH.
66. bin Khillikaan, Ahmed, **Wafiyaat al-A'yaan wa Anbaa al-Zamaan**, investigation: Ihsan Abbas, Dar Sadir, Beirut, 1900 AD.
67. bin Sa'ad, Muhammad bin Sa'ad bin Manee` Al-Basri Al-Zuhri, **Al-Tabaqaat Al-Kubra**, investigation: Muhammad Ata, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1410 AH - 1990 AD.
68. Darwish, Muhyiddeen bin Ahmad, **I'iraab al-Qur'an wa Bayaanuhu**, Dar Ibn Kathir - Dar al-Yamamah, Damascus - Beirut, 4th edition, 1415 AH.
69. Ibn Aashour, Muhammad Al-Tahir, **Tahreer al-Ma'na al-Sadid wa Tanwir al-Aql al-jadid min Tafsir al-kitaab al-Majeed**, Al-Dar al-Tunisiyah Li al-Nashr, Tunis, 1984 AH.
70. Ibn Abdul-Bar, Yusuf Bin Abdullah, **Al-isti'aab fee Ma'arifat al-Sahabah**,

- investigation: Ali Al-Bajawi, Dar Al-Jeel, Beirut, 1412 AH - 1992 AD.
71. Ibn Abi Hatim, Abdul-Rahman bin Muhammad Al-Razi, **Al-Jarh Wa Al-Ta'deel**, Dar Ihya al-Turaath al-Arabi, India - Beirut, Edition of Da'irat al-Ma'arif al-Uthmaniyyah, 1271 AH 1952 AD.
 72. Ibn Abi Hatim, Abdul-Rahman bin Muhammad al-Razi, **Tafsir al-Quran al-Azeem**, investigation: As'ad Muhammad al-Tayyib, Nizar Mustafa al-Baz Library, Saudi Arabia, 3rd edition, 1419 AH.
 73. Ibn Adil, Umar bin Ali, **Al-Lubaab fee Ulum al-Kitaab**, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1419 AH -1998 AD.
 74. Ibn Al-Atheer, Ali bin Abi Al-Karam, **Asad al-Ghabah fee Ma'rifat al-Sahabah**, investigation: Ali Moawad and Adel Abdul-Mawjud, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut: 1415 AH - 1994 AD.
 75. Ibn Al-Atheer, Ali bin Abi Karam, **Al-Nihaayah fee Gharib al-Hadith wa al-Athar**, investigated by: Tahir Al-Zawi and Mahmoud Al-Tanahi, Al-Maktabah al-Ilmiyyah, Beirut, 1399 AH - 1979 AD.
 76. Ibn al-Jazari, Shams al-Din Muhammad, **Al-Nashr fee al-Qiraa'at al-Ashr**, Investigation: Ali Muhammad al-Dabbaa, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.
 77. Ibn Al-Jazari, Shams Al-Din Muhammad, **Ghaayat al-Nihaaya fee Taabaqaat al-Qurraa**, Ibn Taimiyyah Library, Cairo.
 78. Ibn Al-Mulaqqin, Siraj Al-Din Abu Hafs, **Mukhtasar istidraak Al-Hafiz Al-Zahabi Ala Mustadrak Abi Abdullah Al-Hakim**, investigated by: Abdullah bin Hamad Al-Luhaidan, Dar Al-Asima, Riyadh: 1411 AH.
 79. Ibn Battaal, Ali bin Khalaf, **Sharh Sahih Al-Bukhari**, investigation: Abu Tamim Yaasir bin Ibrahim, Al-Rushd Library, Riyadh, 2, 1423 AH - 2003 AD.
 80. Ibn Duhaish, Abdul-Malik bin Abdullah, **Hudud al-Safa wa al-Marwa al-tausi'ah al-Hadithah Diraasah taarikhiiyah Fiqhiyyah**, Al-Azdi Library, Makkah Al-Mukarramah, 1429 AH - 2008 AD.
 81. Ibn Hajar Al-Asqalaani, Ahmed, **Al-Isaabah fee Tamyeez al-Sahaba**, investigation: Adil Abdul-Mawjud and Ali Mu'awad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, 1415 AH.
 82. Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmed, **Tahzeeb Al-Tahzeeb**, Department of Sys-

tematic Knowledge, India, 1326 AH.

83. Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmed, **Taqreeb Al-Tazeeb**, investigation: Muhammad Awamah, Dar Al-Rashid, Syria, 1406 AH - 1986 AD.
84. Ibn Hibban, Muhammad Ibn Hibban, **Al-Thiqaat**, Da'irat al-Ma'arif al-Uthmaniyyah, Hyderabad, Deccan India, 1393 AH - 1973 AD.
85. Ibn Hisham, Abdul-Malik, **Al-Sirah al-Nabawiyah Li Ibn Hisham**, investigation: Taha Abdul-Ra'uf Sa'ad, United Technical Printing Company, Egypt.
86. Ibn Kathir, Ismail bin Umar, **Al-Bidaayah wa al-Nihayah**, investigation: Ali Shiri, Dar Ihya al-Turaath al-Arabi, Beirut, 1408 AH - 1988 AD.
87. Ibn Kathir, Ismail bin Umar, **Al-Sirah al-Nabawiyah**, investigation: Mustapha Abdul-Wahid, Dar Al-Ma'arifa for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 1395 AH - 1976 AD.
88. Ibn Kathir, Ismail bin Umar, **Tafsir al-Quran al-Azeem**, investigation: Saami Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution, Riyadh, 2, 1420 AH - 1999 AD.
89. Ibn Khaalawaih, Al-Hussain bin Ahmad, **Al-Hujjah fee al-Qiraa'at al-Sab'a**, Investigation: Al-Salim Mukrim, Dar Al-Shorouk, Beirut, 4th edition, 1401 AH.
90. Ibn Majah, Abdullah Muhammad bin Yazid, **Sunan Ibn Majah**, investigation: Shuaib Al-Arnaout, Adil Murshid, Muhammad Kamil Qara Billi and Abdul-Latif Hirzullah, Dar Al-Risalah Al-Aalamiyya, Beirut, 1430 AH - 2009 AD.
91. Ibn Manzoor, Muhammad bin Mukrim **Lisaan Al-Arab**, Dar Sadir, Beirut, 3rd edition, 1414 AH.
92. Ibn Zanjala, Abu Zur'ah Abdul-Rahman bin Muhammad, **Hujjat al-Qiraa'at**, investigation: Sa'eed Al-Afghani, Mu'assasat Al-Risala, Beirut, 5th edition, 1418 AH - 1997 AD.
93. Ja'afar, Sharaf Al-Din, **Al-Mausu'at al-Qur'aniyyah, Khasaa'is al-Suwar**, Investigated by: Abdul-Aziz bin Uthman Al-Tuwaijiri, Dar Al-Taqreeb Baina al-Mazaahib al-Islaamiya, Beirut, 1420 AH.
94. Majma al-Lugha al-Arabiya Cairo, Ibrahim Mustapha, Ahmed Al-Zayyat, Hamid Abdul-Qadir and Muhammad Al-Najjaar, **Al-Mu'jam al-Waseet**, Dar

Al-Da`wah, Turkey.

95. matlub, Ahmed, **Mu'jam al-Mustalahaat al-Balaaghiyah wa Tataw-wuriha**, Al-Majma al-Ilmi, Iraqi, 1403 AH - 1983AD.
96. Munira, Al-Dausari, **Asmaa suwar al-Qur'an wa fada'iliha**, Dar Ibn Al-Jawzi, Dammam, 1, 1426 AH.
97. Muqatil bin Suleiman, Abu al-Hasan Muqatil bin Suleiman bin Bashir al-Azdi al-Balkhi, **Tafsir Muqatil bin Suleiman**, investigation: Abdullah Mahmoud Shahhata, Dar Ihyaa al-Ilmiyyah, Beirut, 1423 AH.
98. Muslim ,Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushairi, **Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Bi Naql al-Adl an al-Adl Ila Rasullah Sallahu Alaihi Wa Sallam, known as Sahih Muslim**, investigation: Muhammad Fouad Ab-del-Baqi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut.
99. Muslim, Mustapha, **Babaahith fee Ulum al-Qur'an**, Dar Al-Qalam, Da-mascus, 3rd edition, 1426 AH - 2005 AD.
100. Saafi, Mahmoud bin Abdul-Rahim, **Al-Jadwal fee I'raab al-Qur'an al-Kareem**, Mu'assasat Al-Iman, Beirut, 4th edition, 1418 AH.



(4)

INTERRELATED ANSWERS TOWARD FAITHFUL QUESTION IN THE QUR'AN AND ITS IMPACT IN ASCERTAINING THEOLOGICAL CONCEPT: APPLIED STUDY TOWARD VERSES WITHIN THE SURAH AL-TUR

DR. IN'AM MUHAMMAD UQAIL

Research Objective

Elaboration the understanding of interrelated question and highlighting its importance in giving direction toward logical arguments and its impact in ascertaining theological principles as covered in the Qur'an within Surah al-Tur.

Research Problem

It lies with the essence of interrelated understanding responses toward theological questions and what is the impact and reflection on its determination?

Research Findings

There is inseparable connection related with theological matters as contained within Surah al-Tur that appears in the form of deterministic and denial questions which revolve generally on the main aspects of tenets of lordship (rububiyyah and uluhiyyah), Allah's names and attributes etc.

Keywords:

Interrelated responses, theological questions, the creed, Surah al-Tur



Bibliography

1. A group of Researchers , Under The Supervision of: The Arabic Language Academy ,**Al-Muejam Al-Wasit**, Dar Al-Da`wah - Cairo.
2. A`dad aldiyn al-eyji, Abu Al-fadl Abd Al-rahman bin rukn aldiyn ahmad bin abd Al-ghaffar bin Ahmad Al-eyji Al-bakri Al-matrazi Al-Shiyrazi Al-shaafiei, **kitab Al-mawaqif**, (died: 756AH), investigation: Abdul Rahman Amira, Dar Al-Jeel – Beirut, 1st Edition, 1997 AD.
3. Abu Al-Baqā`a , , Ayoub bin Musa Al-Husseini Al-Kafwi, Al-Quraimi, **Al-Kuliyaat Muejam Fi Al-Mustalahat** (died: 1094AH), investigation: Adnan Darwish - Muhammad Al-Masri, Al-Resala Foundation - Beirut.
4. Abu Al-yumn Al-Oulaymy, Muhammad Al-Oulaymy Al-Maqdisi Al-Hanbali, **Fath Al-Rahman Fi Tafsir Al-Qur'an**, (died: 927 AH), care of by investigation, control and Takhrega : Nour Al-Din Talib, Dar Al-Nawader, 1st Edition, 1430 AH - 2009AD.
5. Abu Hayaan Alnahwi, Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusef Atheer Al-Din Al-Andalusi Bin Hayyan, **Al-Bahr Al-Muhit Fi Al-Tafsir**, (died: 745AH), investigation: Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr - Beirut, 1420 AH.
6. Abu Jaafar Al-Nahas, , Ahmed bin Muhammad bin Ismail bin Younes Al-Muradi Al-Nahwi, **E'arab Al-Qur'an**, (died: 338AH), put his footnotes and commented on it: Abdel Moneim Khalil Ibrahim, Publications of Muhammad Ali Beydoun, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st edition, 1421 AH.
7. Abu Jaafar al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb Abu Jaafar al-Tabari Al-Amali, **Jami'a Al-Bayan An Tawil Ay Al-Qur'an**, (died: 310AH) investigation: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, and others, Dar Hajar, 1st edition, 1422 AH - 2001 AD.
8. Alamidi, Ali bin Muhamed bin Salim Al-Taghlbi Abu Al-Hasani Sayf Al-diyn, **Abkar Al-Afkar Fi Usul Al-diyni**, (died: 631 AH), investigation: ahmad muhamed almahdi, dar alkutub walwathayiq alqawmia - Cairo, 2nd edition, 1424AH -2004AD.
9. Al-Asfahani, Mahmood Bin Abdul-Rahman Bin Ahmed Bin Muhammad Abu Al-Thana' Shams Al-Din, **Bayan Al-Muktasar Sharh Mukhtasar Ibn**

- Al- Hajib**, (died: 749AH) investigation: Muhammad Mazhar Baqa, Dar al-Madani - Saudi Arabia, 1st edition, 1406 AH / 1986 AD.
10. Al-Asfraeyni, Taher bin Muhammad Abu Al-Mudhaffar, **Al-Tabsir Fi Al-Di-yn Wa Tamyiz A-Firqah Al-Najiah An AlFiraq Al-Halkin**, (died: 471AH), investigation: Kamal Youssef Al-Hout, World of Books - Lebanon, 1st edition, 1403 AH - 1983 AD.
11. Al-Baghawi, , Abu Muhammad Al-Husayn ibn Masoud ibn Muhammad ibn al-Fara ,Al-Shafi, **Maealim Al-Tanzil Fi Tafsir Al-Qur'an (Tafsir Al-Baghwi)**, (died: 510AH), investigation: Abd Al-Razzaq Al-Mahdi, publisher: Arab Heritage Revival House - Beirut, 1st Edition, 1420 AH.
12. Al-Bayhaqi, Ahmad bin Al-Hussein bin Ali bin Musa Al-Khosroujerdi Al-Khorasani Abu Bakr Al-Khorasani, **Dalayil Al-Nubua** (died: 458AH), investigation: Dr. Abdul Muti Qalaji, Dar al-Kutub al-Ilmiyya and Dar al-Rayyan for Heritage, 1st edition, 1408 AH / 1988 AD.
13. Al-biqaei, Ibrahim bin Omar bin Hassan al-Rabbat bin Ali bin Abi Bakr, **Masaeid Al-Nazar Lil-Ishraf Ala Maqasid Al-Suwar Al-Musamma (Al-Maqsid Al-Asmaa Fi Mutabaqat Asm Kul Sura Lil Musamma)**, (died: 885AH) Al-Maaref Library - Riyadh, 1st Edition, 1408 AH - 1987 AD.
14. Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughirah bin Bardizbah Al-Ja'fi, **Sahih Al-Bukhari Al-jamie Al-Sahih Al-Mukhtasar**, (died:256) , investigation: Dr. Mustafa Dib Al-Bagha, Dar Ibn Kathir, Al-Yamama - Beirut, 3rd edition, 1987 AD.
15. Al-Dani, Othman bin Saeed bin Othman bin Omar Abu Amru, **Al-Bayan Fi Ad Ay Al-Qu'ran**, (died: 444AH) investigation: Ghanem Qaddouri Al-Hamad, Center for Manuscripts and Heritage - Kuwait, 1st edition, 1414 AH - 1994 AD.
16. Al-Farabi, Abu Al-Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari, **Al-Sihah Taj Al-lugha Wa Sihah Al-Arabiya**, (died 393Ah) , investigation: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Dar Al-Ilm for Millions - Beirut, 4th edition, 1407 AH - 1987 AD.
17. Al-Farahidi, , Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim Al-Farahidi Al-Basri, **Kitab Al- Eayn**, (died: 170AH) Investigator: Dr. Mahdi Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, House and Library of Al-Hilal.

18. Al-Haddad, Abi Abdullah Mahmoud bin Muhammad , **Takhrij Ahadit Ihya Olum Al-Diyn**, (1374 AH), Extracted by: Abi Abdullah Mahmoud bin Muhammad Al-Haddad, Dar Al-Assimah, Riyadh, 1st edition, 1408 AH - 1987AD.
19. Al-Hakami, Hafez bin Ahmed bin Ali, **Maearij Al-Qabul Bi Sharh Sollam Al-Wusul Elaa Ealm Al-Usuli**, (died: 1377AH), investigation: Omar bin Mahmoud Abu Omar, Dar Ibn Al-Qayyim - Dammam, 1st Edition, 1410 AH - 1990 AD.
20. Al-Hamad, Muhammad bin Ibrahim bin Ahmed, **Mustalahat Fi Kutub Al-Aqayid**, Dar bin Khuzaimah, 1st Edition.
21. Al-Hanbali, Abu Al-Aoun Muhammad bin Ahmed bin Salem Al-Safarini, **Lawamie Al-Anwar Al-Bahia Wa Sawate`a Al-Asrar Al-Atharia Lisharh Al-Durah Al-Madiah Fi Aqd Al-Firqah Al-Mardiyah** , (died: 1188AH), Al-Khafiqin Foundation and its library - Damascus, 2st Edition , 1402 AH - 1982 AD.
22. Al-Hashemi, Ahmed Bin Ibrahim Bin Mustafa, **Jawahir Al-Balagh Fi Al-Ma'eani Wa Al-Bayan Wa Al-Badie'a**, (died: 1362 AH), Controlling, Auditing and Documenting: Dr. Youssef Al-Sumaili, Al-Asriyya Library, Beirut.
23. Al-Jarjani, Ali bin Muhammad bin Ali Al-Sayyid Al-Zein Abu Al-Hassan Al-Husseini Al-Hanafi, **Kitab Al-Ta'rifati**, (died: 816 AH), investigation: a group of researchers, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 1403 AH - 1983 AD.
24. Al-Lahib, Dr. Ahmed bin Muhammad, **Al-Talazum bayn Al-Daahir Wa Al-Batin Wa Al-Ther**, King Saud University, College of Education, Saudi Arabia.
25. Al-Muharbi, Abu Muhammad Abdul Haq bin Ghalib bin Abdul Rahman bin Attia bin Attia Al-Andalusi, **Al-Muharir Al-Wajiz Fi Tafsir Al-Kitab Al-Azizi** ,(died: 542AH), investigation: Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad, Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut, 1st Edition, 1422 AH.
26. Al-Nomani, Abu Hafs Omar bin Ali bin Adel Al-Hanbali Al-Dimashqi, **Al-Lobab fi Ulum Al-Kitab**, (died: 775AH), investigation: Adel Ahmed Abdel-Mawgod, Ali Muhammad Moawad, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 1419 AH - 1998 AD.

27. Al-Saedi, Eisaa bin Abd-Allah, **Athar Al-Mathal Al-Alaa**, Umm Al-Qura University Journal, safar 1424AH.
28. Al-Sarsari, Suleiman bin Abdul-Qawi bin Eid Al-Karim Al-Tawfi Al-Hanbali, **Al-Isharat Al-Ilahia Ilaa Al-Mabahit Al-Osuliah**, (died: 716 AH), Investigation: Muhammad Hassan Muhammad Hassan Ismail, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut - Lebanon, 1st edition, 1426 AH - 2005 AD .
29. al-Shawkani, Ali bin Muhammad bin Abdullah Al-Yamani, **Fath Al-Qadir**, (died: 1250 AH), Dar Ibn Katheer, Dar al-Kalim al-Tayyib - Damascus - Beirut, 1st Edition, 1414 AH.
30. Al-Shuwkani, Muhammad bin Abdullah Al-Yamani, **Ershad Al-Fuhul Ela Tahqiq AL-Haq Men Eilm Al-Osool** (died: 1250 Ah), Investigation: `Ahmad Eazw Enyah, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Damascus - Kafar Batana , 1st edition, 1419AH – 1999AD.
31. Al-Sobki, Taqi Al-Diyn abu Al-Hasan Ali bin Abd-alkafi bin Ali bin Tammam bin Hamid bin yahyia, **Al-Ebhaj fi Sharh Al-Minhaj (Minhaj Al-Wusul Ela Alm Al-Usul lil-Qadi Al-baydawi)** (died: 785AH), dar al-kutub al-eilmia - Beirut, 1416AH – 1995AD.
32. Al-Tahir bin Ashour, Muhammad al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Al-Tunisi, **Al-Tahrir Wa Al-Tanwir (Tahrir Al-Maenaa Al-Sadid Wa Tanwir Al-Aaql Al-Jadid Min Tafsir Al-Kitaab Al-Majid)**, (died: 1393AH), Tunisian Publishing House - Tunis, 1984 AH.
33. Al-Tom, Abdullah bin Ahmed bin Abdullah, **Dalil Al-Talazum An Al-Usulii-yn**, Journal of Social Studies, University of Science and Technology, Yemen, No. (20), April-June, 2014.
34. Al-Wahidi, Abe Al-Hasan Ali bin Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Naysaburi, Al-Shafi'i (died: 468h) **Asbab Nuzul Al-Qurani**, Investigation: Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, Dar Al-Islah - Dammam, 1st edition, 1412 AH - 1992 AD.
35. Al-Zajjaj, Abu Ishaq Ibrahim bin Muhammad bin Al-Sirri bin Sahl Al-Bagh-dadi, **Ma`ani Al-Qur'an Wa E`rabuhu**, (died: 311AH), investigation: Abdul Jalil Abdo Shalabi, Alim Al-Kutoub - Beirut, 1st Edition, 1988 AD.

36. Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed Jar Allah, **Al-Kashaf An Haqayiq Ghawamid Al-Tanzil**, (died: 538AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 3rd Edition - 1407 AH.
37. Ateeq, Abdul Aziz, **Eilm Al-Ma'eni**, (died: 1396 AH), Dar Al-Nahda Al-Arabiya for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 1st Edition , 1430 AH - 2009 AD.
38. Awaji, Ghaleb bin Ali, **Al-Madhahib Al-Fikriah Al-Muasirah Wa Dawruha Fi Al-Mujtamaat Wa Mawqif Al-Muslim Minha**, Al-Asriya Al-Dhahabiya Library - Jeddah - Saudi Arabia, 1st Edition, 1427 AH - 2006 AD.
39. bin Faris, Abu Al-Hussein Ahmed bin Zakaria bin Muhammad bin Habib Al-Razi Al-Lughi, **Muejam Maqayis Al-Lugha**, (died: 395AH), investigation: Abdul Salam Muhammad Harun, Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD
40. Bin Katheer, Abu Al-Fida Ismail bin Omar, **Tafsir Al-Qur'an Al-Azim**, (died: 774AH), investigation: Sami bin Muhammad Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution, 2st edition, 1420 AH - 1999 AD.
41. Bin Rajab, Abdul-Rahman bin Najm ibn Abd Al-Wahhab Al-Jazari Al-Sa'adi Al-Abadi Abu Al-Faraj Nasih Al-Din Al-Hanbali, **Estikhray Al-Jidal Men Al-Qur'an Al-Karim**, (died: 634ha), Investigation: Dr. Zaher bin Awad Al-Almai, Al-Farazdaq Commercial Printer, 2nd, 1401 AH.
42. Darwish, Muhyi al-Din bin Ahmed Mustafa, **E'arab Al-Qur'an Wa Bayaneh**, (died: 1403AH), Dar al-Irshad for University Affairs - Homs - Syria, (Dar al-Yamamah - Damascus - Beirut), (Dar Ibn Kathir - Damascus - Beirut) 4th edition, 1415 AH.
43. Ezzat, Darwazah Muhammad, **Al-Tafsir Al-Hadith (Muratab Hasab Tartib Al-Nuzul)**, Dar Ihya Al-Kotob Al-Arabiya - Cairo, 1383 AH.
44. Fakhr Al-Din Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taimi Khatib Al-Rayi, **Mafatih Al-Ghayb, (Al-Tafsir Al-Kabir)**, (died: 606AH), Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut, 3st Edition, 1420AH.
45. Helmy, Mustafa Muhammad, **Manhaj Olama` a Al-Hadith Wa Al-Sunah Fi Osul Al-Dayn**, Dar Al-Kutub Al-Alilmiah - Beirut, 1st Edition, 1426AH.
46. Ibn Abi Al-Ezz, Al-Dimashqi, Muhammad bin Alaa Al-Din Ali bin Muhammad Al-Hanafi Al-Adhra'i Al-Salihi Al-Dimashqi, **Sharh Al-Eaqidat Al-Tahaaw-**

- iyah**, (died: 792AH), investigation: Ahmed Shaker, The Ministry of Islamic Affairs, Dawah and Guidance, 1st edition, 1418 AH.
47. Ibn Al-Albaye, Abu Abdullah Al-Hakim Muhammad bin Abdullah bin Muhammad bin Hamdawayh bin Naeem bin Al-Hakam Al-Dhabi, **Al-Mustadrak Ala Al-Sahihayn**, (died: 405hi), investigation: Mustafa Abdel Qader Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut, 1st Edition, 1411 AH - 1990 AD.
48. Ibn Al-Atheer, Majd Al-Din Abu Al-Sa`adat Al-Mubarak bin Muhammad bin Muhammad bin Muhammad, Ibn Abdul Karim, Al-Shaibani, Al-Jazari, **Al-Nihayah Fi Ghareb Al-Hadith Wa Al-Athr**, (died: 606AH), investigation: Taher Ahmed Al-Zawi - Mahmoud Muhammad Al-Tanahi, Al-Maktabah Al-Ailmiah - Beirut , 1399 AH - 1979 AD.
49. Ibn Al-Jawzi, Jamal Al-Din Abu Al-Faraj Abd Al-Rahman bin Ali bin Muhammad, **Zad Al-Masir Fi Eilm Al-Tafsir**, (died: 597AH) , investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 1st edition, 1422 AH.
50. Ibn Al-Uthaymeen, Muhammad bin Saleh bin Muhammad, **Sharh Al-Eaqida Al-Safariniah (Al-Durat Al-Madiat Fi Eaqd `Ahl Al-Firqah Al-Maradiath)**, (died: 1421AH), Dar Al-Watan Publishing - Riyadh, 1st edition, 1426 AH.
51. Ibn Al-Uthaymeen, Muhammad bin Saleh bin Muhammad, **Taqrib Al-Tadmuriyah**, (died: 1421AH), Dar Ibn al-Jawzi - Kingdom of Saudi Arabia - Dammam, 1st edition, 1419 AH.
52. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam Al-Numeiri Al-Harrani, known as Ibn Taymiyyah, **Al-Jawab Al-Sahih Liman Badal Din Al-Masih**, (died: 728AH), investigated by: Ali ibn Hassan, and others, Dar Al-Assimah - Saudi Arabia, 2nd edition, 1419 AH - 1999AD .
53. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam al-Numeiri al-Harrani, **Dar' Taearud Al-Eaql Wa Al-Naql Aw Muafaqat Sahih Al-Manqul Li Sarih Al-Maequl**, (died: 728AH), investigation: Abdul Latif Abdul Rahman, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1417 AH. - 1997 AD.
54. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam Al-Numeiri Al-Harrani, **Al-rad Ala Al-Mantaqieyn**, (died: 728 AH), Dar Al-Maarifah - Beirut - Lebanon.

55. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam Al-Numeiri Al-Harrani, **Sharh Al-Asbahaniah**, (died: 728h), investigation: Muhammad bin Odeh Al-Sa'wi, Dar Al-Minhaj Library - Riyadh, 1st edition, 1430 AH.
56. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam Al-Numeiri Al-Harrani, **Sharh Hadith Gabriel Alayh Al-Salam Fi Al-Islam Wa Al-Iman Wa- Al-Ihsan Known As The Book (Al-Iman Al-Awsat)** (died: 728AH), Study and Investigation, Dr. Ali bin Bakhit Al-Zahrani, Publisher: Dar Ibn Al-Jawzi for Publishing and Distribution - Saudi Arabia, 1423 AH.
57. Ibn Taymiyyah, Taqi Al-Din Abu Al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam Al-Numeiri Al-Harrani, **Al-Nubowaat**, (died: 728AH), investigation: Abdul-Aziz bin Saleh Al-Tuwan, Adwa Al-Salaf - Riyadh - Saudi Arabia, 1st Edition, 1420 AH - 2000 AD.
58. Muslim, Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Nisaburi, **Sahih Muslim (Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Bi Naql Al-Adl an Al-Adl ila Rasul Allah Salaa Allah Alayh Wa Salim)**, (died: 261AH), investigation: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Dar Ihyaa Al-Turat Al-Arabi - Beirut.
59. Sano, Qutb Mustafa, **Muejam Mustalahat Osul Al-Fiqah**, Dar al-Fikr - Beirut - Damascus, 1st Edition, 1420 AH - 2000 AD.
60. Zakaria, Abu Bakr Muhammad, **Al-Shirk Fi Al-Qadim Wa Al-Hadith**, Al-Rushd Library for Publishing and Distribution, Riyadh - Saudi Arabia, 1st edition, 1421 AH - 2000 AD.



(5)

METHOD OF IBN HISHAM (d.218H) IN GIVING EXEGETICAL UNDERSTANDING TOWARD VAGUENESS OF THE QUR'AN AND ITS EVIDENCES AS APPEARED WITHIN SIRAH IBN ISHAK (d.150H).

Dr. Nayef bin Saeed bin Jam'n al-Zahrani

Research Objective

To highlight the method of Ibn Hisham in giving exegesis toward certain vagueness of the words contained in the Qur'an and its distinction in his description in that particular aspect.

Research Problem

- Did Ibn Hisham give certain impact in the knowledge relates with vagueness of the Qur'an? What the size of its impact?
- What is the distinctive feature of knowledge of Ibn Hisham related with his approach toward gharib al-Qur'an? What is the method he employed in giving exegesis?

Research Findings

- Ibn Hisham excelled in addition to the knowledge on the History of the Prophet (pbuh) in these following aspects: knowledge on vagueness of language (gharib al-lughoh), his preservation and evidences and its coherence.
- Ibn Hisham gave exegesis as contained in his book, one hundred and eleven words on vagueness of the Qur'an (gharib al-Qur'an).
- Ibn Hisham supported with two hundred and two evidences from the Qur'an including the mood of recitation, Sunnah of the Prophet (pbuh), sayings of Salafi scholars, and Arabic classical poetries

Keywords:

Ibn Hisham, Ibn Ishak, Gharib al-Qur'an, poetic evidences



Bibliography

1. Al-Shu'araa al-Huzaliyyeen, Al-Shu'araa al-Huzaliyyeen, **Diwan Al-Huzaliyyeen**, National House of Printing and Publishing - Cairo, 1385 AH.
2. Abbas, Ihsan Abbas (died: 1424 AH), **Shi'ir al-Khawaarij**, Dar al-Thaqafa - Beirut, 2nd Edition, 1974 AD.
3. Abbas, Ihsan, Ihsan Abbas (the presenter and the investigator), **Sharh Diwan Labid bin Rabi'a Al-Amiri**, the Ministry of Guidance and News, Kuwait, 1962 AD.
4. Abdul-Rahim, Muhammad Abdul-Rahim, **Tafsir Hassan Al-Basri**, Dar Al-Hadith, Cairo.
5. Abdul-Tawaab, Ramadan Abdul-Tawaab, (died: 1422 AH), **Buhuth Wa Maqaalaat fee al-Lugha**, Al-Khanji Library - Cairo, 3rd edition, 1415 AH.
6. Abi Al-Khattab Al-Qurashi, Abu Zaid Muhammad (died: 170 AH), **Jamharat Ash'aar al-Arab**, investigation: Ali Al-Bajadi, Nahdet Misr for Printing.
7. Abi Ya'la, Abu al-Husain Ibn Muhammad Ibn Muhammad (died: 526 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1st edition, 1417 AH.
8. Abu Al-Faraj Al-Isfahani, Ali bin Al-Hussein bin Muhammad bin Ahmed bin Al-Haytham Al-Marwaani Al-Umawi (died: 356 AH), **Al-Aghaani**, investigation: Ihsan Abbas, and others, Dar Sadir - Beirut, 1st edition, 1423 AH.
9. Abu Ali, Al-Hasan bin Ahmed bin Abdul-Ghaffar al-Farisi, (died: 377 AH), **Al-Hujja Li al-Qurraa al-Sab'a**, investigation: Badr Al-Din Kahwaji, and Bashir Guijabi, Dar Al-Mamoun - Damascus, Beirut, 2nd edition, 1413 AH.
10. Abu al-Tayyib, Abdul-Wahid bin Ali al-Halabi, al-Lughawi (died: 351 AH), **Maraatib al-Nahwiyyeen**, investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, al-Maqtabat al-Asriyya, 1st edition, 1423 AH.
11. Abu Bakr Al-Anbari, Muhammad bin Al-Qasim bin Muhammad bin Bashar, (died: 328 AH), **Al-Zahir fee Ma'ani Kilimaat al-Nas**, investigated by: Hatem Al-Dameen, Foundation of the Message, 1st edition, 1412 AH.
12. Abu Hilal Al-Askari, Al-Hassan bin Abdullah bin Sahel bin Sa'eed bin Yahya bin Mahran (died: about 395 AH), **Diwan Al-Ma'ani**, investigation:

- Ahmed Salim Ghanem, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1st edition, 1424 AH.
13. Abu Nasr Al-Bahili, Ahmed bin Hatim Al-Bahili (died: 231 AH), **Diwan Zee Al-Rimma sharh Abi Nasr Al-Baahili Bi Riwaayat Tha'lab**, investigation :Abdul-Quddus Abu Saleh ,Al-Iman Foundation - Jeddah 1402 ,1 ,AH.
 14. Al-Afghani, Sa'eed Al-Afghani, **Fee Usul al-Nahw**, Islamic Bureau - Beirut, 1407 AH.
 15. Al-Akhfash Al-Asghar, Ali bin Suleiman bin Al-Fadl, Abu Al-Mahasin, (died: 315 AH), **Al-Ikhtiyaarain al-Mufaddaliyyaat wa al-Asma'iyyaat**, investigated by: Fakhr Al-Din Qabawah, Dar Al-Fikr Al-Mu'asir - Beirut, 1st edition, 1420 AH.
 16. Al-Alousi, Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah Al-Husseini (died: 1270 AH), **Ruh al-Ma'ani fee Tafsir al-Quran al-Azeem wa al-Sab'i al-Mathaani**, investigation: Muhammad Al-Amad, Omar Abdel Salam, Revival of the Arab Heritage - Beirut, 1st edition, 1420 AH.
 17. Al-Anbaari, Abdul-Rahman bin Muhammad (died: 577 AH), **Luma al-Adillah fee al-Nahw**, investigated by: Sa'eed al-Afghani, Syrian University Press, 1377 AH.
 18. Al-Asha, Maimoon Bin Qais Bin Jandal from Bani Qais Bin Tha'labah Al-Wa'ili, Abu Baseer (Al-Asha Al Kabeer), **Diwan Al-A'sha Al-Kabeer Maimoon Bin Qais**, investigation: Muhammad Hussein, Maktabat al-Adaab in Al-Jamamis.
 19. Al-Asma'I, Abu Sa'eed Abdul-Malik bin Qareeb bin Ali bin Asma' (died: 216 AH), **Al-Asma'iyyaat**, investigation: Ahmed Shakir and Abdul-Salam Haroun, Dar Al-Ma'arif - Egypt, 7th edition, 1993 AD.
 20. al-Assad, Nasir al-Din Muhammad Ahmad Jamil al-Assad, **Masaadir al-Shi'ir al-Jahili wa Qimatiha al-Tarikhiyah**, Dar al-Ma'arif - Egypt, 7th edition, 1988 AD.
 21. Al-Azhari, Muhammad bin Ahmed bin Al-Harawi, Abu Mansour (d. 370 AH), **Tahzeeb al-Lugha**, investigation: Muhammad Mereb, Dar Ihyaa al-Turaath al-Arabi, 1st edition, 2001 AD.
 22. Al-Baghawi, Abu Muhammad Al-Husseini bin Masoud bin Muhammad bin Al-Fara Al-Shafi'i (died: 516 AH), **Sharh al-Sunnah**, investigation: Shu'aib Al-Arnaout, Islamic Bureau - Damascus, 2, 1403 AH.

23. Al-Baghdadi, Abdul-Qadir bin Umar (died: 1093 AH), **Khazaanat al-Arab wa Lub Lubaab Lisan Al-Arab**, investigation: Abdul-Salam Haroun, Al-Khanji Library - Cairo, 4th edition, 1418 AH.
24. Al-Baghdadi, Abdul-Qadir bin Umar (died: 1093 AH), **Sharh Abyaat Mughni Al-Labib**, investigation: Abdul Aziz Rabah, and Ahmed Yusuf Daqqaq, Dar al-Thaqafah al-Arabiya- Damascus, 2nd Edition, 1410 AH.
25. Al-Baghdadi, Muhammad ibn al-Mubarak ibn Muhammad ibn Maimun (died: 597 AH), **Muntaha al-Talab Min Ash'aar al-Arab**, investigation: Nabil Tarifi, Dar Sadir - Beirut, 1st edition, 1999 AD.
26. Al-Balazuri, Ahmad bin Yahya bin Jabir bin Da'ud (died: 279 AH), **Ansaab Al-Ashraf**, investigation: Suhail Zakkar and his companion, Dar Al-Fikr - Beirut, 1, 1417 AH.
27. Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughirah, Abu Abdullah (died: 256 AH), **Khalq Af'aal al-Ibaad**, investigation: Usama Muhammad Al-Jamal, Library of Abu Bakr Al-Siddiq, 1st edition, 1423 AH.
28. Al-Dabbi, Al-Mufaddal bin Muhammad bin Ya'la bin Salim Al-Dabbi (died: 168 AH), **Al-Mufaddaliyaat**, investigation: Ahmed Shakir, and his companion, Dar Al-Ma'arif - Cairo, 6th edition.
29. Al-Dinawari, Abu Hanifa Ahmed bin Dawood (died: 282 AH), **. Al-Nabaat**, investigation: Bernhard Levin, Franz Steyer - Wiesbaden, 1394 AH.
30. Al-Farazdaq, Hammam bin Ghalib bin Sa'sa'ah Al-Tamimi Al-Darimi Abu Firas, **Diwan Al-Farazdaq**, investigation: Ali Fa'ur, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st edition, 1407 AH. Beirut edition.
31. Al-Fasi, Abu Abdullah Muhammad bin Al-Tayib, **Faid Nashr al-inshiraah**, Research House for Islamic Studies - Dubai, 2nd, 1423 AH.
32. Al-Haawi, Iliya, Iliya Al-Haawi (The Investigator) ,**Sharh Diwan Al-Farazdaq**, Dar al-Kitaab al-Lubnaani - Beirut, 1st edition, 1983 AD.
33. Al-Hudaithi, Khadija Al-Hudaithi, **Mauqif al-Nuhaat Min al-Ihtijaaj bi al-Hadith al-Nabawi al-Sharif**, Dar Al-Rashid, 1981 AD.
34. Al-Ja'adi, Qais bin Abdullah bin Udas bin Rabi'a Al-Ja'adi Al-Amri, Abu Laila, **Diwan Al-Nabigha Al-Jaadi**, investigation: Wadih Al-Samad, Dar Sadir - Beirut, 1st edition, 1998 AD.

35. Al-Jauhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Farabi (died: 393 AH), **Al-Sihaah**, investigation: Ahmed Abdul-Ghafour Attar, Dar Al-Ilm Li al-Malayeen - Beirut, 4th edition, 1407 AH.
36. Al-Jurjaani, Abu Bakr Abdul Qahir bin Abdul-Rahman bin Muhammad Al-Farisi, (died: 471 AH), **Da'aa'il al-I'jaaz**, investigation: Mahmoud Muhammad Shakir, Al-Madani Press - Cairo, 3rd edition, 1413 AH.
37. Al-Khatib al-Tabrizi, Abu Zakariya Yahya bin Ali bin Muhammad al-Shaibaani al-Tabrizi, (died: 502 AH), **Sharh Diwan Antara**, investigation: Majid Trad, Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, 1, 1412 AH.
38. Al-Khatib, Muhammad Ajjaaj, **Dawaabit al-Fikr al-Nahawi**, Dar Al-Ba-seer - Cairo.
39. Al-Ma'aafari, Abdul-Malik bin Hisham bin Ayub al-Hamiri Abu Muhammad, Jamal al-Din (died: 213 AH), **Al-Teejaan fee Muluk Himyar**, Dar al-Ma'arif al-Uthmaniyyah Press - Balkano, India, 1, 1347 AH.
40. Al-Maqrizi, Ahmad bin Ali Al-Maqrizi, Taqi Al-Din (died: 845 AH), **Al-Maqfi Al-Kabeer**, investigation: Muhammad Al-Yalawi, Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, 2nd edition, 1427 AH.
41. Al-Mawardi, Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib Al-Basri Al-Baghdadi, (died: 450 AH), **Al-Nukat Wa al-Uyoon**, investigation: Al-Sayyid Abdul-Maqsoud, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut.
42. Al-Mizzi, Jamal Al-Din Abi Al-Hajjaaj Yusuf (died: 742 AH), **Tahzeeb al-Kamaal fee Asmaa al-Rijal**, investigation: Bashar Ma'arouf, Al-Risala Foundation - Beirut, 1st edition, 1400 AH.
43. Al-Mursi, Abu Al-Hasan Ali bin Ismail bin Sayeda (died: 458 AH), **Al-Hakam Wa al-Miheet al-A'zam**, investigation: Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1, 1421 AH.
44. Al-Muzani, Zuhair bin Abi Salma Rabia bin Rabah, **Diwan Zuhair bin Abi Silma**, investigation: Ali Fa'ur, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1, 1408 AH.
45. Al-Nawawi, Abu Zakaria Mohieddin Yahya bin Sharaf (died: 676 AH), **Sharh Sahih Muslim**, Dar al-Khair - Beirut, 3rd edition, 1416 AH.
46. al-Qadi, Abdul-Fattah ibn Abdul-Ghani ibn Muhammad (died: 1403 AH),

Al-Badur Al-Zahirah fee al-Qira'at al-Ashr al-Mutawaatirah Min Tariqai al-Shatibiyah wa Durra, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut.

47. Al-Qafti, Jamal Al-Din Abu Al-Hassan Ali bin Yusuf (died: 646 AH), **Inbaa al-Ruwaat Ala Anbaah al-Nunaat**, investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Fikr - Cairo, 1st edition, 1406 AH.
48. Alqamah bin Abda, Alqamah bin Abda bin Nashira bin Qais, from Bani Tamim, **Diwan Alqama bin Abda**, investigation: Sa'eed Naseeb Makarim, Dar Sadir - Beirut, 1st edition, 1996 AD.
49. Al-Qastallaani, Shihab Al-Din Abi Al-Abbas Ahmed bin Muhammad bin Abi Bakr (died: 923 AH), **Lataa'if al-Ishaarat Li funoun al-Qiraa'at**, investigation: Amir Al-Sayid, and his companion, Lajnat Ihya al-Turaath al-Islami, Al-Ahram Press - Egypt, 1392 AH.
50. Al-Safaarini, Shams Al-Din Abu Al-Awn Muhammad bin Ahmed bin Salim Al-Hanbali (died: 1188 AH), **Lawaami' al-Anwaar al-Baiyyah wa Sawaati al-Asraar al-Athariyya Li Sharh al-Durrah al-Mudiyah fee Aqd al-Firqah al-Mardiyyah**, Al-Khafaqin Foundation - Damascus, 2nd Edition, 1402 AH.
51. Al-Safadi, Salah Al-Din Abu Al-Safa Khalil bin Aibak bin Abdullah Al-Albaki Al-Fari Al-Dimashqi Al-Shafi'i (died: 764 AH), **Al-Wafi Bi al-Wafiyyaat**, investigation: Ahmed Al-Arnaout and his companion, Dar Ihyaa al-Turaath - Beirut, 1420 AH.
52. Al-Sairaafi, Yusuf bin Abi Sa'eed Al-Hassan bin Abdullah bin Al-Marzban Abu Muhammad (died: 385 AH), **Sharh Abyaat Sibawaih**, investigation: Muhammad Al-Reeh Hashem, Dar Al-Jeel - Beirut, 1416 AH.
53. Al-Sakhaawi, Alam Al-Din Ali bin Muhammad bin Abdul-Samad Al-Hamdani Al-Masri Al-Shafi'i, Abu Al-Hasan, (died: 643 AH), **Jamaal Al-Qurra wa Kamaal Al-Iqraa**, investigation: Marwan Al-Attiyah, and his companion, Dar Al-Mamoun for Heritage - Damascus, 1, 1418 AH.
54. Al-Shaa'ir, Hassan Musa **Al-Nuhaat wa al-Hadeeth al-Nabawi al-Sharif**, Ministry of Culture and Youth, Amman, 1980 AD.
55. Al-Shafi'i, Abu Abdullah Muhammad bin Idris Al-Muttalib Al-Qurashi (died: 204 AH), **Al-Risah**, investigation: Ahmed Shaker, Al-Halabi Library - Egypt, 1st edition, 1358 AH.

56. Al-Shantamari, Al-A'lam Yusuf bin Suleiman bin Isa Al-Shantamari Al-Andalusi (died: 476 AH), **Sharh Diwan Alqama bin Abd Al-Fahl**, investigation: Hanna Nasr Al-Hatti, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 1st edition, 1414 AH.
57. Al-Shantamari, Al-A'lam Yusuf bin Suleiman bin Isa Al-Shantamri Al-Andalusi (died: 476 AH), **Diwan Tarfa bin Al-Abd Sharh Al-A'lam Al-Shantamari**, investigation: Durayya Al-Khatib, Arab Institute for Studies and Publishing - Beirut, 2nd Edition, 2000 AD.
58. Al-Suhaili, Abu Al-Qasim Abdul-Rahman bin Abdullah bin Ahmad (died: 581 AH), **Al-Rawd Al-Unf fee sharh al-Siyar al-Nabawiya Li Ibn Hisham**, investigation: Abdul-Rahman Al-Wakeel, Dar al-Kutub al-Hadithah, 1st edition, 1410 AH.
59. Al-Sukari, Al-Hasan bin Al-Hussein Abu Sa'eed, **Sharh Ash'aar al-Huzaliyyeen**, investigation: Abdul-Sattar Farraaj, Dar Al-Uruba Library - Cairo.
60. Al-Suyuti, Abdul-Rahman bin Abi Bakr, Jalal Al-Din (died: 911 AH), **Al-Dur Al-Manthur fee Tafsir bi Al-Ma'thur**, Dar Al-Fikr - Beirut.
61. Al-Suyuti, Abdul-Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din (died: 911 AH), **Al-Iqti-raah fee Usul al-Nahw**, printed with his explanation: **Faid Nashr al-In-shiraah**, by Ibn Tayyib al-Faasi, Dar al-Buhooth Li al-Diraasaat al-islamiyya wa ihya al-Turath - Dubai, 2nd edition, 1423 AH.
62. Al-Suyuti, Abdul-Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din (died: 911 AH), **Al-Mu-zhir fee Ulum al-Lugha wa Anwaa'iha**, investigation: Fouad Mansour, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st edition, 1418 AH.
63. Al-Suyuti, Abdul-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din (died: 911 AH), **Bughyat al-Wu'aat fee Tadbeeq al-Lughawiyeen wa al-Nuhaat**, investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, al-Asriyya Library - Sidon.
64. Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb Al-Amali, Abu Jaafar (died: 310 AH), **Jaami' al-Bayaan An Ta'weel Aay al-Quran**, investigation: Abdul Mohsen al-Turki, Dar Hajar, 1, 1422 AH.
65. Al-Tirmizi, Abu Isa Muhammad bin Issa bin Surah bin Musa bin Al-Dahhak (died: 279 AH), **Jaami' Al-Tirmizi**, investigation: Ahmed Shakir, Mustafa Al-Babi Al-Halabi - Egypt, 2nd floor, 1395 AH.

66. Al-Zahabi, Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaimaaz (died: 748 AH), **Siyar A'laam al-Nubalaa**, investigation: Shuaib Arnaout, Al-Risala Foundation - Beirut, 3rd edition, 1405 AH.
67. Al-Zahabi, Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Usman bin Qaymaz, (died: 748 AH), **Taarikh al-Islam**, investigation: Omar Al-Tadmari, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 2nd edition, 1413 AH.
68. Al-Zahraani, Nayif bin Sa'eed, **Al-Istidlaal fee al-Tafsir**, Tafsir Center for Qur'anic Studies - Riyadh, 2nd Edition, 1436 AH.
69. Al-Zamakhshari, Jarallah Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed, (died: 538 AH), **Asaas al-Balaagha**, investigation: Muhammad Uyoun Al-Soud, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st edition, 1419 AH.
70. Al-Zarkashi, Abu Abdullah Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahader) deid 794 :AH, **(Al-Burhaan fee Ulum al-Qur'an** ,investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim ,Dar Alam Al-Kutub 1424 ,AH.
71. al-Zubaidi Al-Andalusi al-Ishbili, Muhammad ibn al-Hasan ibn Ubaid Allah ibn Madhhaj al-Zubaidi, Abu Bakr (died: 379 AH), **Tabaqaat al-Nahwiyyeen wa al-Lughawiyyeen**, Investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'arif - Egypt, 1976 AD.
72. Al-Zubaidi, Amr bin Ma'adi Karib bin Rabee'a bin Abdullah (died: 21 AH), **Diwan Amr bin Ma'adi Karib Al-Zubaidi**, investigation: Mutaa Al-Tarabishi, Arabic Language Academy - Damascus, 2nd edition, 1405 AH.
73. Al-Zubaidi, Muhammad bin Muhammad bin Abdul-Razzaq Al-Hussaini, Abu Al-Fayd, nicknamed Murtada, (died: 1205 AH), **Taaj al-Arous min Jawaahir al-Qaamous**, investigation: Abdul-Sattar Ahmed Farraaj, Kuwait Government Press, 1385 AH.
74. Antarah Al-Absi, bin Amr bin Shaddad bin Mu'awiya bin Qarad Al-Absi, **Diwan Antarah**, investigation: Muhammad Saeed Mawlawi, Al-Maktab al-Islaami, 1390 AH.
75. Center for Information and Quranic Studies, **Mausu'at al-Shi'ir al-Arabi**, Imam Shatibi Institute - Jeddah, 1st edition, 1439 AH.
76. Hassan bin Thabit, Hassan bin Thabit Al-Ansaari, **The Diwan Hassan bin Thaabit**, investigation: Walid Arafat, Dar Sader - Beirut, 2006 AD.

77. Ibn Abi Al-Rakb, Abu Dhar Al-Khushni Musab bin Muhammad (Abu Bakr) bin Masoud Al-Khushni Al-Jayani Al-Andalusi, Abu Dhar, known like his father as Ibn Abi Al-Rakb (died: 604 AH), **Al-Imlaa al-Mukhtasar fee Sharh Ghareeb al-Siyar**, investigation: Paul Brunelleh, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut.
78. Ibn al-Anbari, Abu Bakr Muhammad ibn al-Qasim ibn Bashir (d.: 328 AH), **Sharh al-Qasaa'id al-Sab'a al-Tiwaal al-Jaahiliyyaat**, investigation: Abdul-Salam Harun, Dar al-Maarif.
79. Ibn Al-Jazari, Shams Al-Din Abu Al-Khair, Muhammad bin Muhammad bin Yusuf (died: 833 AH), **Munjid al-Muqri'een wa Murshid al-Talibeen**, investigation: Ali Al-Imran, Dar Aalam Al-Fawaa'id - Mecca, 1st edition, 1419 AH.
80. Ibn Al-Mu'taz, Abdullah bin Muhammad Al-Abbasi (died: 296 AH), **Tabaqat al-Shu'ara**, investigation: Abdel-Sattar Ahmed Farraj, Dar Al-Maarif - Egypt, 3rd Edition.
81. Ibn al-Tayyib al-Sharqi, Abu Abdullah Muhammad ibn al-Tayyib al-Samili al-Sharqi al-Fassi, (died: 1170 AH), **Sharh Kifaayat al-Mutahaffiz**, investigated by: Ali Hussein al-Bawab, Dar al-Uloom - Riyadh, 1, 1403 AH.
82. Ibn Ashour, Muhammad al-Taher bin Muhammad bin Muhammad al-Tahir al-Tunisi (died: 1393 AH), **Al-Tahreer Wa al-Tanweer**, published by the Tunisian House.
83. Ibn Faris, Ahmad bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussain (died: 395 AH), **Al-Saahibi fee Fiqh al-Lugha wa Masa'iliha wa Sunan Al-Arab fee Kalamih**, investigation: Ahmed Hassan Bassaj, Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut, 1st edition, 1418 AH. the copy of: Al-Sayyid Ahmed Saqr, Isa Al-Babi Al-Halabi Press - Cairo.
84. Ibn Faris, Ahmed bin Zakariya Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (died: 395 AH), **Maqayees al-Lugha**, investigation: Abdul-Salam Haroun, Dar Al-Fikr, 1399 AH.
85. Ibn Hanbal, Abu Abdullah Ahmed bin Muhammad bin Hilal bin Asad Al-Shaibani (died: 241 AH), **Musnad Ahmed bin Hanbal**, Mu'assasat al-Qurtubah - Cairo, Dar Al Ma'arif - Cairo, 1st edition, investigation: Ahmed Shakir.

86. Ibn Jinni, Abu Al-Fath Uthman Al-Mawsili (died: 392 AH), **Al-Khasaa'is**, investigation: Abdul-Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya - Beirut, 1, 1421 AH.
87. Ibn Jinni, Abu Al-Fath Uthman Al-Mawsili (died: 392 AH), **Al-Muhtasib fee Tabyeen Wujouh Shawaaaz al-Qira'at wa al-Idaah Anha**, investigation: Muhammad Abdul Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut, 1, 1419 AH.
88. Ibn Katheer, Abu Al-Fida Ismail bin Umar Al-Qurashi Al-Basri and then Al-Dimashqi (deceased: 774 AH), **Al-Bidaayah wa al-Nihaaya**, investigation: Sami Muhammad Al-Salama, Dar Taiba, 2nd edition, 1420 AH.
89. Ibn Kathir, Imam Imad Al-Din Abi Al-Fida Ismail Al-Qurashi Al-Dimashqi known as Ibn Kathir (died: 774 AH), **Tafsir al-Quran al-Azeem**, investigation: Asaad Al-Tayeb, Nizar Al-Baz Library, 3rd, 1419 AH.
90. Ibn Khaalawaih, Abu Abdullah Al-Hussein bin Ahmed (died: 370 AH), **Al-Qiraa'at al-Shaazza**, Dar Al-Kindi - Irbid, Jordan, 2002 AD.
91. Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din al-Ansari al-Ruwafa'i al-Ifriqi (died: 711 AH), **Lisan al-Arab**, Dar Sadir - Beirut, 3rd edition, 1414 AH.
92. Ibn Mujahid, Ahmed bin Musa bin Abbas Al-Tamimi, Abu Bakr Al-Baghdadi (died: 324 AH), **Al-Sab'a**, investigation: Shawqi Dhaif, Dar Al-Maaref - Egypt, 2nd edition, 1400 AH.
93. Ibn Qutaiba, Al-Dinawari Abu Muhammad Abdullah bin Muslim (died: 276 AH), **Gharib al-Quran**, investigation: Al-Sayyid Ahmed Saqr, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st edition, 1398 AH.
94. Ibn Qutaiba, Al-Dinori Abu Muhammad Abdullah bin Muslim (died: 276 AH), **Al-Shi'ir Wa al-Shu'araa**, investigation: Ahmed Muhammad Shakir, Dar Al Ma'arif - Cairo.
95. Ibn Qutaiba, by Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutaiba Al-Dinori (died: 276 AH) **Al-Ma'arif**, Investigation: Tharawat Okasha, Egyptian General Book Authority, 2nd edition, 1992 AD.
96. Ibn Sallaam, Muhammad bin Ubaid-Allah Al-Jumahi, Abu Abdullah (died: 232 AH), **Tabaqaat Fuhood al-Shu'araa**, investigation: Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Madani - Jeddah.

97. Ibn Taymiyyah, Sheikh Al-Islam Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam (died: 728 AH), **Tanbeeh al-Rajul al-Ghafil Ala Tamweeh al-Jadal al-Baatil**, investigated by: Ali Muhammad Al-Imran, and Muhammad Uzair Shams, Dar Alam Al-Fawa'id - Makkah Al-Mukarramah, 1st edition, 1425 AH.
98. Ibn Usfoor, Sharh al-Jamal, Ali bin Moamen bin Muhammad, al-Hadrami al-Ishbili, Abu al-Hasan, (died: 669 AH), **Sharh al-Jamal**, investigation: Fawaz al-Sha'ar, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st edition, 1419 AH.
99. ibn Yunus al-Sadafi, Abdul-Rahman ibn Ahmad Abu Sa'eed (died: 347 AH), **Taarikh Ibn Yunus al-Masry**, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1st edition, 1421 AH.
100. Jabal, Muhammad Hassan Jabal, **Al-Ihtijaaj Bi al-Shi'ir fee al-Lugha**, Dar al-Fikr al-Arabi - Cairo, 1986 AD.
101. Khalil bin Ahmad Al-Farahidi, Abi Abdul-Rahman bin Amr bin Tamim Al-Farahidi Al-Basri (died: 170 AH), **Al-Ain**, investigation: Mahdi Al-Makhzoumi and his companion, Dar wa Maktabat Al-Hilaal.
102. Kura'u al-Naml, Ali bin Al-Hassan Al-Hunaa'i Al-Azdi, Abu Al-Hassan, nicknamed "Kura'u al-Naml" (died: after 309 AH), **Al-Muntakhab Min Kalaam al-Arab**, investigated by: Muhammad Al-Umari, Research Institute at Umm Al-Qura University, 1st edition, 1409 AH.
103. Mohammed bin Rashid Al Maktoum Foundation, **Mausu'at al-Shi'ir Al-Arabi**, first electronic version, 2009 AD.
104. Muammar bin Al-Muthanna, Abu Ubaidah Muammar bin Al-Muthanna Al-Taymi Al-Basri (died: 209 AH), **Majaaz al-Quran**, investigation: Muhammad Fu'ad Sezkin, Al-Khanji Library - Cairo, 1381 AH.
105. Mujahid bin Jabr, Abu Al-Hajjaj Mujahid bin Jabr Al-Tabi'i Al-Makki Al-Qurashi Al-Makhzumi (died: 104 AH), **Tafsir Mujaahid**, investigation: Muhammad Abdul Salam, Dar Fikr al-Islami al-Haditha- Egypt, 1st edition, 1410 AH.



(6)

THE CHANGE UNDERSTANDING OF THE WEST TOWARD THE BIOGRAPHY OF THE PROPHET (PBUH) BETWEEN MEDIEVAL PERIOD AND MODERN HISTORY: ANALYTICAL STUDY ON ITS CAUSES AND IMPACT

Dr. Ibrahim bin Khalil Mazhar

Research Objective

It reveals the causes of change and developmental process Western understanding toward the Prophet (pbuh) and his biography within the modern history.

Research Problem

What are the causes which contribute the developmental process and changes of the West with regard to their standpoint toward the Prophet (pbuh) and his biography?

Research Findings

- It has been confirmed due to the existing scientific and cultural impact of publication in the West and the world in presenting the true image of the Prophet (pbuh) with the use of international languages.
- It is due to the positive standpoints of great writers and thinkers of the West in analyzing and criticizing toward negative standpoints, hatred and animosity of the West by translating their scholarly works and through publication of their views in different international forum and dialogues.

Keywords:

West, Orientalism, Prophetic History, Medieval Period.



Bibliography

1. Carlyle, Thomas, **Al-Abtal**, Arabization of Muhammad Al-Sibai, The Commercial Library in Cairo, 1930 AD, 2nd edition.
2. Hamdan, Prof. Assem, **Al-Adab Al-Arabi Fi Mudawanat Al-Mustaeribin**, Madinah Literary Club in 2017 AD, 1st edition.
3. Al-Naeem, Abdullah, **Al-istishraq Fi Al-Siyrah Al-Nabawiah Dirasah Tarikhia Li Ara (Watt - Brockelmann - Wellhausen)**, Higher Institute of Islamic Thought, 1997 AD, 1st edition.
4. Saeed, Edward , **Al-Istishraq Al-Mafahim Al-Gharbiah Lil Sharq**, Ro'ya for Publishing, 2008 AD, 1st edition.
5. Al-Sharqawi, Prof. Dr. Muhammad, **Al-Istishraq Wa Tashkil Nazrat Al-Gharb Lil Islam**, Dar Al-Bashir, 2016 AD, 1st edition.
6. Begovic, Ali Izzat, **AL-Islam Bayn AL-Sharq Walgharb**, Foundation for AL-Eilm AL-Hadith - Beirut, 1994 AD, 1st edition.
7. De Castries, Henri, **Al-Islam Khawatir Wa Sawanah**, Al Nafeza Library, 2008, 1st edition.
8. Ali, Muhammad Mehr, **Al-Iahtimam Bi Al-Siyrah Al-Nabawih Biallughat AL-Iinjilizia**, King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, 2013 AD.
9. Brockelmann, Carl, **Tarikh AL-Adab AL-Arabi**, Printed by the Egyptian General Book Organization, 1993 AD.
10. Lockman, Zachary, **Tarikh AL-Iastishraq Wa Siasatih**, translation: Sherif Youssef, Dar Al-Shorouk - Cairo, 2007AD, 1st.
11. Watt, William Montgomery, **Tathir AL-Islam Fi Uwrubaa AL-Usur AL-Wustaa**, Print: Josour for Translation, Beirut, 2016 AD, 1st edition.
12. Fück, Wilhelm, **Tarikh Harakat AL-Iaistishraq**, Translated by: Omar Lutfi Al-Alam, Dar Qutaiba, 1st edition, 1996 AD.
13. Seignobos, Charles , **Tarikh AL-Hadara**, Arabization: Muhammad Kardali, Al-Zaher Press - Cairo.

14. Parker, Ernest, **AL-Hurub AL-Salibia**, Dar Al-Nahda Al-Arabiya - Beirut.
15. Tolstoy, Leo, **Hokm AL-Nabii Muhamad**, Carefully and Commentary by Dr. Mahmoud Al-Najiri, Al-Nafza Library - Cairo, 2008 AD, 1st Edition.
16. Madkour, Abdel Hamid, **Al-Hiwar Al-Masihii Al-Islami- Dirasat li-ih-daa AL-Wathayiq**, within a research group collected and published by: Dr. Ahmed Howaidi, entitled: (Ishkaliah Al-Manhej Fi Dirasat Al-Adyan), House of Arab Culture, 2018 AD, 1st.
17. Al-Wahaibi, Abdullah, **Haul Al-Istishraq Al-Jadid**, Research and Studies Center in Al-Bayan Magazine, 1435 AH, 1st Edition.
18. Dermenghem, Emile, **Hayaat Muhamad**, translated by: Adel Zuaiteer, Dar Al-Alam Al-Arabi - Cairo 2013 AD - 1st Edition.
19. Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughirah bin Bardzibbah Al-Ja'fi, **Sahih Al-Bukhari Al-Musamaa Al-Jamie Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Min `Omur Rasul Allah Salaa Allah Alayh Wa Salam Wa Sunanuh Wa Ayaamah**, (Death: 256), Dar Al-Arqam - Beirut.
20. Group Of Orientalists, **Dayirat Al-Maearif Al-Islamiah**, printed by the Sharjah Center for Intellectual Creativity, 1998 AD, 1st Edition.
21. Dinet, Etienne, **Daras Antiqadi Ii Mualafat lamnis, Within a group entitled** (Ara'a Gharbiat Fi Masayil Sharqia), Arabization: Omar Fakhoury, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 1955 AD.
22. Al-Omari, Dr. Walid Balihesh, **Al- siyrat AL-Nabawiat Fi Dayirat AL-Maearif AL-Biritaniat, Dirasat Tahlilia Lima Kutiba Taht Madda (Muhamad: AL-Nabii Wa Risalatihi).**
23. Dinet, Etienne, **Al-sharq Fi Nazar AL-Gharb Dimn Majmueat Bi Euanwan Ara'a Gharbiat Fi Masayil Sharqia**, Arabization: Omar Fakhoury, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 1955 AD.
24. Hunke, Sigrid, **Shams Al-Arab Tastae Alaa AL-Gharb**, Dar Sader - Beirut.
25. Muslim, Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Naysaburi, **Sahih Muslim (Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Bi Naql Al-Adl An Al-Adl Ilaa Rasul Allah Salaa Allah Alayh Wa Salam)** (Death: 261 AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 2004 AD, 1st.

26. Rodinson, Maxime, **AL-Suwra Al-Gharbia Wa Dirasat AL-Gharbiat AL-Islamia**, Kuwait National Council for Culture and Arts, 1988 AD.
27. Himmich, Bensalem, **AL-Arab Wa AL-Islam Fi Maraya AL-Iastishraq**, Dar Al-Shorouk - Cairo 2011AD, 1st edition.
28. Al-Hamid, Dr. Hamid, **AL-Quran AL-Karim Fi Dawayir Al-Maearif AL-Is-tishraqiah**, within the research of the Holy Qur'an Symposium in Oriental Studies, which was issued by the King Fahd Complex for the Printing Of the Holy Qur'an.
29. Bucaille, Maurice, **AL-Quran Wa AL-Tawrat Wa AL- Injil Dirasat Fi Daw' AL-Eilam AL-Hadith**, translated by: Adel Youssef, Dar Al Ahlia Publishing - Lebanon, 2009 AD, 1st Edition.
30. Alighieri, Dante, **AL-Kumidia AL-Ilahia**, translated by: A. Hassan Othman, Dar Al Maaref, 2nd Edition.
31. Al-Bahi, Prof. Dr. Muhammad, **Al-Mubashirun Wa Al-Mustashriqun Fi Mawqifihim Min Al-Islam**, Al-Azhar Press.
32. Dinet, Etienne, **Muhamad Rasul Allah**, Translated by: Dr. Abdel Halim Mahmoud, and Dr. Mohamed Abdel Halim, Lebanese Book House - Beirut, 1985 AD.
33. Montgomery, William, **Muhamad fi Maka**, translated by: Abd al-Rahman al-Sheikh, General Egyptian Book Organization, 1994 AD.
34. Armstrong, Karen, **Muhamad Nabiun li Zamanina**, translated by: Faten Al-Zalabani, Al-Shorouk International Library - Cairo, 2008, 1st edition.
35. Al-Aqiqi, Najib, **AL-Mustashriqun**, Dar Al-Maaref - Egypt, 4th edition.
36. Pfister, Prof. Dr. Stefan, **Mulahazat Alaa Musahamat AL-Mustashriqin Fi AL-Dirasat AL-Qurania**, King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, 2006 AD.
37. Saber, Prof. Dr. Helmy, **Manahij Al-Bahth Al-Eilmi**, Egypt Star Edition, 2000 AD, 2nd Edition.
38. Al-Deeb, Dr. Abdul Azim, **Al-Manhaj Fi Kitabat Al-Gharbiyn An Al-Tarikh Al-Islami**, Gulf Foundation Press, 1411 AH, 1st Edition.
39. Zakkar, Prof. Dr. Suhail, **Al-Musueah Al-Shaamilh Fi Tarikh Al-Hurub**

Al-Salibiah, Dar Al Fikr - Beirut.

40. Badawi, Abdel Rahman, **Musueat Al-Mustashriqin**, The Arab Foundation for Studies and Publishing - Beirut, 5th edition, 2015AD.
41. Al-Omari, Dr. Akram Zia, **Mawqif Al-Iastishraq Min Al-Siyrah Wa Al-Sunat Al-Nabawiah**, Seville House, 1417 AH, 1st Edition.
42. Stubbe ,Henry, **An Account of the Rise and Progress of Mahometanism: With the Life of Mahomet and a Vindication of Him and His Religion from the Calumnies of the Christians**, Nabu Press - 2010 AD
43. Smith ,Margaret, **Al-Muhasibi an Early Mystic of Bagdad**, PHILO PRESS Amsterdam 1974 AD.
44. Spencer, Robert, **Islam Unveiled**, P176, Encounter Books,2003 AD
45. Irving ,Washington, **Mahomet and his Successors**, The Knickerbocker Press 1896 AD New York.
46. Cole, Juan, **Muhammad: Prophet of Peace Amid the Clash of Empires**, Nation Books, New York 2018 AD.
47. Lutzer, Erwin. W, **The Cross in The Shadow of The Crescent**, P221, harvest House.
48. Esposito ,John L, **What Everyone Needs to Know About Islam**, Oxford University Press, New York, 2011 AD.



Kingdom of Saudi Arabia,
Madinah, Endowment for Cherishing
the Two Glorious Revelations,
Serving the Glorious Quran and the Elevated Sunnah
in the Illumed City of the Prophet ﷺ



Journal of Cherishing the Two Glorious Revelations

A scholarly, refereed periodical journal, specializing in research related
to the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah

This issue's articles:

● **CONCERN OF THE QUR'AN TOWARD THE EXISTING HUMAN ORGAN THEMATIC
STDY.**

Dr. Fuad bin Abdul Mun'im Suqair al-Sulami

● **SINFUL ADMISSION BETWEEN ACCEPTANCE AND REJECTION: THEMATIC STUDY
OF THE QUR'AN.**

Dr. Abdul Baqi bin Abd al-Rahman Sisi

● **EXEGETICAL UNDERSTANDING OF SURAH AL-MASAD: NARRATION AND
COGNITION.**

Dr. Afnan Mustafa al-Dibani

● **INTERRELATED ANSWERS TOWARD FAITHFUL QUESTION IN THE QUR'AN AND
ITS IMPACT IN ASCERTAINING THEOLOGICAL CONCEPT: APPLIED STUDY
TOWARD VERSES WITHIN THE SURAH AL-TUR.**

DR. IN'AM MUHAMMAD UQAIL

● **METHOD OF IBN HISHAM (d.218H) IN GIVING EXEGETICAL UNDERSTANDING
TOWARD VAGUENESS OF THE QUR'AN AND ITS EVIDENCES AS APPEARED
WITHIN SIRAH IBN ISHAK (d.150H).**

Dr. Nayef bin Saeed bin Jam'n al-Zahrani

● **THE CHANGE UNDERSTANDING OF THE WEST TOWARD THE BIOGRAPHY OF
THE PROPHET (PBUH) BETWEEN MEDIEVAL PERIOD AND MODERN HISTORY:
ANALYTICAL STUDY ON ITS CAUSES AND IMPACT**

Dr. Ibrahim bin Khalil Mazhar

10

